الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ

١٠

الصحيح من سيره النبی الاعظم صلی الله علیه و آله وسلم المجلد 10

اشاره

سرشناسه : عاملی، جعفر مرتضی، 1944- م.

عنوان و نام پدیدآور : الصحیح من سیره النبی الاعظم صلی الله علیه و آله وسلم / جعفرمرتضی العاملی

مشخصات نشر : سحرگاهان، 1419ق. = 1377.

مشخصات ظاهری : ج 10

شابک : 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل)

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است.

یادداشت : افست از روی چاپ بیروت: دار السیره

یادداشت : جلد دهم: الفهارس

یادداشت : کتابنامه

موضوع : محمد صلی الله علیه و آله وسلم ، پیامبر اسلام، 53 قبل از هجرت - 11ق. -- سرگذشتنامه

موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا 41ق.

رده بندی کنگره : BP22/9/ع 2ص 3 1377

رده بندی دیویی : 297/93

شماره کتابشناسی ملی : م 77-15929

ص: 1

اشاره

ص: 6

[تتمه القسم السادس]

[تتمه الباب السادس]

الفصل الثانی: حدث و تشریع

اشاره

ماذا فى هذا الفصل؟!

إننا لاستكمال الحديث عن الأمور المرتبطه بغزوه ذات الرقاع نتحدث فى هذا الفصل عن عده أمور بالترتيب التالى:

1- إنهم يقولون: إن صلاه الخوف قد شرعت فى غزوه ذات الرقاع، و صلاها النبى (صلى اللّه عليه و آله) بأصحابه فيها، و هى أول صلاه خوف فى الإسلام.

و نحن نرى: أن ذلک غير سليم، و أن صلاه الخوف قد شرعت فى الحديبيه، و هى قبل ذات الرقاع.

بل قد يقال: إنها قد شرعت قبل الحديبيه أيضا.

2- ثم نشير إلى الاختلافات الوارده فى کيفيه صلاه الخوف.

3- و نتحدث أيضا بإجمال عما يقال عن عدم صلاه الخوف فى غزوه الخندق، لأنها لم تکن شرعت آنئذ ..

4- ثم نعقب ذلک بفلسفه تحليليه لتشريع صلاه الخوف فى حدود ما تسمح به المناسبه.

5- ثم نتوجه إلى الحديث عن قصر الصلاه، حيث يقال: إن ذلک قد حدث فى غزوه ذات الرقاع أيضا.

6- ثم نستطرد فی الحدیث إلی موضوع آخر یرتبط بقصر الصلاه، و هو ما اشترطته الآیه للقصر، من کونه فی مورد خوف الفتنه، و ذلک من أجل بیان المراد من هذا الشرط، ثم المبرر لإدراجه فی الآیه الشریفه.

7- و لا ننسی أن نستطرد أیضا إلی موضوع قصر عثمان للصلاه فی منی و عرفات فی أیام الحج، و ما نشأ عن ذلک و ما انتهی إلیه.

و نذکر أیضا: أعذارا و توجیهات لهذا الأمر لا یمکن أن تصح، و لا یصح الاعتماد علیها.

8- ثم نختم الحدیث عن هذا الموضوع بالإشاره إلی أن القصر فی السفر رخصه أم عزیمه؟ من أجل أن یتضح المقصود من آیه القصر، حیث إن الحدیث عن القصر فیها إنما هو بصیغه: لیس علیکم جناح أن تقصروا.

9- و أما الحدیث عن أن آیه التیمم قد نزلت فی غزوه ذات الرقاع أیضا فنرجئه إلی الحدیث عن غزوه المریسیع بعد الخندق، حیث یتم التعرض له هناک إن شاء اللّه تعالی ..

هذه خلاصه ما سوف نتحدث عنه فی هذا الفصل. و أنت تری: أنه کله حدیث عن تشریعات ادّعی أنها قد حصلت فی غزوه ذات الرقاع، ثم استطرادات مفیده فی نطاق الحدیث عن هذه التشریعات.

و نحن نرجو أن یکون فصلا مفیدا للقارئ و ممتعا له فی نفس الوقت ..

فإلی ما یلی من مطالب، و من اللّه نستمد العون و القوه، و علیه نتوکل ..

صلاه الخوف:

یقال: إن صلاه الخوف قد شرعت فی غزوه ذات الرقاع، حیث إنه

(صلى اللّه عليه و آله) فى هذه الغزوه واجه جمعا من الأعداء (فتقارب الجمعان، و لم يكن بينهما حرب. و قد خاف بعضهم بعضا، من غير أن يغيروا عليهم، فصلى بهم النبى (صلى اللّه عليه و آله) صلاه الخوف، ثم انصرف بالناس) (1).

و هى أول صلاه خوف فى الإسلام (2).

و نقول:ه.

1- راجع: تاريخ الخميس ج 1 ص 464 و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 264 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 قسم 2 ص 28 و 29 و السيره الحلبيه ج 2 ص 271 و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص 200 و المغازى للواقدى ج 1 ص 396 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 160 و البدايه و النهايه ج 4 ص 83 و راجع: صحيح البخارى ج 3 ص 24 و 25 و راجع: الكامل فى التاريخ ج 2 ص 174 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 227 و أنساب الأشراف ج 1 ص 340 و راجع: طبقات ابن سعد ج 2 ص 61 و تفسير البرهان ج 1 ص 411 عن من لا يحضره الفقيه و الثقات ج 1 ص 258 و زاد المعاد ج 1 ص 110 و السيره النبويه لابن هشام ج 3 ص 214 و راجع: نصب الرايه ج 2 ص 246 و 247 و راجع صحيح مسلم (باب صلاه الخوف) ج 2 ص 214 و نهايه الأرب ج 17 ص 158 و المواهب اللدنيه ج 1 ص 107 و الدر المنثور ج 2 ص 212 و 213 عن أبى داود، و ابن حبان، و الحاكم و صححه و البيهقى، و عن مالک، و الشافعى، و ابن أبى شيبه، و عبد بن حميد، و البخارى و مسلم و الترمذى و النسائى و ابن ماجه و الدارقطنى.

2- حبيب السير ج 1 ص 357 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 61 و المواهب اللدنيه ج 1 ص 107 و الجامع ص 279 و راجع المصادر المتقدمه أيضا، فبعضها قد ذكر ذلک و نصب الرايه ج 2 ص 248 و 249 عن الواقدى و غيره.

إننا نسجل هنا ما يلى:

1- قولهم: إنها أول صلاه خوف صليت فى الإسلام لا تؤيده الروايات على اختلافها؛ فقد ذكروا- و إن كنا قد رددنا ذلک فيما يأتى-: أن صلاه الخوف إنما شرعت فى غزوه بنى النضير (1) و هى قبل غزوه ذات الرقاع قطعا.

2- و من جهه أخرى ثمه روايات تقول: إن آيات صلاه الخوف قد نزلت فى غزوه عسفان، فصلى بهم النبى (صلى اللّه عليه و آله) صلاه الخوف.

و فى روايه الترمذى و ابن جرير: أن جبرئيل هو الذى علّم النبى (صلى اللّه عليه و آله) كيف يصليها، و ذلک بين ضجنان، و عسفان. و عسفان كانت بعد الخندق (2).-1.

1- راجع هذا القول فى: تاريخ الخميس ج 1 ص 464 و السيره الحلبيه ج 2 ص 271 و التنبيه و الإشراف ص 214 و حبيب السير ج 1 ص 357 و السيره النبويه لابن هشام ج 3 ص 215 و نهايه الأرب ج 17 ص 159 و دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 370 و صحيح البخارى ج 3 ص 23 و فتح البارى ج 7 ص 325 و بهجه المحافل ج 1 ص 232.
2- الدر المنثور ج 2 ص 211 و 213 عن المصادر التاليه: عبد الرزاق، و سعيد بن منصور، و ابن أبى شيبه، و أحمد، و أبى داود، و عبد بن حميد، و النسائى، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و الدار قطنى، و الطبرانى، و الحاكم، و صححه، و البيهقى، و الترمذى، و ابن جرير. و عن البزار عن ابن عباس، و عن أبى عياش الزرقى، و أبى هريره، و مجاهد و فتح البارى ج 7 ص 327 و السيره الحلبيه ج 2 ص 271-

3- و سأل سليمان اليشكرى جابر بن عبد اللّه عن إقصار الصلاه أى يوم أنزل؟.

فقال جابر بن عبد اللّه: و عير قريش آتيه من الشام، حتى إذا كنا بنخل ..

ثم ذكر ما جرى، و صلاه النبى (صلى اللّه عليه و آله) بهم صلاه الخوف، ثم قال: فأنزل اللّه فى إقصار الصلاه (1).

و لكن قال ياقوت: (إن نخلا موضع بنجد، من أرض غطفان مذكور فى غزاه ذات الرقاع) (2).

و عن السمهودى، أنه قال: (حتى نزل نخلا، و هى غزوه ذات الرقاع) (3).

و قال السمهودى أيضا: (و كأن أبا حاتم رأى اتحادهما، فلم يذكر ذات1.

1- الدر المنثور ج 2 ص 211 عن عبد بن حميد، و ابن جرير، و جامع البيان و بغيه الألمعى (مطبوع مع نصب الرايه) ج 2 ص 248 و سنن النسائى ج 3 ص 176.
2- معجم البلدان (ط دار الكتب العلميه) ج 5 ص 320.
3- بغيه الألمعى (مطبوع بهامش نصب الرايه) ج 2 ص 248 عن وفاء الوفاء ج 1 ص 381.

الرقاع، و هی بنخل عند بعضهم، فلذلک لم یذکرها أیضا) (1).

و نقول: إن هذا اشتباه واضح، فإن نخلا إذا کانت بنجد لم یکن ثمه مناسبه بینها و بین عیر قریش الآتیه من الشام، فالمراد إذن هو النخل التی من جهه الشام دون سواها.

4- و عن مجاهد أنه قال: بالنسبه لصلاه الخوف فی عسفان: (فلم یصل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) صلاه الخوف قبل یومه، و لا بعده) (2).

5- عن جابر قال: غزا رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) ست غزوات قبل صلاه الخوف، و کانت صلاه الخوف فی السنه السابعه (3).

فالقول بأنها فی ذات الرقاع، و ذات الرقاع فی السنه الرابعه، لا یصح.

الروایه الأقرب إلی القبول:

و المعتمد عندنا فی هذا المجال هو: الروایه التی رواها علی بن إبراهیم عن أبیه، عن ابن أبی عمیر، عن الإمام الصادق (علیه السلام): (فإنها نزلت لما خرج رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) إلی الحدیبیه، یرید مکه، فلما وقع الخبر إلی قریش بعثوا خالد بن الولید فی ماءتی فارس کمینا یستقبل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) [فکان یعارض رسول اللّه] علی الجبال.

فلما کان فی بعض الطریق، و حضرت صلاه الظهر، فأذن بلال، فصلیه.

1- وفاء الوفاء ج 1 ص 280.
2- الدر المنثور ج 2 ص 214 عن ابن أبی شیبه، و ابن جریر، و راجع جامع البیان ج 5 ص 156.
3- مسند أحمد ج 3 ص 348 و الدر المنثور ج 2 ص 214 عنه.

رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بالناس.

فقال خالد بن الولید: لو كنا حملنا علیهم و هم فی الصلاه لأصبناهم، فإنهم لا یقطعون صلاتهم، و لكن تجی ء لهم الآن صلاه أخری هی أحب إلیهم من ضیاع أبصارهم، فإذا دخلوا فی الصلاه أغرنا علیهم.

فنزل جبرئیل (علیه السلام) علی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بصلاه الخوف فی قوله: وَ إِذا كُنْتَ فِیهِمْ .. (1).

و لا یعارض ذلك ما رواه ابن بابویه فی الفقیه بسند صحیح إلی عبد الرحمن بن أبی عبد اللّه: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قد صلی بأصحابه صلاه الخوف فی ذات الرقاع؛ فإن هذه الروایه لیس فیها: أن جبرئیل قد نزل بصلاه الخوف آنئذ، و لا أن الآیه قد نزلت أیضا فی غزوه ذات الرقاع.

و إن كان الإمام (علیه السلام) بعد أن ذكر كیفیه صلاته (صلی اللّه علیه و آله) بأصحابه صلاه الخوف، قد أورد الآیه، مظهرا بذلك موافقه فعل النبی (صلی اللّه علیه و آله) لمضمونها، فراجع (2).

فتشریع صلاه الخوف قد كان فی الحدیبیه التی كانت فی سنه ست ثم صلاها (صلی اللّه علیه و آله) مره أخری بأصحابه فی غزوه ذات الرقاع، التی كانت فی السنه السابعه حسبما قدمنا.0.

1- البرهان فی تفسیر القرآن ج 1 ص 411.
2- البرهان فی تفسیر القرآن ج 1 ص 411 و من لا یحضره الفقیه (ط مؤسسه النشر الإسلامی) ج 1 ص 460.

كيفيه صلاه الخوف:

قد اختلفت رواياتهم فی كيفيه صلاه الخوف التی صلاها رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) فی مغازيه، حتی ليقول البعض:

(قد رويت صلاه الخوف علی ست عشره صوره كلها سائغ فعله) (1).

و قال آخر: (و وراء ذلک من الكيفيات المتباينات، و الخلافات المتعددات بحسب اختلاف الروايات، ما يطول ذكره، و يعز حصره) (2).

و قد أغنانا ذلک عن ذكر التناقضات الكثيره و الاختلافات الفاحشه بين الروايات المختلفه.

و الحل الأمثل: هو الرجوع إلی أهل بيت النبوه، و معدن الرساله، فإنهم هم أحد الثقلين اللذين لن يضل من تمسک بهما، و هم سفينه نوح، من ركبها نجا و من تخلف عنها غرق و هوی.

و قد ذكروا: أن صلاه الخوف فی ذات الرقاع كانت قصرا (3).

صلاه الخوف فی غزوه الخندق:

و قد زعم البعض: أن صلاه الخوف لم تكن شرعت فی غزوه الخندق، و إلا لكان صلاها حينئذ، لأنهم حبسوه عن صلاه الظهرين و العشاءين1.

1- سيره مغلطای ص 53 و 54 و راجع: الروض الأنف ج 3 ص 253 و شرح بهجه المحافل ج 1 ص 234 و راجع: التنبيه و الإشراف ص 214 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 227.
2- بهجه المحافل ج 1 ص 233.
3- البرهان فی تفسير القرآن ج 1 ص 411.

فصلاهن جميعا، و ذلک قبل نزول صلاه الخوف [1].

و نقول:

إن هذا الاستدلال لا يصح: إذ لعل العدو کان فی جهه القبله فصلاها المسلمون إيماء أو کان الوضع الحربی لا يسمح بالصلاه جماعه بسبب تلاحم المقاتلين، و المناوشه بينهم، حيث يکفی فی هذه الحاله التهليل و التسبيح، و التحميد، و الدعاء، کما حدث فی صفين ليله الهرير [2].

و سيأتی: عدم صحه ما يذکرون حول هذا الأمر فی موضعه إن شاء اللّه تعالی ..

صلاه الخوف لماذا؟!:

و لربما يراود ذهن البعض سؤال: عن السبب فی الإصرار علی الصلاه جماعه حتی فی حال الحرب، إذ أن بالإمکان أن يصلی المسلمون فرادی متفرقين، مع الاحتفاظ بمواجهه العدو بالکثره العدديه فی ساحه القتال. خصوصا مع اتساع الوقت لأداء الصلاه بصوره متواليه من العناصر، بحيث لا يخل ذلک بالحاله التی يتخذونها تجاه العدو بهدف إرهاقه، أو دفع شره.

و للإجابه علی هذا السؤال: لا بد لنا من الإشاره إلی أن هذا أمر مقصود للّه عزوجل، لأنه يمثل مطلبا أساسيا فی أکثر من اتجاه.

فهو من جهه يمثل إصرار المسلمين علی الجهر بمعتقداتهم، و ممارسه2.

1- راجع: زاد المعاد ج 2 ص 111 و السيره الحلبيه ج 2 ص 270 و راجع: فتح الباری ج 7 ص 327.
2- البرهان ج 1 ص 411 و 412.

حقهم بحريه التعبير عنها، و حريه ممارسه شعائرهم الدينيه. رضى الناس ذلک أم أبوا.

کما أنه یمثل إظهارا للالتزام بالقیاده المثلى، و الاقتداء بها، و التلاقی علیها و معها لتکون رمز وحده الأمه، من خلال وحده الهدف، ثم وحده الموقف، و انتهاء بوحده المصیر.

و من جهه أخرى: فإن هذا المظهر العبادی الوحدوی التنظیمی و وحده الشعار، لا بد أن یثیر لدى الأعداء أکثر من سؤال یرتبط بالموقف السیاسی و العسکری، الذی یتخذه ذلک العدو، و یتحرک و یتعامل معهم على أساسه و من خلاله، حتى إذا ما راجع حساباته فی هذا السبیل، فلسوف یجد أنه لم یکن منطقیا، و لا منصفا فی عدائه لهم، و لا فی مواقفه منهم، التی اتخذها انطلاقا من عدم قناعته بما اقتنعوا به، أو فقل: من عدم قبوله بما هم علیه. فهل عدم اقتناع شخص بأفکار، و معتقدات، و قناعات، شخص آخر، یعطیه الحق فی تدمیر ذلک الشخص و استئصاله من الوجود؟!..

و هل إذا قال هؤلاء: ربنا اللّه، و لیس الصنم الفلانی، یستحقون أن یواجهوا بالحرب و بالحرمان و بالقطیعه، و بجمیع أشکال الاضطهاد و التنکیل؟!.

إن صلاه الخوف هذه لسوف تقنع هذا العدو بالذات أن ما یحاربهم من أجله، و یصرون هم علیه، إنما یعنیهم هم أولا و بالذات، و لیس له هو حق فی اتخاذ أی موقف سلبی منهم لأجل أمر یخصهم و یرجع إلیهم، ف لا إِکْراهَ فِی الدِّینِ (1) فإن الدین یقوم على أساس القناعات و على أساسه.

1- الآیه 256 من سوره البقره.

المشاعر، و عقد القلب، و إحساسه بالأمن، و استشعاره الإيمان.

و لا يمكن أن يفرض هذا على أحد، و لا يتحقق الإكراه فيه.

و لا يملک أحد أن يصادر حريه الآخرين فی أن يعتقدوا ما شاؤوا، و لا يمكنه أن يمنعهم من ممارسه كثير مما يريدون ممارسته.

بل إن هذا يخضع للمنطق و للبرهان و للدليل أولا، مع إعطاء دور رئيس لتكوّن عامل الثقه، و الصراحه و الصدق و الإنصاف، و الحريه، و غير ذلک مما هو ضروری فی مجال التحرک الواعی و المسؤول فی مجال الدعوه لتحقيق الاستجابه الحقيقيه و الواعيه و المسؤوله.

فصلاه الخوف شعار، و موقف، و بلاغ، و دعوه، و تصميم، و وحده، و خلوص، و التفاف حول القياده، و تربيه، و تعليم، و تحد، ثم هی حرب نفسيه و سلاح قاطع.

و ليس ثمه رساله أبلغ منها للعدو، ليعرف أن هؤلاء الناس قد بلغوا من إصرارهم على مواقفهم، و تمسكهم بمبادئهم، و فنائهم فيها، حدا يجعلهم يرون قضيتهم، و دينهم و دعوتهم، هی الأهم من كل شی ء، و أن حياتهم، و كل شی ء يملكونه لا بد أن يكون لها و من أجلها، و فی سبيلها، و هم يمارسون ذلک عملا، و يقدمون على البذل و العطاء فی سبيله، بكل رضا و محبه، و صفاء و سخاء.

و من جهه ثانيه: إن ذلک يؤكد للإنسان المسلم مدى أهميه الصلاه، حتى إنها لا تترک بحال، حتى للغريق المشرف على التلف، و حتى للمقاتل الذی يواجه الأخطار الكبرى على حياته و وجوده ..

و تأتی الصلاه فی هذه الحال بالذات- حال الخوف- لتربط الإنسان

بمصدر الأمن، و السلام، و الطمأنينه للقلوب، و انسجام المشاعر و تلاقيها، ليعيش الإنسان فى الآفاق الملكوتيه روح الطهر و الخلوص، ليصبح قادرا على التخلص مما يربطه بهذه الدنيا، و يشده إلى الأرض ليخلد إليها، و يحجبه ذلک عن مصدر القدره، و عن الانطلاق فى رحابه، و فى آفاق ملكوته، و معاينه آلائه، و تلمسها، و التصديق بها.

قصر الصلاه:

و قالوا: إن الصلاه قد قصرت فى غزوه ذات الرقاع (1) حيث نزل قوله تعالى: وَ إِذا ضَرَبْتُمْ فِی الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاهِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكافِرِينَ كانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِيناً (2).

و نقول:

إن الكلام هنا فى عده جهات، نذكر منها ما يلى:

1- تاريخ قصر الصلاه:

إن القول: بأن ذلک كان فى غزوه ذات الرقاع، تقابله الروايه التى تقول: إن ذلک قد كان فى غزوه عسفان.

فقد روى: (عن مجاهد، فى قوله: فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَء.

1- تاريخ الخميس ج 1 ص 464 و اكتفى فى السيره الحلبيه ج 2 ص 278 بالقول: بأن قصر الصلاه كان فى الرابعه.
2- الآيه 101 من سوره النساء.

الصَّلاةَ* (1)، قال: أنزلت يوم كان النبی (صلی اللّه علیه و آله)، و المشرکون بضجنان، فتوافقوا فصلی النبی (صلی اللّه علیه و آله) بأصحابه صلاه الظهر أربعا، رکوعهم و سجودهم، و قیامهم معا جمعا. فهمّ بهم المشرکون أن یغیروا علی أمتعتهم، و أثقالهم، فأنزل اللّه: فَلْتَقُمْ طائِفَهٌ مِنْهُمْ مَعَکَ (2).

فصلی العصر، فصف أصحابه صفین ثم کبر بهم جمیعا، ثم سجد الأولون لسجوده، و الآخرون قیام لم یسجدوا حتی قام النبی (صلی اللّه علیه و آله) ثم کبر بهم و رکعوا جمیعا، فتقدم الصف الآخر، واستأخر الصف المتقدم، فتعاقبوا السجود کما فعلوا أول مره، و قصر العصر إلی رکعتین) (3).

و نقول:

إن هذه الروایه صریحه فی أن آیه قصر الصلاه قد نزلت بعد أو حین تشریع صلاه الخوف، و ثمه روایات أخری یظهر منها أنهم یتحدثون عن آیه القصر و یقصدون منها صلاه الخوف فقط (4)، و لعل هذا قد نشأ عن کونهما قد نزلتا فی زمان واحد.4.

1- الآیه 198 من سوره البقره.
2- الآیه 102 من سوره النساء.
3- الدر المنثور ج 2 ص 210 عن عبد الرزاق، و ابن جریر، و ابن المنذر، و ابن أبی حاتم، و جامع البیان ج 5 ص 156 و المصنف ج 2 ص 504.
4- راجع: الدر المنثور ج 2 ص 210 عن عبد الرزاق عن طاووس، و ابن جریر، و ابن أبی حاتم عن السدی و المصنف ج 2 ص 517 و غیرها و جامع البیان ج 5 ص 154.

و قد تقدم: أن صلاه الخوف قد شرعت فى الحديبيه، ثم صلاها النبى (صلى اللّه عليه و آله) فى ذات الرقاع، التى كانت بعدها، فمعنى ذلک: أن قصر الصلاه قد شرع فى الحديبيه أيضا، أو بعدها و ذلک واضح لا يحتاج إلى بيان.

لكن ثمه روايه تقول: إن نزول الآيه، و تشريع صلاه القصر قد كان قبل نزول آيه صلاه الخوف بسنه؛ فشرع القصر على لسان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، حين سأله تجار يضربون فى الأرض عن كيفيه صلاتهم، فراجع (1).

فيكون تشريع القصر، قبل غزوه الحديبيه بسنه!

القصر فى حالتى الأمن و الخوف:

و من الأمور التى تساءل بعض الناس عنها هو: أن آيه القصر إنما تتحدث عن إيجاب القصر بشرط خوف الفتنه من قبل الذين كفروا، مع أن القصر ثابت مع خوف الفتنه و بدونه.

و قد حاول البعض الهروب من هذا الإشكال بدعوى: أن القصر لم يذكر فى القرآن أصلا (2).6

1- الدر المنثور ج 2 ص 209 و جامع البيان ج 5 ص 155 عن على (عليه السلام)، و بهجه المحافل ج 1 ص 228.
2- سنن النسائى ج 3 ص 117 و سنن البيهقى ج 3 ص 136 و سنن ابن ماجه ج 1 ص 339 و مجمع البيان ج 5 ص 136 و الدر المنثور ج 2 ص 209 و 210 عنهم و عن عبد بن حميد، و ابن حبان، و ابن أبى حاتم. و الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان ج 6 ص 444 و المستدرک على الصحيحين ج 1 ص 258 و الموطأ (المطبوع مع تنوير الحوالک) ج 1 ص 162 و المصنف للصنعانى ج 2 ص 518 و مسند أحمد بن حنبل ج 2 ص 65 و 66.

و بعض آخر: كعائشه، و سعد بن أبى وقاص، ادعوا: أن الواجب هو القصر فى حال الخوف فقط، أما فى حال الأمن، فكانا يتمان فى السفر (1).

و روى عن عائشه خلاف ذلک أيضا (2).

و قد يحلو للبعض أن يدعى: أن القرآن قد نسخ بالسنه، حيث إن القرآن نص على القصر فى حاله الخوف، ثم نسخ ذلک بقول النبى (صلى اللّه عليه و آله)، حيث جعله (صلى اللّه عليه و آله) فى مطلق السفر (3).

إلى غير ذلک مما لا مجال لتتبعه.

و نقول:

إن مجرد كون القرآن قد نص على القصر فى مورد خوف الفتنه، ثم جاء تعميم ذلک إلى مطلق السفر على لسان النبى (صلى اللّه عليه و آله)، لا يوجب اعتبار ذلک من قبيل نسخ القرآن بالسنه، إذ قد يكون القرآن قد ذكر لهم ما كان محلا لابتلائهم، أو أورد ذلک مورد الغالب؛ فإذا كان القرآن قد8.

1- راجع: الدر المنثور ج 2 ص 110 عن ابن جرير، و ابن أبى حاتم، و عبد الرزاق، و نصب الرايه ج 2 ص 118 و 189 و نيل الأوطار ج 3 ص 249 و راجع: الجامع الصحيح ج 2 ص 430 و عن عائشه فى المصنف للصنعانى ج 2 ص 515 و راجع أيضا: الأم ج 1 ص 159.
2- راجع: الأم ج 1 ص 159 و صحيح مسلم ج 2 ص 142 و 143 و المصنف للصنعانى ج 2 ص 515 و الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان ج 6 ص 446 و 447 و الدر المنثور ج 2 ص 210 عن بعض من تقدم و عن البخارى، و مالک، و عبد بن حميد، و أحمد، البيهقى فى سننه.
3- راجع: بهجه المحافل ج 1 ص 227 و 228.

بيّن قسما مما يجب فيه القصر، ثم بينت السنه باقى الموارد، فليس ذلک من قبيل النسخ، بل هو إما من باب إلقاء الخصوصيه، أو من باب التعميم، و التتميم، إذ ليس فيه إلغاء للحکم الثابت بالقرآن.

و قد أشارت الروايات إلى ذلک أيضا، فقد روى: أن يعلى بن أميه قال لعمر بن الخطاب: ليس عليکم جناح أن تقصروا من الصلاه إن خفتم أن يفتنکم الذين کفروا، و قد أمن الناس.

فقال له عمر: عجبت مما عجبت منه، فسألت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) عن ذلک؛ فقال: صدقه تصدق اللّه عليکم، فاقبلوا صدقته (1).

و عن أبى العاليه، قال: (سافرت إلى مکه، فکنت أصلى بين مکه و المدينه رکعتين، فلقينى قراء أهل هذه الناحيه، فقالوا: کيف تصلى؟ !9.

1- الدر المنثور ج 2 ص 209 عن ابن أبى شيبه، و عبد بن حميد، و أحمد و مسلم و النسائى و أبى داود، و الترمذى، و ابن ماجه، و ابن الجارود، و ابن خزيمه، و الطحاوى، و ابن جرير ج 5 ص 154 و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و النحاس فى ناسخه، و الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان ج 6 ص 448 و 450 و نصب الرايه ج 2 ص 190 و صحيح مسلم (باب صلاه المسافر)، ج 2 ص 143 و سنن أبى داود ج 2 ص 3 و سنن ابن ماجه ج 1 ص 176 و مسند أحمد ج 1 ص 25 و 36 و سنن النسائى ج 3 ص 116 و 117 و الجامع الصحيح (کتاب التفسير) ج 5 ص 242 و 243 و بهجه المحافل ج 1 ص 227 و 228 و سنن البيهقى ج 3 ص 134 و 140 و 141 و سنن الدارمى ج 1 ص 354 و مصابيح السنه ج 1 ص 460 و شرح معانى الآثار ج 1 ص 415 و المصنف ج 2 ص 517 و الأم ج 1 ص 159.

قلت: ركعتين.

قالوا: أسنه أو قرآن؟!

قلت: كل ذلک سنه و قرآن. صلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ركعتين.

قالوا: إنه كان فى حرب.

قلت: قال اللّه: لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَ مُقَصِّرِينَ لا تَخافُونَ (1).

و قال: وَ إِذا ضَرَبْتُمْ فِى الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاهِ (2) فقرأ حتى بلغ: فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ (3)) (4).

إتمام عثمان للصلاه فى منى و عرفات:

و من الأمور التى طعن بها الصحابه و المسلمون على عثمان بن عفان (5):

أنه أتم الصلاه بمنى و بعرفات، فخالف بذلک رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، الذى قصر الصلاه فيهما، و كذلک أبو بكر و عمر، و عثمان نفسه عده4.

1- الآيه 27 من سوره الفتح.
2- الآيه 198 من سوره البقره.
3- الآيه 103 من سوره النساء.
4- جامع البيان (ط دار الفكر) ج 5 ص 330 و الدر المنثور ج 2 ص 209 عنه و الأم ج 1 ص 159 و نيل الأوطار ج 3 ص 247.
5- تاريخ الأمم و الملوک ج 3 ص 322 و أنساب الأشراف ج 5 ص 39 و أحكام القرآن للجصاص ج 2 ص 254.

سنوات أيام خلافته (1).

الصامدون و المتزلفون:

و قد كان ابن عمر بعد أن يتم خلف عثمان، يعيد صلاته بعد أن يرجع إلى بيته (2) أما ابن مسعود الذى اعترض على عثمان، لفعله ذاک، فإنه عاد فصار يصلى أربعا، بحجه أن الخلاف شر (3) و کذلک تماما کان من عبد4.

1- راجع: صحيح البخارى ج 1 ص 126 و 189 و صحيح مسلم ج 2 ص 145 و 146 و الموطأ (مطبوع مع تنوير الحوالک) ج 1 ص 314 و الكامل لابن الأثير ج 3 ص 103 و نصب الرايه ج 2 ص 192 و 187 و سنن النسائى ج 3 ص 120 و 118 و مسند أحمد ج 1 ص 378 و ج 2 ص 148 و المصنف للصنعانى ج 2 ص 516 و 518 و سنن البيهقى ج 3 ص 136 و 126 و 144 و 153 و سنن أبى داود ج 2 ص 199 و الأم ج 7 ص 175 و ج 1 ص 159 و نيل الأوطار ج 3 ص 249 و المحلى ج 4 ص 270. و راجع: الجامع الصحيح ج 2 ص 228 و 230 و ج 3 ص 229 و كنز العمال ج 8 ص 151 و 152 و البدايه و النهايه ج 7 ص 154 و تاريخ الأمم و الملوک ج 3 ص 322 و سنن الدارمى ج 1 ص 354 و ج 2 ص 55 و 56 و أنساب الأشراف ج 5 ص 39، و الكامل فى التاريخ ج 3 ص 103 و الغدير ج 8 ص 99 فما بعدها.

2- المحلى ج 4 ص 270 و الموطأ (مطبوع مع تنوير الحوالک) ج 1 ص 164.

3- الأم ج 1 ص 159 و ج 7 ص 175 و سنن البيهقى ج 3 ص 144 و الغدير ج 8 ص 100 عنهم و صحيح البخارى ج 1 ص 126 و البدايه و النهايه ج 7 ص 154 و المصنف ج 2 ص 516 و الكامل فى التاريخ ج 3 ص 104.

الرحمن بن عوف، فإنه ناقش عثمان أولا، ثم تابعه و عمل بعمله أخيرا [(1)].

و لكن عليا أمير المؤمنين (عليه السلام) وحده الذى أصر على الرفض، فقد روى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: اعتل عثمان و هو بمنى، فأتى على، فقيل له: صل بالناس.

فقال: إن شئتم صليت لكم صلاه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، يعنى ركعتين.

قالوا: لا، إلا صلاه أمير المؤمنين- يعنى- عثمان- أربعا. فأبى [(2)].

معاويه و الأمويون، و سنه عثمان:

و لكن معاويه حين قدم حاجا صلى الظهر ركعتين، فجاءه مروان بن الحكم، و عمرو بن عثمان فقالا له: (ما عاب أحد ابن عمک بأقبح مما عبته به.

فقال لهما: و ما ذاک؟!

قالا: له: ألم تعلم أنه أتم الصلاه بمكه؟

قال: فقال لهما: ويحكما، و هل كان غير ما صنعت؟ قد صليتهما مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و مع أبى بكر، و عمر.

قالا: فإن ابن عمک قد أتمها، و إن خلافک إياه له عيب.0.

1- تاريخ الأمم و الملوک ج 3 ص 302 و أنساب الأشراف ج 5 ص 39 و الكامل فى التاريخ ج 3 ص 103 و البدايه و النهايه ج 7 ص 154 و راجع: العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 قسم 2 ص 140 و الغدير ج 8 ص 98-102 عنهم.
2- المحلى ج 4 ص 270 و حاشيه ابن التركمانى على سنن البيهقى مطبوعه بهامش السنن ج 3 ص 144، و الغدير ج 8 ص 100.

قال: فخرج معاويه إلى العصر، فصلاها بنا أربعا) (1).

و قال ابن عباس، بعد أن ذكر صلاه عثمان شطرا من خلافته قصرا: (ثم صلاها أربعا، ثم أخذ بها بنو أميه) (2).

أعذار لا تصح:

قد ذكروا أعذارا كثيره للخليفه، و نحن نختار منها نموذجا، و نحيل القارئ فى الباقى إلى المصادر فنقول:

1- لقد اعتذر الخليفه نفسه بأنه إنما فعل ذلک لأنه تأهل بمكه لما قدمها (3).

و قال العسقلانى: (هذا الحديث لا يصح لأنه منقطع، و فى رواته من لا يحتج به، و يرده الخ ..) (4).

و يرده أيضا: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كان يسافر بزوجاته، و يقصر (5).ق.

1- مسند أحمد ج 4 ص 94 و مجمع الزوائد ج 2 ص 156 و عن أحمد و الطبرانى، و قال: رجال أحمد موثقون.
2- الغدير ج 8 ص 101 و كنز العمال ج 8 ص 154 عن عبد الرزاق و الدارقطنى.
3- فتح البارى ج 2 ص 470 عن أحمد و البيهقى و مسند أحمد ج 1 ص 62 و أنساب الأشراف ج 5 ص 39 و مجمع الزوائد ج 2 ص 156 و تاريخ الأمم و الملوک ج 3 ص 322 و البدايه و النهايه ج 7 ص 154 و الكامل فى التاريخ ج 3 ص 103 و زاد المعاد ج 1 ص 129 و فيه: أنه كان قد تأهل بمنى، و أحكام القرآن ج 2 ص 254.
4- فتح البارى ج 2 ص 470.
5- راجع المصدر السابق.

و قال العلامه الأمینی: (ما المسوغ له ذلک، و قد دخل مکه محرما؟

و کیف یشیع المنکر، و یقول: تأهلت بمکه مذ قدمت؟ و لم یکن متمتعا بالعمره- لأنه لم یکن یبیح ذلک أخذا برأی من حرمها کما یأتی تفصیله- حتی یقال: إنه تأهل بین الإحرامین، بعد قضاء نسک العمره، فهو لم یزل کان محرما من مسجد الشجره، حتی أحل بعد تمام النسک بمنی) ..

إلی أن قال: (و قد صح من طریق عثمان نفسه عن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) من قوله: (لا ینکح المحرم، و لا ینکح، و لا یخطب) (1).

ثم ذکر (رحمه اللّه) نصوصا أخری: حول عدم جواز التزوج حال الإحرام فلتراجع (2).

هذا بالإضافه: إلی أنه لا معنی للحکم بالإتمام للمسافر إذا تزوج امرأه فی بلد ما لأن المرأه هی التابعه للرجل و لیس العکس.

و لو کان حکم عثمان الإتمام لأنه تزوج امرأه هناک، فلماذا یتم سائر الناس الذین یأتمون به؟! و لماذا یصر علی علی (علیه السلام) بالإتمام حینما أراده علی الصلاه مکانه؟!

و لماذا یصرون علی معاویه بالعمل بسنه عثمان، ثم یستمر بنو أمیه علی5.

1- ذکر فی الغدیر ج 8 ص 104، المصادر التالیه: الموطأ ج 1 ص 321 و فی طبعه أخری 254 و الأم ج 5 ص 160 و مسند أحمد ج 1 ص 57 و 64 و 65 و 68 و 73 و صحیح مسلم ج 1 ص 935 و سنن الدارمی ج 2 ص 38 و سنن أبی داود ج 1 ص 290 و سنن ابن ماجه ج 1 ص 606 و سنن النسائی ج 5 ص 192 و سنن البیهقی ج 5 ص 65 و 66.
2- الغدیر ج 8 ص 104 و 105.

ذلک؟!

و لماذا یصلی ابن مسعود و عبد الرحمن بن عوف بأصحابه تماما، لأن الخلاف شر؟!

و لماذا؟. و لماذا؟!..

2- و ثمه عذر آخر، و هو أنه إنما أتم فی منی و عرفه، لأنه کان له مال بالطائف (1).

و هو اعتذار لا یصح أیضا، لأن وجود ملک أو دار فی مکه فضلا عن الطائف لا یوجب الإتمام. و قد قصر الصحابه الذین حجوا مع رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و لم یأمرهم النبی (صلی اللّه علیه و آله) بالإتمام، و لا أتموا بعد رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) (2).

هذا بالإضافه إلی أن الذین ائتموا به لم یکن کلهم لهم أملاک هناک.

و لماذا یصر هو علی علی (علیه السلام)، و یصر بنو أمیه علی الإتمام بعد ذلک؟! و لماذا؟! و لماذا؟!

3- و اعتذر أیضا بأنه خاف أن یظن أهل الیمن و الأعراب المقیمون:

أن الصلاه للمقیم رکعتان (3).8.

1- أنساب الأشراف ج 5 ص 39 و تاریخ الأمم و الملوک ج 3 ص 322 و الکامل فی التاریخ ج 3 ص 103 و البدایه و النهایه ج 7 ص 154 و العبر و دیوان المبتدأ و الخبر ج 2 قسم 2 ص 140 و سنن أبی داود ج 2 ص 199.
2- الأم ج 1 ص 165 و سنن البیهقی ج 3 ص 153.
3- راجع: أنساب الأشراف ج 5 ص 39 و تاریخ الأمم و الملوک ج 3 ص 322 و زاد المعاد ج 1 ص 129 و البدایه و النهایه ج 7 ص 154 و الکامل فی التاریخ ج 3 ص 103 و سنن أبی داود ج 2 ص 200 و سنن البیهقی ج 3 ص 144 و نیل الأوطار ج 2 ص 260 و کنز العمال ج 8 ص 152 عن البیهقی و ابن عساکر و الغدیر ج 8 ص 100 و المصنف ج 2 ص 518.

و لكن هذا العذر غير مقبول أيضا، إذ قد كان يمكن تعليم الناس على الحكم الشرعى بأسلوب آخر.

كما أن هذا الفعل قد يوجب أن يظن أهل اليمن، و الأعراب: أن الصلاه فى السفر أربع ركعات.

أضف إلى ذلک: أن رسول اللّه لم يفكر فى تعليم الناس بهذه الطريقه، مع أنه كان يوجد فى زمنه أعراب، و كان أهل اليمن يحجون فى عهد أسلاف عثمان أيضا.

و قد قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لأهل مكه، بعد أن صلى ركعتين: (أتموا الصلاه يا أهل مكه فإنا سفر أو قال: يا أهل البلد صلوا أربعا فإنا سفر) (1).

و روى أن عمر أيضا كان يفعل و يقول ذلک فراجع (2).

4- إن منى أصبحت قريه و صار فيها منازل، فتأول عثمان أن القصر إنما هو فى حال السفر (3).9.

1- سنن البيهقى ج 3 ص 136 و 157 و أحكام القرآن للجصاص ج 2 ص 254.
2- سنن البيهقى ج 3 ص 126 و المحلى ج 5 ص 18 و الموطأ ج 1 ص 164 و فتح البارى ج 2 ص 470.
3- زاد المعاد ج 1 ص 129.

و نقول:

معنى هذا: أن عثمان كان لا يعرف حكم القصر، و أنه كان يظن أن القصر إنما يجب فى حال المشي فى الصحراء فقط، فإذا بلغ المسافر قريه و نزل فيها، فإنه يتم حينئذ، مع أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد قصر فى مكه نفسها، و قد كانت مكه بلدا كبيرا و معمورا أكثر من منى و عرفات بمراتب.

5- إنه أقام بها ثلاثا و المقيم يتم (1).

و هو عذر واه إذ إن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد أقام فى مكه ما يقرب من عشره أيام، و لم يزل يصلى فيها قصرا (2).

6- إنه كان قد نوى الإقامه بعد الحج، و الاستيطان بمنى و اتخاذها دار الخلافه ثم بدا له بعد ذلک (3).

و على حسب نص آخر: أنه قد نوى الإقامه بعد الحج (4).

و الجواب عن ذلک:

أولا: ما قاله العسقلانى من أن سنده مرسل.30 (5) أعذار لا تصح: ..... ص : 26 ثالثا: و لو صح ذلک أيضا، فلماذا يتم سائر الناس؟.ر.

1- زاد المعاد ج 1 ص 129.
2- راجع: الغدير ج 8 ص 108 و 109.
3- الغدير ج 8 ص 109 و زاد المعاد ج 1 ص 129.
4- راجع: فتح البارى ج 2 ص 470 و نيل الأوطار ج 3 ص 260 و زاد المعاد ج 2 ص 25 و المصنف ج 2 ص 516 و سنن أبى داود ج 2 ص 199.
5- راجع المصادر فى الهامش الآنف الذكر.

و لماذا يقتدى به الأمويون؟

و لماذا يصر هو على على (عليه السلام) بالإتمام؟!

و لما ذا كان قصر معاويه عيبا له، و لماذا؟ و لماذا؟!

7- إن الإمام حيث نزل فهو عمله و محل ولايته، فكأنه وطنه (1).

و الأسئله الآنفه الذكر آتيه هنا. هذا بالإضافه إلى أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كان إمام الخلائق، فلماذا لم يتم؟! (2).

و قد قصر أبو بكر و عمر، و عثمان نفسه شطرا من ولايته.

8- إن التقصير فى السفر رخصه لا عزيمه (3) كما اعتذر به المحب الطبرى.

و نقول:

أولا: إن ذلک لا يصح، بسبب ورود أحاديث كثيره داله على أن التقصير فى السفر حكم إلزامى، و لا يجزى الإتمام عنه، بل لا بد من إعاده الصلاه لو صلى تماما فى موضع القصر عمدا (4).

ثانيا: لو كان ذلک رخصه فلماذا يصر عثمان على الإتمام، حينما طلب من على أمير المؤمنين أن يصلى بالناس؟! و لماذا يصر الأمويون بعد ذلک على العمل بسنه عثمان، و ترک سنه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)؟!.

ثالثا: لماذا يصر عثمان على الإتمام فى هذا المورد بالذات، دون سائر6.

1- راجع: الغدير ج 8 ص 109 و فتح البارى ج 2 ص 470 و زاد المعاد ج 1 ص 129.
2- فتح البارى ج 2 ص 479 و زاد المعاد ج 1 ص 129.
3- الرياض النضره ج 3 ص 100.
4- راجع: الغدير ج 8 ص 110- 116.

الأسفار؟.

و لماذا ينكر عليه الصحابه ذلک، و يعترضون عليه فيه؟!

و لماذا لم يعتذر هو بهذا العذر لهم بالذات ليسكتهم عنه؟! بل اعتذر عن ذلک بأنه رأی رآه (1).

التقصير رخصه أم عزيمه:

قد تخيل البعض أن القصر فی السفر رخصه، و لعل منشأ فهمهم هذا هو أن الآيه قد قررت ذلک بعباره: فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَقْصُرُوا (2).

قال العامری:

(ظاهرها يدل على أن رخصته مشروطه بالخوف، و دلت السنه على الترخيص مطلقا ..

إلی أن قال: ثم لا يبعد أن يبيح اللّه الشی ء فی كتابه بشرط، ثم يبيحه على لسان نبيه بانحلال ذلک الشرط، الخ ..) (3).

و قد قال بعض الفقهاء: بأن التقصير رخصه، فراجع (4).ه.

1- راجع: تاريخ الأمم و الملوک ج 3 ص 322 و الغدير ج 8 ص 101 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 قسم 2 ص 140 و البدايه و النهايه ج 7 ص 154 و الكامل فی التاريخ ج 3 ص 103 و 104.
2- الآيه 101 من سوره النساء.
3- بهجه المحافل ج 1 ص 227.
4- راجع كنز العرفان ج 1 باب صلاه الخوف، و القصر فی السفر، و غير ذلک من كتب الفقه.

و لكن هذا التخيل مردود.

أولا: للأخبار الكثيره الداله على أن التقصير فى السفر عزيمه و ليس رخصه، و كلام الرسول مفسر للقرآن، و مبين لمعناه، و قد ذكر العلامه الأمينى (رحمه اللّه) طائفه منها (1).

ثانيا: لقد كان من الواضح: أن الكثيرين سوف لن تطيب نفوسهم بترک ركعتين من الصلاه، و يرون فى هذا الأمر تضييعا للأهداف الإلهيه و تساهلا فى امتثال أوامره تعالى، فجاء التعبير بلا جناح ليدفع هذا الوهم، و ليطمئنهم إلى أنه لأغضاضه عليهم، لو فعلوا ذلک، و لا نقص و لا حرج فيه.

نزول آيه التيمم:

و قالوا فى هذه الغزوه: نزلت آيه التيمم (2).

و قيل: بل شرع التيمم فى غزوه بنى المصطلق.

و قيل: فى غزوه أخرى (3).

و نحن نرجئ الحديث عن ذلک إلى غزوه بنى المصطلق؛ فإلى هناک.8.

1- راجع: كتاب الغدير ج 8.
2- تاريخ الخميس ج 1 ص 464 و راجع: السيره الحلبيه ج 2 ص 275 و 278 و شذرات الذهب ج 1 ص 11.
3- السيره الحلبيه ج 2 ص 278.

ص: 36

الفصل الثالث: عظات و كرامات أو سياسات إلهيه

اشاره

ماذا فی هذا الفصل؟!

و هذا الفصل یتعلق ببعض ما یقال: إنه حصل فی ذات الرقاع، و هی الأمور التالیه:

1- إلقاء الأضواء علی قضیه شراء النبی «صلی اللّه علیه و آله» جملا من جابر بن عبد اللّه الأنصاری، و ذلک فی طریق العوده من هذه الغزوه، و ظهور کرامه للنبی «صلی اللّه علیه و آله» بالنسبه لاستعاده ذلک الجمل قوته، بعد أن کان فی آخر الرکب.

ثم سوغ «صلی اللّه علیه و آله» جابرا الجمل و ثمنه. بالإضافه إلی حدیث جری بین النبی «صلی اللّه علیه و آله» و جابر فی طریق العوده إلی المدینه .. ثم إلقاء الأضواء علی القیمه الحقیقیه لهذین الحدثین بالمقدار الذی یسمح لنا به المجال.

2- ثم نتحدث عن قضیه أخری لجابر مع النبی «صلی اللّه علیه و آله»، ترتبط بقضاء دین کان علی عبد اللّه والد جابر، و هی قضیه مثیره و قد تحدثنا عن بعض دلالاتها الهامه بصوره موجزه أیضا.

3- و نذکر أیضا ما قاله النبی «صلی اللّه علیه و آله» فی هذه الغزوه، حینما جاء رجل بفرخ طائر، فأقبل أحد أبویه حتی طرح نفسه بین یدی

الذی أخذ فرخه، و ألقینا الأضواء علی هذه الحادثه حسبما اقتضته المناسبه.

4- ثم تکلمنا عن قصه أخری یقال: إنها حدثت فی هذه الغزوه حیث جاءت أعرابیه إلی النبی «صلی اللّه علیه و آله» بابن لها، لیعالجه، فاستجاب «صلی اللّه علیه و آله» لطلبها، مع إلماحه إلی بعض دلالات هذه القضیه بصوره موجزه أیضا ..

5- ثم نشیر إلی قصه أخری فی هذه الغزوه ظهرت فیها کرامه للنبی «صلی اللّه علیه و آله»، حیث أکل أصحابه من ثلاث بیضات نعام، و شبعوا.

و البیض فی القصعه کما هو، مع إشاره موجزه إلی بعض ما یستفاد من هذا الحدث.

6- و ینتهی بنا المطاف إلی الحدیث عن قضیه أخری یقال: إنها قد حدثت فی هذه الغزوه، و هی قصه ذلک الجمل الذی جاء یستعدی علی صاحبه، فبادر النبی «صلی اللّه علیه و آله» إلی تفریج کربه، و حل مشکلته.

7- ثم استطردنا إلی الحدیث عن الکرامات و المعجزات و عن لزوم معرفه النبی «صلی اللّه علیه و آله» بلغات البشر، و ظهر لنا: أن ذلک کله و سواه من التصرفات المتمیزه و الملفته إنما هی مقتضیات طبیعیه لقیادته «صلی اللّه علیه و آله»- و کذلک الإمام «علیه السلام»- لمسیره البشریه نحو کمالها المنشود، و نحو تحقیق الأهداف الإلهیه من الخلق کله ..

و قد اقتضی ذلک: أن نشیر بصوره موجزه إلی جهات أخری ترتبط بهذا البحث أو تنتهی إلیه؛ فإلی ما یلی من مطالب.

و من اللّه نستمد العون، و القوه، و هو الهادی إلی سواء السبیل.

جمل جابر:

يقول المؤرخون: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله» و هو فى طريقه إلى المدينه اشترى من جابر جملا بأوقيه، و اشترط له ظهره إلى المدينه، و استغفر له فى الطريق خمسا و عشرين مره، و فى الترمذى سبعين مره.

زاد ابن سعد: و سأله عن دين أبيه فأخبره به (1).

و تفصيل ذلک:

أن جابرا کان على جمل ثقال فى سفر، فى آخر القوم؛ فمر به النبى «صلى اللّه علیه و آله»، فقال: من هذا؟!

فقلت: جابر بن عبد اللّه.

قال: فما لک؟!

قلت: إنى على جمل ثقال.

قال: أمعک قضیب؟

قلت: نعم.

قال: أعطنیه، فضربه، فزجره؛ فکان من ذلک المکان من أول القوم.

قال: بعنیه.

قلت: بل هو لک یا رسول اللّه.

قال: بل بعنیه؛ فقد أخذته بأربعه دنانیر، و لک ظهره إلى المدینه.

فلما قدمت المدینه، قال: یا بلال، اقضه و زده.

1- (1) تاریخ الخمیس ج 1 ص 464 و السیره الحلبیه ج 2 ص 273 و طبقات ابن سعد ج 2 ص 61.

فأعطاه أربعه دنانير و زاده قيراطا.

قال جابر رضى اللّه عنه: و أعطانى الجمل و سهمى مع القوم (1).

و فى لفظ عن جابر قال: دخل النبى «صلى اللّه عليه و آله» المسجد، فدخلت إليه، فعلفت الجمل فى ناحيه البلاط، فقلت: يا رسول اللّه، هذا جملک.

فخرج «صلى اللّه عليه و آله» فجعل يطوف بالجمل، قال: الثمن و الجمل لک (2).

و حسب نص آخر قال جابر: «و تحدثت مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فقال لى: أتبيعنى جملک هذا يا جابر؟

قال: قلت: يا رسول اللّه، بل أهبه لک.

قال: لا، و لکن بعنيه.

قال: قلت: فسمنيه يا رسول اللّه.

قال: قد أخذته بدرهم.

قال: قلت: لا، إذن تغبننى يا رسول اللّه.

قال: فبدرهمين.

1- (1) السيره الحلبيه ج 2 ص 273 و راجع دلائل النبوه لأبى نعيم ص 375 و 376 و راجع: الثقات ج 1 ص 258 و 259 و راجع السيره النبويه لابن هشام ج 3 ص 218 و أشار الذهبى إلى قصه الجمل فى تاريخ الإسلام. و راجع: نهايه الأرب ج 17 ص 160 و 161 و راجع: المواهب اللدنيه ج 1 ص 107 و راجع: السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 166 و لا بأس بمراجعه صحيح مسلم ج 4 ص 176.
2- (2) السيره الحلبيه ج 2 ص 273.

قال: قلت: لا.

قال: فلم يزل يرفع لی رسول اللّه «صلی اللّه علیه و آله» فی ثمنه، حتی بلغ الأوقیه.

قال: قلت: فقد رضیت یا رسول اللّه؟

قال: نعم.

قلت: فهو لک.

قال: قد أخذته.

ثم قال: یا جابر، هل تزوجت بعد؟(1).

قال: قلت: نعم یا رسول اللّه.

قال: أثیبا أو بکرا؟!

قلت: لا، بل ثیبا.

قال: أفلا جاریه تلاعبها و تلاعب؟.

قال: قلت: یا رسول اللّه، إن أبی أصیب یوم أحد، و ترک بنات له سبعا(2)؛ فنکحت امرأه جامعه تجمع رؤوسهن، و تقوم علیهن.

1- (1) فی الواقدی ذکر هذه المحادثه بعد قصه شرائه الجمل منه.

2- (2) في الواقدی: تسع بنات. و فی صحیح مسلم ج 4 ص 176: و ترک تسع بنات أو سبع و فی شرح بهجه المحافل ج 1 ص 238 تسعا أو ستا و جمع بین هاتین الروایتین بأن منهن ثلاث متزوجات، لم یعدهن فی روایه الست و دلائل النبوه للبیهقی ج 3 ص 381- 383 و راجع صحیح مسلم ج 4 ص 177 و 176 و راجع صحیح البخاری ج 2 ص 7 و راجع: بهجه المحافل ج 1 ص 238 و شرحه بهامش نفس الجزء و الصفحه.

قال: أصبت إن شاء اللّه أما إنا لو قد جئنا صرارا (موضع على ثلاثه أميال من المدينه) أمرنا بجزور؛ فنحرت و أقمنا عليها يومنا ذاک، و سمعت بنا، فنفضت نمارقها(1).

قال: قلت: و اللّه يا رسول اللّه ما لنا من نمارق.

قال: إنها ستكون؛ فإذا أنت قدمت فاعمل عملا كيسا.

قال: فلما جئنا صرارا أمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بجزور فنحرت، و أقمنا عليها ذلک اليوم، فلما أمسى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» دخل و دخلنا.

قال: فحدثت المرأه الحديث، و ما قال لی رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

قالت: فدونک، فسمع و طاعه.

قال: فلما أصبحت أخذت برأس الجمل، فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قال: ثم جلست فی المسجد قريبا منه.

قال: و خرج رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فرأى الجمل، فقال: ما هذا؟.

قالوا: يا رسول اللّه، هذا جمل جابر جاء به.

قال: فأين جابر؟

قال: فدعيت له.

قال: يا بن أخی، خذ برأس جملک فهو لک.

و دعا بلالا، فقال له: اذهب بجابر فأعطه أوقيه.

قال: فذهبت معه، فأعطانی أوقيه، و زادنی شيئا يسيرا.

1- (1) النمارق: الوسائد الصغيره.

قال: فو اللّه ما زال ينمى عندى، و يرى مكانه من بيتنا، حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا، يعنى يوم الحره(1).

و فى نص آخر: «ثم قدم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قبلى، و قدمت بالغداه؛ فجئت المسجد فوجدته على باب المسجد، فقال: الآن حين قدمت؟

قلت: نعم.

قال: فدع جملک، و ادخل فصل ركعتين.

قال: فدخلت فصليت ركعتين الخ..»(2).

ثم ذكر هبه النبى «صلى اللّه عليه و آله» الجمل، و ثمنه له.

و فى بعض روايات مسلم عن جابر: أن هذه القضيه قد حصلت له، و هم مقبلون من مكه إلى المدينه(3).

اختلافات الروايه فى مقدار ثمن الجمل:

إن المراجع لنصوص هذه الروايه يجد: أن فيها العديد من موارد الاختلاف و التناقض، خصوصا فيما يرتبط بقيمه جمل جابر.

1- (1) السيره النبويه لابن هشام ج 3 ص 217 و 218 و راجع: المغازى للواقدى ج 1 ص 399- 401 و نهايه الأرب ج 17 ص 161 و 162 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 166 و البدايه و النهايه ج 4 ص 86 و 87.
2- (2) دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 382 و صحيح مسلم ج 4 ص 177 و صحيح البخارى ج 2 ص 7 و بهجه المحافل ج 1 ص 238 و 239.
3- (3) بهجه المحافل ج 1 ص 237.

فقيل: اشتراه منه بأوقيه(1) و هى أربعه دنانير.

قال الأشخر اليمنى: «و هى أكثر الروايات، كما نقله البخارى عن الشعبى»(2).

و قيل: بأوقيتين (3).

و قيل: بثلاث (4).

و قيل: بأربع (5).

و قيل: بخمس (6).

و قيل: بست أواق (7).

و قيل: بثمان مئه درهم (8).

و قيل: بخمسه دنانير(9).

1- (1) راجع: السيره الحلبيه ج 2 ص 273 و الثقات ج 1 ص 259 و الروض الأنف ج 3 ص 355 و بهجه المحافل ج 1 ص 239.
2- (2) شرح بهجه المحافل ج 1 ص 239.
3- (3) راجع: بهجه المحافل ج 1 ص 239.
4- (4) راجع: المصدر السابق.
5- (5) السيره الحلبيه ج 2 ص 273 و الروض الأنف ج 3 ص 355 و بهجه المحافل ج 1 ص 239.
6- (6) راجع: المصادر الثلاثه المتقدمه.
7- (7) بهجه المحافل ج 1 ص 239.
8- (8) المصدر السابق.
9- (9) السيره الحلبيه ج 2 ص 273 و الروض الأنف ج 3 ص 355.

و قيل: بدينارين و درهمين (1).

و قيل: بعشرين دينارا(2).

و حملها البعض على أنها كانت دنانير صغارا(3).

و قيل: بأربعه دنانير، بعد أن أعطاه درهما ممازحا له (4).

و هذا القول الأخير: لا ينافى القول بأنه اشتراه بأوقيه، لأن ذلك فى معنى الأوقيه(5).

الزياده المباركه:

و الروايات تصرح: بأن النبى «صلى اللّه عليه و آله» زاد جابرا على ثمن جمله.

و تصرح بعض الروايات: بأنه قد زاده قيراطا.

فقال جابر: «لا تفارقنى زياده رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»؛ فحفظه حتى أصيب منه يوم الحره، ففيه التبرک بآثار الصالحين»(6).

تاريخ قصه جمل جابر:

قيل: إن قصه جمل جابر قد كانت فى غزوه ذات الرقاع حسبما تقدم.

1- (1) الروض الأنف ج 3 ص 355 عن صحيح مسلم.
2- (2) السيره الحلبيه ج 2 ص 274 و بهجه المحافل ج 2 ص 237.
3- (3) شرح بهجه المحافل ج 1 ص 239.
4- (4) السيره الحلبيه ج 2 ص 273 و الروض الأنف ج 3 ص 355.
5- (5) راجع: الروض الأنف ج 3 ص 355.
6- (6) بهجه المحافل ج 1 ص 240.

و بعض الروايات تقتصر على القول بأنها كانت فى رجوعه من مكه إلى المدينه(1).

و قيل: كانت فى رجوعه من غزوه تبوك (2)، و هى متأخره عن غزوه ذات الرقاع.

و قد يناقش فى ذلك: بأن سؤال النبى «صلى اللّه عليه و آله» له عن كونه قد تزوج أو لا، و اعتذاره لتزوجه ثيبا بأنه قد لاحظ حال أخواته، اللواتى تركهن له أبوه المستشهد فى أحد يدل على أنه إنما تزوج بعد مقتل أبيه فى أحد، و لم يؤخر ذلك إلى غزوه تبوک.

إلا أن يقال: إنه قد يكون تزوج أكثر من مره، و تكون مشكله أخواته موجوده فى المرتين، أو يكون قد تأخر زواجه طيله هذه المده، و إن كان ذلک بعيدا.

القيمه الحقيقيه لهذا الحدث:

و إننا حين نراجع قصه جمل جابر، فإننا نجد فيها:

1- ملامح غنيه من الخلق الرفيع لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، لما انطوت عليه من لطف ورقه، و محبه و أريحيه ظاهره، تظهر لنا: أن علاقاته «صلى اللّه عليه و آله» بأصحابه إنما كانت من منطلق الحب و العطف و الصفاء و الموده، مع إجلال منهم له و إكبار، و تقديس.

2- إننا نجد الرسول الأكرم «صلى اللّه عليه و آله» فى هذه القصه- كما

1- (1) السيره الحلبيه ج 2 ص 273 و بهجه المحافل ج 1 ص 237.
2- (2) السيره الحلبيه ج 2 ص 273 و زاد المعاد ج 2 ص 111.

هو فی غیرها- یعیش آلام الآخرین، و یشارکهم الشعور بها. و قد کان والد جابر بن عبد اللّه قد استشهد فی حرب أحد، و أصبح جابر هو المسؤول عن الأسره بعد أبیه، و کان علیه أن یختار للزواج امرأه تستوعب و تتفهم الواقع الذی استجد نتیجه لذلک، و تشارکه فی معالجته بأحسن وجه و أتمه.

و قد ظهرت رقه حال جابر، من الجهه المالیه و المعیشیه، فی أن الجمل الذی أعده لهذه الأسفار البعیده و الشاقه کان من الضعف بحیث أصبح فی آخر الرکب.

و لم یکن الرسول «صلی اللّه علیه و آله» بالذی یغفل عن تفقد حال أصحابه، و الوقوف علیها عن کثب لیشارکهم حیاتهم حلوها و مرها.

و ها هو یجد جابرا علی جمله الضعیف المکدود فی آخر الرکب.

3- إن من الملاحظ: أن الرسول «صلی اللّه علیه و آله» کان یسیر مع الناس، و فی أواخرهم أحیانا، فیعرف حال أصحابه فی مسیرهم ذاک بصوره أتم و أوفی. و لم یکن لیقتصر علی حمله الأخبار إلیه «صلی اللّه علیه و آله»، فکان یندفع للتعرف علی الأمور بنفسه، و من دون أی وسائط، ربما تؤثر التوجهات السیاسیه و الارتباطات الاجتماعیه و غیرها علی مستوی دقتهم، و استیعابهم لسائر الخصوصیات التی یکون الوقوف علیها مفیدا بل و ضروریا فی کثیر من الأحیان.

هذا کله: لو فرض أن هؤلاء النقله علی درجه من الحیطه الدینیه و الورع و الصفاء، و الوفاء. و قد لا یکون الکثیرون منهم کذلک بالفعل.

4- قد لا حظنا: أن النبی الأکرم «صلی اللّه علیه و آله» قد دخل مع جابر- بأسلوب رضی و سلیم- إلی حیاته الخاصه، بل و إلی أعماقها، فعرف

السر الذى لأجله أقدم جابر على التزوج بامرأه ثيب.

و عرف ما يعانى منه جابر من ضغط الظروف، و ما يتحمله من مسؤوليه نجمت عن فقد أبيه و وجود أخواته السبع.

ثم عرف أيضا: أن جابرا لا يملک شيئا من النمارق، أو غيرها مما يتنعم به المتنعمون.

ثم إنه «صلى اللّه عليه و آله» لم يترک توصيه جابر بأن يعمل عملا كيسا، يتسم بالعقلانيه و التدبير.

كما أنه قد أفسح فى آماله و طموحاته حينما أخبره: أن حالته لسوف تتغير، و تتحسن من الناحيه المعيشيه، و لسوف يملک حتى النمارق فى المستقبل، و ما عليه من أجل الحصول على ذلک، و الوصول إليه إلا أن يعمل عملا كيسا.

5- إن عرض النبى «صلى اللّه عليه و آله» على جابر شراء بعيره بطريقه فيها نوع من المداعبه له، ليفتح قلبه، و ليسقط حواجز الرهبه لديه، إنما أراد أن يجعل منه ذريعه لإيصال مال إليه، يستعين به على مصاعب الحياه، و على إحداث تغيير أساسى فيها، و لكن بطريقه لا تبقى مجالا للتساؤل و لا للاعتراض من أحد، بخلاف ما لو بادر إلى تقديم هذا المال إلى جابر دون مبرر ظاهر.

6- و لا نريد أن نترک الحديث عن هذه القضيه دون الإلماح إلى أن ذلک يعطينا درسا دقيقا و رائعا عن طبيعه العلاقات التى تربط بين القائد و الرعيه؛ فهى ليست علاقات السيد و المسود، و الأمير و المأمور، أو القوى و الضعيف أو ما إلى ذلک.

و إنما هى علاقات الإنسان بالإنسان من خلال الإحساس بالمسؤوليه

و الواجب الإلهی و الإنسانی.

و نزید ذلک توضیحا حین نقول: إن سلوک النبی «صلی اللّه علیه و آله» هذا من جهه ذاته لیس تواضعا منه و لا هو إحسان و تفضل فقط، و إنما هو مقتضی إنسانیته الکامله و هو عمل بواجبه الإلهی، و الإنسانی، و إن کان من جهه قیاسه بما هو خارج عن مقام ذاته یعد من التواضع و الإحسان و التفضل فی أعلی درجاتها، و أوضح تجلیاتها.

وفقنا اللّه للسیر علی هدی النبوه، و التأسی برسوله الأکرم الأعظم «صلی اللّه علیه و آله».

کرامه و تکریم:

قال الواقدی: و حدثنی إسماعیل بن عطیه بن عبد اللّه بن أنیس، عن أبیه، عن جابر بن عبد اللّه، قال:

لما انصرفنا راجعین (1)؛ فکنا بالشّقره، قال لی رسول اللّه «صلی اللّه علیه و آله»: یا جابر ما فعل دین أبیک؟!

فقلت: علیه، انتظرت یا رسول اللّه أن یجذّ نخله.

قال رسول اللّه «صلی اللّه علیه و آله»: إذا جذذت فأحضرنی.

قال: قلت: نعم.

ثم قال: من صاحب دین أبیک؟

فقلت: أبو الشحم الیهودی له علی أبی سقه (جمع وسق) تمر.

1- (1) أی من غزوه ذات الرقاع.

فقال لی رسول اللّه «صلی اللّه علیه و آله»: فمتی تجذها؟

قلت: غدا.

قال: یا جابر، فإذا جذذتها فاعزل العجوه علی حدتها، و ألوان التمر علی حدتها.

قال: ففعلت، فجعلت الصیحانی علی حده، و أمهات الجرادین علی حده، و العجوه علی حده، ثم عمدت إلی جماع من التمر، مثل نخبه، و قرن، و شقحه، و غیرها من الأنواع، و هو أقل التمر، و جعلته حبلا واحدا، ثم جئت رسول اللّه «صلی اللّه علیه و آله» فخبرته، فانطلق رسول اللّه «صلی اللّه علیه و آله» و معه علیه أصحابه، فدخلوا الحائط و حضر أبو الشحم.

قال: فلما نظر رسول اللّه «صلی اللّه علیه و آله» إلی التمر مصنفا، قال:

اللهم بارک له.

ثم انتهی إلی العجوه؛ فمسها بیده و أصناف التمر، ثم جلس وسطها، ثم قال: ادع غریمک. فجاء أبو الشحم.

فقال: اکتل.

فاکتال حقه کله من حبل واحد و هو العجوه، و بقیه التمر کما هو.

ثم قال: یا جابر، هل بقی علی أبیک شی ء؟

قال: قلت: لا.

قال: و بقی سائر التمر؛ فأکلنا منه دهرا، و بعنا، حتی أدرکت الثمره من قابل، و لقد کنت أقول: لو بعت أصلها ما بلغت ما کان علی أبی من الدین الخ.. (1).

1- (1) مغازی الواقدی ج 1 ص 401 و 402.

مع الحدث فی دلالاته و خصوصیاته:

و فی وقفه قصیره مع هذا الحدث نلمح باختصار شدید إلی النقاط التالیه:

1- إن رسول اللّه «صلی اللّه علیه و آله» لا ینسی أولئک الصفوه الأبرار، الذین استشهدوا فی سبیل اللّه سبحانه، فیسعی لحل العقد و المشکلات التی ربما تکون لا تزال عالقه، و بحاجه إلی حل.

فها هو یرید إبراء ذممهم من حقوق الناس و دیونهم ما وجد إلی ذلک سبیلا، لکی تطیب سمعتهم و یذکرهم الناس بالإجلال و الإکبار، و من دون أی حزازه، أو غضاضه.

ثم لتطیب نفوس أبنائهم، و أقاربهم، و یزول شعورهم بالحرج أمام الناس و فی أنفسهم، حتی یواجهوا انفراجا فی حالتهم المعیشیه، التی تتسم بشی ء من الضیق و الصعوبه.

2- رغم أن ذلک الدائن لعبد اللّه والد جابر کان رجلا من الیهود، إلا أننا لم نجد ترددا من النبی «صلی اللّه علیه و آله» فی أمر إرجاع المال إلیه، و لا أخذ بنظر الاعتبار مواقف الیهود الحاقده علی الإسلام و علی المسلمین، و مؤامراتهم و کیدهم، و التی کان و لا یزال هو و المسلمون یعانون منها.

و قد یکون من أسباب ذلک- بالإضافه إلی أن هذا هو حکم الإسلام، و هذه هی أخلاقیاته، حتی مع أعدی أعدائه، و هو ینطلق فی ذلک مما یملکه من قیم و مبادئ إنسانیه و إلهیه سامیه و مقدسه- هو:

أنه یرید بذلک أن یقیم حرکه التعامل فیما بین الناس علی أسس و ضوابط ثابته، یمکن للناس أن یعتمدوا علیها، و یرجعوا إلیها و أن یطمئنوا إلی هذا الثبات فیها لیمکنهم التحرک الفاعل و المؤثر بالفعل،

و التخطيط لبناء الحياه فى المستقبل. إذ بدون هذا الثبات، و من دون وضوح ضوابط التعامل، فإن الحياه تصبح قلقه، و غير مشجعه على القيام بمبادرات ذات طابع حيوى و شمولى.

3- إن والد جابر قد استشهد فى حرب أحد، و كانت هذه القضيه قد جرت حين رجوع النبى «صلى اللّه عليه و آله» من غزوه ذات الرقاع التى كانت بعد الحديبيه، حسبما أثبتناه فيما سبق.

و معنى ذلک هو: أنه قد مضت عده سنوات، و لم يستطع جابر أن يقضى دين أبيه، و لعله قد قضى شطرا من ذلک الدين فى السنوات و المواسم السابقه.

نعم، تمضى عده سنوات، و لا ينسى النبى «صلى اللّه عليه و آله» ذلک الدين، الذى لم يستطع جابر أن يتخلص منه، و لم تسنح الفرصه بعد لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أيضا للمبادره إلى ذلک!

4- إن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد قبل أن يكون وفاء دين عبد اللّه من نفس النخلات التى كانت له، و لم يبادر إلى تقديم أيه ضمانه فى أن يتم وفاؤها من بيت مال المسلمين. إذ إن عبد اللّه كان قد استفاد من ذلک المال، ولديه ما يمكن الاعتماد عليه فى وفاء ذلک الدين. و استشهاده لا ينقل هذا الحق عن ماله ليصبح حقا على بيت مال المسلمين.

5- إن طريقه وفاء دين عبد اللّه قد أخذت صفه الكرامه الإلهيه من اللّه لرسوله «صلى اللّه عليه و آله»، حينما ظهرت البركه فى التمر، حتى ليقول جابر، بعد أن استوفى ذلک اليهودى حقه من خصوص العجوه التى هى أفضل أنواع التمر:

«و بقى سائر التمر؛ فأكلنا منه دهرا و بعنا، حتى أدركت الثمره من قابل، و لقد كنت أقول: لو بعت أصلها ما بلغت ما كان على أبى من الدين».

6- و نلفت النظر هنا إلى أن طريقه تعامل النبى «صلى اللّه عليه و آله» مع هذه القضيه تشير إلى أنه «صلى اللّه عليه و آله» كان يخطط لإظهار هذا الأمر، بطريقه تجسيد الواقع. حيث نجد أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد خطط ليكون الحدث فى البستان نفسه، و لم يقنع بأن يؤتى بالثمره إلى البيت.

ثم هو يأمره بتقسيم التمر كل قسم على حده.

ثم هو يلمس العجوه بيده الشريفه، و كذا سائر الأنواع.

ثم يجلس فى وسط التمر ..

بالاضافه إلى: أنه لا يأتى وحده، بل يأتى و معه عليه أصحابه، و ليس خصوص الأشخاص العاديين منهم. ثم يشهد الجميع هذا التكريم لجابر، و يشهدون هذه الكرامه الإلهيه التى أظهرها اللّه على يد رسوله «صلى اللّه عليه و آله».

إلى غير ذلک من دروس و عبر يمكن استفادتها من هذا الحدث. فصلى اللّه على رسوله و على الأئمه الميامين من آله و سلم تسليما كثيرا.

رحمه اللّه بعباده:

و فى هذه الغزوه أيضا جاء رجل بفرخ طائر فأقبل أحد أبويه حتى طرح نفسه بين يدى الذى أخذ فرخه، فعجب الناس من ذلک.

فقال «صلى اللّه عليه و آله»: أتعجبون من هذا الطائر؟ أخذتم فرخه،

فطرح نفسه رحمه لفرخه. و اللّه، لربكم أرحم بكم من هذا الطائر بفرخه (1).

و ما يلفت فى هذه الروايه- على تقدير صحتها، و لا نرى داعيا للوضع فيها- هو أننا نجده «صلى اللّه عليه و آله» يستفيد حتى من مناسبه كهذه ليقوم بدوره فى تعريف أصحابه على أمر يلزمهم أن يعرفوه بعمق و صفاء.

و ذلک من خلال الاستفاده من أسلوب التجسيد الظاهر للحقيقه التى يراد اطلاعهم عليها، و إقناعهم بها. حيث يكون ذلک أوقع فى النفس مما لو اكتفى بأسلوب التعليم النظرى و المجرد، خصوصا إذا أدركنا: أن هذا التجسيد قد ترک أثره النفسى فيهم، و أثار فيهم انفعالات ظهرت على شكل تعجب من رحمه ذلک الطائر بولده، فكان لا بد من الاستفاده من هذه الحاله النفسيه و توظيفها لصالح الإدراک الشعورى بالحقيقه التى يراد لهم لمسها، بروحهم و بمشاعرهم بالدرجه الأولى، ثم بعقلهم فى مرحله لاحقه.

النبى صلى اللّه عليه و آله يعالج ابن الأعرابيه:

و روى: أنه فى هذه الغزوه جاءت امرأه بدويه بابنها إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله»، فقالت له: يا رسول اللّه، هذا ابنى قد غلبنى عليه الشيطان، ففتح فاه فبزق فيه، و قال: اخسأ عدو اللّه أنا رسول اللّه.

ثم قال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لها: شأنک بابنک، لن يعود إليه

1- (1) السيره الحلبيه ج 2 ص 274 و المغازى للواقدى ج 1 ص 398 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 165 و البدايه و النهايه ج 4 ص 86 و دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 379.

شی ء مما کان یصیبه. فکان کذلک (1).

و ذکرت هذه القصه فی غزوه المریسیع أیضا(2) التی ستأتی فی حوادث السنه السادسه.

و نقول:

1- إن هذه الأعرابیه قد جاءت بولدها إلی النبی «صلی اللّه علیه و آله» لیداویه لها. منساقه فی ذلک بدافع من إحساسها الفطری بما لرسول اللّه «صلی اللّه علیه و آله» من قداسه و طهر، و کرامه علی اللّه سبحانه، و بأنه مصدر للبرکات و الکرامات.

و قد استجاب «صلی اللّه علیه و آله» لها، و عالج ولدها بطریقه تکرس هذا الشعور لدیها، ولدی کل من حضر و عاین ما یجری، حیث تفل فی فم ولدها، و أخبرها بالنتیجه بصوره قطعیه.

و ذلک یکذب ما یرید البعض أن یدعیه من أنه صلی اللّه علیه و آله مجرد طارش و رسول، أبلغ الناس رساله و انتهی، و لا شی ء سوی ذلک.

ثم یقولون: إن القداسه إنما هی لرسالته و لیست له، فلا داعی للغلو فیه، و لا للتبرک بآثاره.

2- إن ذلک یشیر أیضا: إلی أن علی الناس أن یعوا: أن للأمور المعنویه و الروحیه دورها فی دفع البلایا التی یتعرض لها الإنسان کما أن علیهم أن یؤمنوا بأن ما یعتری الإنسان من أعراض و أمراض، لیس کله ناشئا عن

1- (1) السیره الحلبیه ج 2 ص 274.
2- (2) السیره الحلبیه ج 2 ص 292.

تحولات ماديه فيه، و لا يمكن تفسيره كله على هذا الأساس. فإن هناک قوى خفيه تشارک أيضا فى التأثير فى حياه الإنسان و فى سلامته. و إن معالجه آثار تصرفاتها لا يكون من خلال الوسائل الماديه فى أحيان كثيره، بل لا بد من وسائل أخرى قد لا يؤمن بها كثير من الماديين.

كرامه أخرى لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:

و يذكر المؤرخون فى حوادث هذه الغزوه: أن رجلا جاء للنبى «صلى اللّه عليه و آله» بثلاث بيضات من بيض النعام، فقال «صلى اللّه عليه و آله» لجابر: دونک يا جابر، فاعمل هذه البيضات.

قال جابر: فعملتهن، ثم جئت بهن فى قصعه، فجعلنا نطلب خبزا، فلم نجد، فجعل «صلى اللّه عليه و آله» و أصحابه يأكلون من ذلک البيض بغير خبز، حتى انتهى كل إلى حاجته، أى إلى الشبع، و البيض فى القصعه كما هو(1).

و ذكرت هذه القصه فى غزوه المريسيع (2).

و نقول:

و فيها أيضا: كرامه ظاهره لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله». و ربما يكون ظهور هذه الكرامات ضروريا من أجل أن لا يغتر المسلمون بأنفسهم، فيرون:

أن ما يحققونه من انتصارات على أعدائهم، ثم ما يحصلون عليه من مكاسب، ماديه، و معنويه، و شوكه، و نفوذ، على مستوى المنطقه بأسرها، إنما كان بالدرجه الأولى بسبب هذه الألطاف الإلهيه، التى يشملهم اللّه بها، و ليس التأثير مقتصرا

1- (1) السيره الحلبيه ج 2 ص 274 و المغازى للواقدى ج 1 ص 399.
2- (2) السيره الحلبيه ج 2 ص 292.

على قدراتهم الذاتيه، و حسن تدبيرهم فى الاستفاده منها فى الوقت المناسب، و فى المحيط المناسب.

و من جهه ثانيه، فإن من الواضح: أن وجود النبى «صلى اللّه عليه و آله» بين ظهرانيهم، لا ينبغى أن يؤثر على نوع و مستوى العلاقه التى يجب أن تحكم نظرتهم إليه «صلى اللّه عليه و آله».

فلا يجوز أن يعتادوا عليه، إلى درجه أن يصبح رجلا عاديا فيما بينهم، بل لا بد من الاحتفاظ بذلک الشعور العفوى لديهم و الذى يؤكد على ارتباطه «صلى اللّه عليه و آله» بالغيب، بالمصدر الأول جل و علا ..

فتأتى هذه الكرامات لتحدث التصحيح فى مسار تعاملهم معه و نظرتهم إليه؛ لأن هذا التصحيح ضرورى، و لا بد منه، إذا أريد لكل كلمه و موقف منه «صلى اللّه عليه و آله» أن يحدث الأثر العميق و الدقيق فى روح الإنسان، و فى مشاعره، و فى سلوكه، فضلا عن أن يحدث التغيير الجذرى فى تكوينه الفكرى و العقيدى بصوره عامه.

و لأجل ذلک قلنا: إن ظهور هذه الكرامات كان ضروريا من فتره لأخرى حسبما تقتضيه المصلحه الإيمانيه و الإسلاميه فى مختلف المجالات، و على جميع المستويات. و هذا واضح لا يكاد يخفى على أحد.

جمل يستعدى على صاحبه:

و فى هذه الغزوه أيضا- كما يقولون-: جاء جمل حتى وقف عنده «صلى اللّه عليه و آله» و رغا، فأخبر النبى «صلى اللّه عليه و آله» أصحابه بأن هذا الجمل يستعديه على سيده، (يزعم: أنه كان يحرث عليه منذ سنين، و أنه أراد

أن ينحره) و قال «صلی اللّه علیه و آله»: إذهب یا جابر إلی صاحبه، فأت به.

قال جابر (رض): فقلت: لا أعرفه.

قال: إنه سیدلک علیه.

قال جابر: فخرج بین یدی حتی وقف علی صاحبه، فجئته به، فکلمه «صلی اللّه علیه و آله» فی شأن الجمل (1).

و نقول:

قد ذکرت هذه القصه أیضا فی غزوه بنی المصطلق (المریسیع)(2).

و نحن نسجل هنا النقاط التالیه:

1- قد ذکرت هذه الروایه: أن الناس کانوا یحرثون علی الإبل فی ذلک الزمان و لا ندری مدی صحه ذلک.

2- إن هذه الروایه تؤکد ما ورد فی الروایات المتواتره، التی قد تعد بالمئات، و تؤکد علی ما للحیوانات من حقوق یلزم مراعاتها، و الالتزام بها.

و قد ألف سماحه العلامه الحجه الشیخ علی الأحمدی «رحمه اللّه» کتابا قیما لم یطبع بعد، و لنا فی هذا المجال کتاب باسم «حقوق الحیوان فی الإسلام» فیمکن الرجوع إلیه ..

معرفه النبی صلی اللّه علیه و آله بلغات البشر، و الحیوان و الجماد، و الشجر:

3- قد أوضحت هذه الروایه: و دلت الروایات الکثیره غیرها علی أن

1- (1) السیره الحلبیه ج 2 ص 273 و راجع: بصائر الدرجات ص 348 و 350 و 351 و 352.
2- (2) السیره الحلبیه ج 2 ص 292.

النبی «صلی اللّه علیه و آله» کان یعرف ألسنه الحیوانات عموما. و قد فهم ما قاله الجمل، الذی جاء إلیه «صلی اللّه علیه و آله» لیشتکی سیده الذی کان یحرث علیه منذ سنین، و الآن یرید أن ینحره الخ ..

و نجد فی کتب الحدیث و التاریخ الشی ء الکثیر مما یتحدث عن کرامات لرسول اللّه «صلی اللّه علیه و آله»، منذ ما قبل بعثته، و حتی وفاته، مثل تسلیم الحجر و الشجر علیه «صلی اللّه علیه و آله»، و تسبیح الحصی فی کفیه.

و کذلک امتثال الشجر أوامره، و شهادته له، و مجی ء الشجره إلیه لتظله، و تسلم علیه، و تأمین أسکفه الباب، و حوائط البیت علی دعائه، و تسبیح الطعام بین أصابعه.

و إخبار الشاه له بأنها مسمومه و شکوی البعیر له قله العلف، و کثره العمل.

و شکوی بعض الطیور له «صلی اللّه علیه و آله» أخذ بیضه أو فراخه، و سجود البعیر و الغنم له و تکلیم الحمار له، و شهاده الجمل عنده: أنه لصاحبه الأعرابی دون من ادعاه، و سؤال الظبیه أن یخلصها لترضع ولدها و تعود، و غیر ذلک (1).

و من جهه ثانیه: فقد دلت النصوص الکثیره علی أنه «صلی اللّه علیه و آله» کان یعرف لغات البشر أیضا، و قد تکلم بعدد منها فی مناسبات عدیده(2).

1- (1) هذه الکرامات و سواها موجوده فی کتب الحدیث و السیره فراجع علی سبیل المثال: السیره الحلبیه ج 3 ص 283 و 284 و السیره النبویه لدحلان(بهامش الحلبیه ج 3 ص 128 فما بعدها).
2- (2) راجع: مکاتیب الرسول للأحمدی ج 1 ص 15 و 16.

سؤالان يحتاجان إلى جواب:

1- السؤال الأول:

و السؤال الذی یواجهنا بادئ ذی بدء هو:

هل إن هذه القضایا و کثیرا غیرها مما زخرت به المجامیع الحدیثیه و التاریخیه، و غیرها، لا بد من تصنیفها فی عداد الکرامات و المعجزات، و خوارق العادات، التی تهدف إلی مواجهه الإنسان المکابر أو الشاک بالصدمه التی توصد أمامه کل أبواب التملص و التخلص، و التجاهل للواقع، و دلائله الظاهره، و أعلامه الباهره، و حججه القاهره؟!.

أم أن الأمر یتعدی ذلک لیصب فی خانه تجلی السنن و النوامیس الحقیقیه التی تحکم المسار العام فیما یرتبط بتبلور الشخصیه القیادیه الواقعیه فی نطاق هیمنه هذه القیاده علی المسار الواقعی العام، من خلال تلک النوامیس، و علی أساسها؟!

علما بأن ذلک لا یقلل من قیمه تلک الکرامات و المعجزات، بل هو یجلیها بصفتها ضروره حیاتیه فی نطاق الهدایه الإلهیه التامه علی أساس نوامیس الواقع و مقتضیاته.

2- السؤال الثانی:

و ثمه سؤال آخر نعرض له هنا، و هو:

أنه إذا کان النبی الأکرم «صلی اللّه علیه و آله» یعرف جمیع اللغات؛ فلماذا یصر علی مراسله عظیم فارس، و عظیم الروم و ملک الحبشه، و المقوقس، و غیرهم بخصوص اللغه العربیه؟!

و هل ثمه خلفیات سیاسیه، أو تشریعیه دینیه أو غیرها وراء هذا

التمسک باللغه العربیه؟!

و أکثر من ذلک: أننا نجد الإسلام لا یرضی فی عباداته، و فی موارد معینه أخری بغیر اللغه العربیه. فلا تصح الصلاه مثلا باللغات الأخری، من أی کان من الناس: العربی، و الرومی، و الحبشی، و الفارسی، و غیرهم.

فما هو السر و الدافع إلی هذا الإلزام و الالتزام، یا تری؟!.

الإجابه و التوضیح:

و نحن فی مقام الإجابه علی هذین السؤالین، نقدم الحدیث و الإجابه علی ثانیهما؛ فنقول:

1- الإجابه علی السؤال الثانی:

إنه یفترض فی کل حضاره تستهدف إحداث تغییرات حقیقیه و جذریه فی المجالات الحیاتیه المتنوعه من سیاسیه و اقتصادیه، و اجتماعیه، و فکریه، و غیرها و حتی فی بناء الشخصیه الإنسانیه، و التأثیر و التغییر فی مشاعر الإنسان، و أحاسیسه، و عواطفه، فضلا عن خصائصه و مزایاه، و کل وجوده،

نعم .. إنه یفترض فی هکذا حضاره أن تفرض علی الشعوب و الأمم التی ترید أن تحیا فی ظلها هیمنه فکرها، و ثقافتها، و أن تزرع فیها مصطلحاتها و تعابیرها الخاصه بها، ذات الإیحاءات و المدالیل المعینه و الهادفه، و تنفذ من خلال هذه المصطلحات و علی أساس ذلک الفکر، و بروافد من تلک الثقافه إلی مناطق اللاوعی فی الأحاسیس و المشاعر، و فی القلوب و الضمائر لتلک الأمم و الشعوب. و تتغلغل فی أعماقها؛ لتصبح جزءا لا یتجزء من وجودها، و من شخصیتها، و من کیانها العتید.

بل لقد رأينا: أنه حتى الدول لا تألو جهدا فى فرض لغتها، و عاداتها، و مفاهيمها على الشعوب التى تهيمن عليها.

و إذا كان اللّه سبحانه قد أرسل نبيه إلى جميع الأمم فلا بد- و الحاله هذه- من أن تهيمن لغه القرآن، و ثقافه الإسلام و الإيمان على العالم بأسره.

لأن القرآن كتاب العالم، و دستور البشريه جمعاء، و لعل هذا هو الذى يفسر لنا بعض ما ورد فى الحث على تعلم اللغه العربيه و تعليمها فراجع.

2- الإجابه على السؤال الآخر:

أما الإجابه على السؤال الآخر، و هو أول السؤالين المتقدمين، فإننا نقول:

هناک معجزات و کرامات فی اتجاهات ثلاثه:

الأول: من الواضح: أن هناک معجزات قد ظهرت للنبى الأکرم «صلى اللّه علیه و آله» و للأنبیاء السابقین، و کذلک للأوصیاء، حینما کانوا یواجهون التحدى الوقح من أهل الشرک و العناد؛ بحیث لو لم تظهر المعجزه، أو الکرامه لاستطاع أولئک الشیاطین أن یثیروا الشبهات المضعفه للدعوه؛ و الموجبه لزعزعه درجه الطمأنینه و الوثوق لدى کثیر ممن آمن بها و اطمأن إلیها، أو یحدث نفسه بذلک.

فتأتى المعجزه لتثبت أولئک، و تشجع هؤلاء، و لتسحق أیضا کبریاء المستکبرین، و تکسر شوکتهم، و یکون بها خزى المعاند، و بوار کید الماکر و الحاقد.

الثانى: و ثمه معجزات و کرامات، و خوارق عادات أکرم اللّه بها أنبیاءه و أولیاءه تشریفا لهم، و تجله و تکریما، و إعزازا لجانبهم. و قد یستفید منها

المؤمن القوى سموا و رسوخ قدم فى الإيمان، و يتثبت بها ضعيف الإيمان، فيزداد بصيره فى الأمر، و تسكن نفسه، و يطمئن قلبه، على قاعده قوله تعالى:

قالَ أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى وَ لكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى (1).

و على قاعده: سُبْحانَ الَّذِى أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا(2).

الثالث: ذلک القسم الذى ظهر فيه: أنه يتعامل فيه مع المخلوقات من موقع المدبر، و الراعى، و الحافظ لها، من موقع أنها جزء من التركيبه العامه، حيث لا بد من التعامل معها على هذا الأساس.

و هذا القسم الأخير هو الذى يعنينا البحث عنه هنا.

فنقول:

إن اللّه سبحانه قد أراد لهذا الإنسان أن يدخل إلى هذا الوجود، ليقوم بدور هام فيه. و قد اختار اللّه له هذه الأرض ليتحرک عليها، و ينطلق فيها و منها.

و كان عليه أن يستفيد مما خوله اللّه إياه من طاقات و إمكانات لإعمارها، و بث الحياه فيها، بل و الهيمنه و التسلط على كل ما فى هذا الكون، و تسخيره، و الاستفاده مما أودعه اللّه فيه من طاقات و قدرات، من خلال تفعيل نواميسه الطبيعيه و إثاره دفائنه و كوامنه و توظيفها فى مجالات البناء الإيجابى، و الصحيح، الذى يسهم فى إسعاد هذا الإنسان، و فى تكامله،

1- (1) الآيه 260 من سوره البقره.
2- (2) الآيه 1 من سوره الإسراء.

و نموه المطرد فی مختلف جهات وجوده، حتی فی جوانبه النفسیه و الروحیه، و الفکریه، و العقیدیه، فضلا عن النواحی الأخری، من اجتماعیه و اقتصادیه و غیرها.

کل ذلک وفقا للخطه المرسومه فی نطاق التربیه الربانیه، و الإعداد و المواکبه المستمره لهذا الإنسان فی تحرکه نحو الأهداف الإنسانیه و الإلهیه السامیه و النبیله العلیا، و هو دائب الکدح إلی اللّه، و من أجله و فی سبیله، لا غیر، و لیس إلا.

یا أَیُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّکَ کادِحٌ إِلی رَبِّکَ کَدْحاً فَمُلاقِیهِ ..(1).

و لکی یتضح ما نرمی إلیه بصوره أوفی و أصفی، نذکر هنا آیات قرآنیه أشارت إلی أن جمیع ما فی هذا الکون مسخر للبشر.

و آیات أخری، تتحدث عن وجود درجه من الشعور و الإدراک لدی المخلوقات، من حیوانات و غیرها.

بالإضافه إلی نماذج من التعامل الإیجابی و آفاقه، و ما یترتب علی ذلک، فنقول:

تسخیر المخلوقات للإنسان فی الآیات القرآنیه:

لقد أشارت الآیات القرآنیه إلی تسخیر الموجودات للإنسان، و یتضح ذلک بالتأمل فی الآیات التالیه:

هُوَ أَنْشَأَکُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ اسْتَعْمَرَکُمْ فِیها ..(2).

1- (1) الآیه 6 من سوره الإنشقاق.

2- (2) الآیه 61 من سوره هود.

أَ لَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ وَ أَسْبَغَ عَلَیْکُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَ باطِنَةً ..(1).

وَ سَخَّرَ لَکُمْ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً مِنْهُ ..(2).

.. وَ سَخَّرَ لَکُمُ الْفُلْکَ لِتَجْرِیَ فِی الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَ سَخَّرَ لَکُمُ الْأَنْهارَ، وَ سَخَّرَ لَکُمُ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دائِبَیْنِ وَ سَخَّرَ لَکُمُ اللَّیْلَ وَ النَّهارَ، وَ آتاکُمْ مِنْ کُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوها ..(3).

وَ هُوَ الَّذِی سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْکُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِیًّا وَ تَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْیَةً تَلْبَسُونَها ..(4).

الشعور و الإدراک لدی المخلوقات:

ثم إن الإنسان یرید أن یتعامل مع کون لیس جمادا بقول مطلق، و إنما کل الموجودات فیه تمتلک درجه من الشعور و الإدراک، و إن کنا لا نعرف کنهه و لا حدوده.

و قد تحدث القرآن عن السماوات، و الأرض، و الجبال و الطیر و کل الموجودات، بطریقه ترکز هذا المعنی، و تدفع أی تشکیک أو تردید فیه.

فلنقرأ معا الآیات التالیه:

قال تعالی مخاطبا نبیه موسی «علیه السلام»: قالَ لَنْ تَرانِی وَ لکِنِ انْظُرْ

1- (1) الآیه 20 من سوره لقمان.
2- (2) الآیه 13 سوره الجاثیه.
3- (3) الآیات 32- 34 من سوره إبراهیم.
4- (4) الآیات 14- 18 من سوره النحل.

إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَرانِی فَلَمَّا تَجَلَّی رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَکًّا ..(1).

و قال تعالی: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَهَ عَلَی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ فَأَبَیْنَ أَنْ یَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ کانَ ظَلُوماً جَهُولاً(2).

و قال سبحانه عن داود: إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبالَ مَعَهُ یُسَبِّحْنَ بِالْعَشِیِّ وَ الْإِشْراقِ، وَ الطَّیْرَ مَحْشُورَهً کُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (3).

و قال فی آیه أخری عن داود أیضا: یا جِبالُ أَوِّبِی مَعَهُ وَ الطَّیْرَ ..(4).

و المراد بالتأویب ترجیع التسبیح علی ما یظهر.

و قال تعالی: وَ یُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ (5).

و قال: وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ یَسْجُدانِ (6).

و قال تعالی: تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِیهِنَّ وَ إِنْ مِنْ شَیْ ءٍ إِلَّا یُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لکِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِیحَهُمْ إِنَّهُ کانَ حَلِیماً غَفُوراً(7).

و تسبیح ما فی السماوات و الأرض، مذکور فی عده آیات (8).

1- (1) الآیه 143 من سوره الأعراف.
2- (2) الآیه 72 من سوره الأحزاب.
3- (3) الآیتان 18 و 19 سوره ص.
4- (4) الآیه 10 من سوره سبأ.
5- (5) الآیه 13 من سوره الرعد.
6- (6) الآیه 6 من سوره الرحمن.
7- (7) الآیه 44 من سوره الإسراء.
8- (8) راجع: الآیتان 1 و 24 من سوره الحشر و الآیه 1 من سوره التغابن و الآیه 1 من سوره الصف و الآیه 1 من سوره الجمعه و الآیه 1 من سوره الحدید.

و قال سبحانه: لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَهِ اللَّهِ (1).

و قال تعالى: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِى السَّماواتِ وَ مَنْ فِى الْأَرْضِ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ وَ الْجِبالُ وَ الشَّجَرُ وَ الدَّوَابُّ وَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ (2).

و قال جل و علا: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ (3).

فكل ما تقدم يشير بوضوح: إلى أن هذه المخلوقات تملک حاله شعوريه و إدراكيه معينه، و ليست مجرد جمادات أو حيوانات خاويه من ذلک بصوره نهائيه.

و هذا ما يفسر لنا: أننا نجد أن اللّه قد تعاطى معها بطريقه تكرس هذا الفهم، و ترسخه، و لا تبقى مجالا لأى تشكيک أو ترديد فيه.

نماذج حيه من تسخير الموجودات العاقله:

فإذا كان اللّه سبحانه قد سخر المخلوقات لهذا الإنسان، واتضح أن هذه المخلوقات تمتلک صفه الشعور و الإدراک، و لها أعمال عقلانيه و مرتبطه بالشعور و مستنده إليه فإننا نذكر هنا نموذجا قرآنيا حيا، و واقعيا لهذا التسخير تجلت فيه طريقته، و أبعاده و مجالاته بصوره ظاهره. حيث ذكرت

1- (1) الآيه 21 من سوره الحشر.
2- (2) الآيه 18 من سوره الحج.
3- (3) الآيه 41 من سوره النور.

الآیات أن اللّه سبحانه قد سخر الریح، و الطیر، و الجبال، و الجن لسلیمان و داود «علیهما السلام». بالإضافه إلی هیمنتهما بدرجه ما علی نوامیس الطبیعه التی تفید الهیمنه علیها فی تحقیق الغایات التی یتم السعی لها، و التحرک باتجاهها، کما أشار إلیه اللّه سبحانه حین تحدث أنه تعالی قد ألان الحدید لداود.

فلنقرأ ذلک کله فی الآیات التالیه:

قال تعالی: .. وَ سَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ یُسَبِّحْنَ وَ الطَّیْرَ وَ کُنَّا فاعِلِینَ، وَ عَلَّمْناهُ صَنْعَهَ لَبُوسٍ لَکُمْ لِتُحْصِنَکُمْ مِنْ بَأْسِکُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شاکِرُونَ، وَ لِسُلَیْمانَ الرِّیحَ عاصِفَهً تَجْرِی بِأَمْرِهِ إِلی الْأَرْضِ الَّتِی بارَکْنا فِیها وَ کُنَّا بِکُلِّ شَیْ ءٍ عالِمِینَ، وَ مِنَ الشَّیاطِینِ مَنْ یَغُوصُونَ لَهُ وَ یَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذلِکَ وَ کُنَّا لَهُمْ حافِظِینَ (1).

إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبالَ مَعَهُ یُسَبِّحْنَ بِالْعَشِیِّ وَ الْإِشْراقِ، وَ الطَّیْرَ مَحْشُورَهً کُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (2).

و قال تعالی عن سلیمان: فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّیحَ تَجْرِی بِأَمْرِهِ رُخاءً حَیْثُ أَصابَ، وَ الشَّیاطِینَ کُلَّ بَنَّاءٍ وَ غَوَّاصٍ، وَ آخَرِینَ مُقَرَّنِینَ فِی الْأَصْفادِ(3).

قصه سلیمان و داود نموذج فذ:

و إذا راجعنا سوره النمل، فإننا نجد فیها نماذج فذه عن تعاطی سلیمان

1- (1) الآیات 79- 82 من سوره الأنبیاء.
2- (2) الآیتان 18 و 19 من سوره ص.
3- (3) الآیات 36- 38 من سوره ص.

و داود مع ما آتاهما اللّه سبحانه فی هذا المجال. و أول ما یواجهنا فی الحدیث عنهما «علیهما السلام» هو أنه تعالی قد وفر لهما الأدوات الضروریه للتعامل مع هذه المخلوقات فی نطاق رعایتها و هدایتها و توجیهها. فنجدها تبدأ الحدیث بأن اللّه قد آتاهما علما، و علّما منطق الطیر، و أوتیا من کل شی ء، ثم ذکرت الآیات نماذج تطبیقیه لهذا العلم، و للمعرفه بجمیع الألسنه، ثم لتأثیر ما آتاه اللّه سبحانه فی إداره الأمور، و توجیهها و رعایتها و الهیمنه علیها بصوره حیویه و بناءه و إیجابیه، لا تأتی إلا بالخیر، و لا تؤدی إلا إلی الفلاح.

آیات من سوره النمل:

.. وَ لَقَدْ آتَیْنا داوُدَ وَ سُلَیْمانَ عِلْماً وَ قالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی فَضَّلَنا عَلی کَثِیرٍ مِنْ عِبادِهِ الْمُؤْمِنِینَ، وَ وَرِثَ سُلَیْمانُ داوُدَ وَ قالَ یا أَیُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّیْرِ وَ أُوتِینا مِنْ کُلِّ شَیْ ءٍ إِنَّ هذا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِینُ، وَ حُشِرَ لِسُلَیْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ وَ الطَّیْرِ فَهُمْ یُوزَعُونَ، حَتَّی إِذا أَتَوْا عَلی وادِ النَّمْلِ قالَتْ نَمْلَهٌ یا أَیُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساکِنَکُمْ لا یَحْطِمَنَّکُمْ سُلَیْمانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لا یَشْعُرُونَ، فَتَبَسَّمَ ضاحِکاً مِنْ قَوْلِها(1).

ثم تحدثت الآیات عن قصته «علیه السلام» مع الهدهد، و الدور الذی قام به، ثم ما کان من الإتیان بعرش بلقیس، بواسطه ما کان لدی ذلک الآتی به من علم من الکتاب. و أن ذلک قدتم قبل أن یرتد طرف سلیمان إلیه.

1- (1) الآیات 15- 19 من سوره النمل.

مع آيات سوره النمل:

و قد أظهرت الآيات المتقدمه كيف تم توظيف كل القدرات الماديه و غيرها فى تحقيق رضا اللّه سبحانه، و بناء الحياه و تكاملها باتجاه الأهداف الإلهيه و وفقا للخطه المعقوله و المقبوله له تعالى. بدءا من قصه تبسم سليمان من قول النمله، مرورا بقصه الهدهد، و الإتيان بعرش بلقيس بتلک الطريقه المثيره، ثم تنكير عرشها لها، و انتهاءا بأمرها بدخول الصرح الذى حسبته لجه، مع أنه صرح ممرد من قوارير.

و قد تجسد ذلک كله من خلال حاكميه و إمامه سليمان عليه و على نبينا و آله الصلاه و السلام، و رعايته و هدايته التامه و الشامله.

و قد كانت هذه الهدايه و الرعايه مستنده إلى علم آتاه اللّه إياه، و الى إمكانات ذات صفه شموليه: وَ أُوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْ ءٍ. فلم يكن ثمه أى قصور فى القدرات الذاتيه، فقد علم سليمان منطق الطير، و أوتى من العلم ما يكفيه فى مهمته الكبيره و الخطيره.

كما أنه لم يكن ثمه نقص فى الإمكانات الماديه، كما أشرنا. و كان سليمان أيضا يحظى برعايه اللّه تعالى له، و لطفه به، و تسديده و تأييده إلى درجه العصمه.

فلم يبق و الحاله هذه إلا المبادره إلى القيام بالدور المرصود له فى نطاق الاستفاده الواعيه و الإيجابيه و البناءه من كل المخلوقات المسخره لهذا الإنسان، و توجيهها لتؤدى دورها فى الحياه كاملا غير منقوص ..

و هذا ما حصل بالفعل، فكانت المعجزه الكبرى، و كان الإنجاز العظيم، و هذا ما سوف يتحقق بصوره أكثر رسوخا و شموخا و عظمه فى عهد ولى الأمر قائم آل محمد «عليهم الصلاه و السلام».

إعاده توضيح و بيان:

إنه ما دام أن المفروض بالإنسان هو أن يتعاطى مع جميع المخلوقات التى سخرها اللّه تعالى له، فقد كان لا بد من أن يخضع تعامله هذا و كذلک تعامله مع نفسه، و مع ربه، و مع كل شى ء لضوابط تحفظه من الخطأ و من التقصير، أو التعدى.

و لقصور الإنسان الظاهر، فقد شاءت الإراده الإلهيه، من موقع اللطف و الرحمه أن تمد يد العون له، و هدايته فى مسيرته الطويله المحفوفه بالمزالق و الأخطار هدايه تامه تفضى به إلى نيل رضا اللّه سبحانه، و تثمر الوصول إلى تلک

الأهداف الكبرى و الساميه و تحقيقها، و هى إعمار الكون وفق الخطه الإلهيه، التى تريد من خلال ذلک بناء إنسانيه الإنسان، و إيصاله إلى اللّه سبحانه، حيث يصبح جديرا بمقامات القرب منه تعالى، حيث الرضوان و الزلفى.

و إذا كان كذلک فإنه يصبح واضحا: أن المثل القرآنى الذى يتمثل فى تجربه سليمان و داود «عليهما السلام»، إنما أراد أن يجسد ولو بصوره مصغره هذه الحقيقه بالذات ليتلمس هذا الإنسان الأهداف الإلهيه، و هى تتجسد واقعا حيا، ملموسا، و ليس مجرد خيالات، أو شعارات، أو آمال و طموحات غير عقلانيه، و لا مسؤوله.

و هى أيضا تجسد معنى القياده المطلوبه و الصالحه لتحقيق هدف كهذا، حتى إن طائرا، و هو الهدهد، يضطلع بدور حيوى و فى مستوى ملک بأسره، و أحد الحاضرين فى مجلس سليمان يأتى بعرش بلقيس- بواسطه العلم الذى عنده من الكتاب- قبل أن يرتد الطرف.

كما أن هذه الشواهد القرآنيه، و تلک الكرامات و المعجزات النبويه،

و منها قصه الجمل التى هى مورد البحث، قد رسخت هذه الحقيقه، سواء بالنسبه لدور الإنسان فى الكون، و تعاطيه معه، أو بالنسبه إلى حقائق راهنه لا بد أن تأخذ دورها و حقها، و يحسب حسابها على مستوى التخطيط، و على مستوى الممارسه، أو بالنسبه إلى الدور الذى لا بد لهذه القياده أن تضطلع به، فى مقام الرعايه التامه، و الهدايه العامه، و ما يتطلبه ذلک من طاقات و من إمكانات، و مواصفات قياديه خاصه و متنوعه، لا تحصل إلا بالرعايه و التربيه الإلهيه لها، و لا تكون إلا فى نبى أو فى وصى.

و تصبح معرفه لغات الحيوانات، و الوقوف على كثير من أسرار الخلقه، و نواميس الطبيعه ضروره لا بد منها لهذه القياده، التى لا بد أن ترعى، و توازن، و تربى، و تحفظ لكل شى ء حقه، و كيانه، و دوره فى الحياه. حيث لا بد لها من التدخل المباشر فى أحيان كثيره لحسم الموقف، و لحفظ سلامه المسار.

كما لا بد لها من توجيه الطاقات و الاستفاده منها فى الوقت المناسب و فى الموقع المناسب، بصوره قويمه و سليمه، كما كان الحال بالنسبه لنبى اللّه داود، و نبى اللّه سليمان عليهما و على نبينا محمد و آله الصلاه و السلام.

النقاط على الحروف:

و بذلک يتضح: أنه لا بديل عن قياده المعصوم، إذ أن كل القيادات الأخرى إذا كانت عادله لن يكون لها أكثر من دور الشرطى الذى ينجح فى درء الفتنه حينا، و يفشل أحيانا.

أما إذا كانت قياده منحرفه، فهناک الكارثه الكبرى، التى عبرت عنها الكلمه المنسوبه إلى أمير المؤمنين على «عليه الصلاه و السلام»، حيث يقول:

«أسد حطوم، خير من سلطان ظلوم، و سلطان ظلوم، خير من فتنه تدوم»(1).

و قد اتضح أيضا: أن وجود الإمام المعصوم فى كل عصر و زمان أمر حتمى و ضرورى حتى ولو كان غائبا و مستورا، لأن هذا الإمام لسوف يحفظ و يرعى كثيرا من المواقع و المواضع فى هذا الكون المسخر للإنسان، التى لو لا حفظها و رعايتها لوقعت الكارثه و لساخت الأرض بأهلها.

و بذلك نعرف السر فى أن الروايات قد ذكرت: أنه لو بقيت الأرض بغير إمام، أو لو أن الإمام رفع من الأرض و لو ساعه لساخت بأهلها، و ماجت كما يموج البحر بأهله (2).

و أصبح واضحا معنى الروايه التى تقول: و أما وجه انتفاع الناس بى فى غيبتى؛ فكالشمس إذا جللها عن الأنظار السحاب.

و اتضح أيضا: سر معرفه الأئمه بعلوم الأنبياء، و بألسنه جميع البشر، و بألسنه أصناف الحيوان أيضا(3)، إلى غير ذلك من خصائص و تفصيلات فى علومهم «عليهم السلام» و فى حدود ولايتهم و رعايتهم لهذا الإنسان فى هذا الكون الأرحب.

1- (1) البحار ج 75 ص 359 عن كنز الفوائد للكراجكى، و راجع: دستور معالم الحكم ص 170 و غرر الحكم و درر الكلم ج 1 ص 437 و ج 2 ص 784.
2- (2) راجع بصائر الدرجات ص 488 و 489 و الكافى ج 1 ص 179 و 198 و الغيبه للنعمانى ص 139 و 138.
3- (3) راجع كتاب بصائر الدرجات ففيه تفاصيل واسعه حول علوم الأئمه «عليهم السلام» فى جميع المجالات، و راجع أيضا: البحار للعلامه المجلسى، و الكافى ج 1 و غير ذلك كثير.

الفصل الرابع: بدر الموعد

بدايه الحديث عن بدر الموعد:

كانت حرب أحد قد تمخضت عن نتائج ماديه تختلف تماما عن نتائجها المعنويه و السياسيه.

فعلى صعيد الخسائر منى المسلمون بخسائر كبيره، حيث قتل منهم العشرات، حينما خالف الرماه الذين كانوا على فتحه الجبل أمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» له بالبقاء فى أماكنهم، فسنحت الفرصه للمشركين، و أوقعوا بالمسلمين، و قتلوا منهم عددا كبيرا من الناس.

و لكن هذه النتيجه لا تمثل كل الواقع، و لا يمكن اعتبارها معيارا تقاس عليه سائر النتائج، التى تمخضت عنها تلک الحرب، على صعيد الربح و الخساره و التأثير فى الواقع النفسى لكلا الفريقين، ثم فى الواقع السياسى و العسكرى.

حيث إن النتائج كانت فى هذه المجالات لصالح المسلمين، إذ انتهت المعركه بهزيمه حقيقيه فاحشه منى بها المشركون فى الجهات الثلاث جميعا، أى من الناحيه العسكريه، و النفسيه، و على صعيد الحاله السياسيه فى المنطقه بصوره عامه.

غير أن أبا سفيان قد حاول أن يقوم بمبادره إعلاميه جريئه تحفظ

للمشركين بعض هيبتهم، و تعيد إليهم شيئا من معنوياتهم حيث أعلن: أن المعركه التاليه، و التى قد تكون هى الحاسمه، سوف تكون بعد عام من تاريخ غزوه أحد.

و قد نسى أو تناسى: أن نفس هذا الإعلان ليس فى الحقيقه إلا إعلان فشلهم فى تحقيق الأهداف التى كانوا يسعون إلى تحقيقها من خلال خوضهم هذه الحرب.

ثم كانت حركه المسلمين السريعه فى مطاردتهم عقب انتهاء غزوه أحد، بمثابه فضيحه مخزيه للمشركين، لا سيما و أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد قرر أن تكون هذه المطارده مقتصره على خصوص جرحى أحد، بقياده على أمير المؤمنين «عليه السلام».

و بعد مرور نحو عام، و اقتراب الموعد الذى ضربه أبو سفيان كان لا بد من التحرك. و كانت نتيجه هذا التحرك، المزيد من الخزى لأبى سفيان، و كل معسكر الشرك و البغى، و المزيد من العزه و الشوكه للمسلمين، و للإسلام فى ظل قياده نبيه الأكرم «صلى اللّه عليه و آله».

فما الذى جرى فى بدر الموعد؟! و ما الذى نتج عنه؟.

هذا ما سوف نتعرض له فى ما يلى من مطالب ..

تاريخ غزوه بدر الموعد:

يذكر المؤرخون: أن غزوه بدر الصغرى (الموعد) (الثالثه)، قد كانت فى هلال ذى القعده فى السنه الرابعه.

و قيل: فى شوال.(1)

ص: 30

الفصل الرابع: بدر الموعد

اشاره

1- عاملى، جعفر مرتضى، الصحيح من سيره النبى الأعظم (ط جديد)، 35جلد، دار الحديث - قم، چاپ: اول، 1426 ه.ق.

بدايه الحديث عن بدر الموعد:

كانت حرب أحد قد تمخضت عن نتائج ماديه تختلف تماما عن نتائجها المعنويه و السياسيه.

فعلى صعيد الخسائر منى المسلمون بخسائر كبيره، حيث قتل منهم العشرات، حينما خالف الرماه الذين كانوا على فتحه الجبل أمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) له بالبقاء فى أماكنهم، فسنحت الفرصه للمشركين، و أوقعوا بالمسلمين، و قتلوا منهم عددا كبيرا من الناس.

و لكن هذه النتيجه لا تمثل كل الواقع، و لا يمكن اعتبارها معيارا تقاس عليه سائر النتائج، التى تمخضت عنها تلك الحرب، على صعيد الربح و الخساره و التأثير فى الواقع النفسى لكلا الفريقين، ثم فى الواقع السياسى و العسكرى.

حيث إن النتائج كانت فى هذه المجالات لصالح المسلمين، إذ انتهت المعركه بهزيمه حقيقيه فاحشه منى بها المشركون فى الجهات الثلاث جميعا، أى من الناحيه العسكريه، و النفسيه، و على صعيد الحاله السياسيه فى المنطقه بصوره عامه.

غير أن أبا سفيان قد حاول أن يقوم بمبادره إعلاميه جريئه تحفظ

للمشركين بعض هيبتهم، و تعيد إليهم شيئا من معنوياتهم حيث أعلن: أن المعركه التاليه، و التى قد تكون هى الحاسمه، سوف تكون بعد عام من تاريخ غزوه أحد.

و قد نسى أو تناسى: أن نفس هذا الإعلان ليس فى الحقيقه إلا إعلان فشلهم فى تحقيق الأهداف التى كانوا يسعون إلى تحقيقها من خلال خوضهم هذه الحرب.

ثم كانت حركه المسلمين السريعه فى مطاردتهم عقب انتهاء غزوه أحد، بمثابه فضيحه مخزيه للمشركين، لا سيما و أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد قرر أن تكون هذه المطارده مقتصره على خصوص جرحى أحد، بقياده على أمير المؤمنين (عليه السلام).

و بعد مرور نحو عام، و اقتراب الموعد الذى ضربه أبو سفيان كان لا بد من التحرك. و كانت نتيجه هذا التحرک، المزيد من الخزى لأبى سفيان، و كل معسكر الشرك و البغى، و المزيد من العزه و الشوكه للمسلمين، و للإسلام فى ظل قياده نبيه الأكرم (صلى اللّه عليه و آله).

فما الذى جرى فى بدر الموعد؟! و ما الذى نتج عنه؟.

هذا ما سوف نتعرض له فى ما يلى من مطالب ..

تاريخ غزوه بدر الموعد:

يذكر المؤرخون: أن غزوه بدر الصغرى (الموعد) (الثالثه)، قد كانت فى هلال ذى القعده فى السنه الرابعه.

و قيل: فى شوال.

و قد غاب فيها رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ست عشره ليله.

و المقصود هو: بدر الصفراء، التى كانت سوقا للعرب فى الجاهليه.

يجتمعون فيها فى كل عام لمده ثمانيه أيام، ابتداء من أول ذى القعده، ثم يفترقون (1).

و قد ربح المسلمون فيها فى تجارتهم فى سوق بدر، فى هذه المناسبه بصوره ملفته، كما سنرى.

و أما قول موسى بن عقبه: إنها كانت فى شوال سنه ثلاث (2) فلا يصح، لأنها كانت لأجل تنفيذ طلب أبى سفيان بعد انتهاء حرب أحد بأن يلتقوا للحرب فى بدر، بعد عام. و أحد إنما كانت فى السنه الثالثه كما هو معلوم (3).9.

1- راجع فى جميع ما ذكرناه، كلا أو بعضا: مغازى الواقدى ج 1 ص 384 و تاريخ الخميس ج 1 ص 465 و السيره الحلبيه ج 2 ص 275 و سيره مغلطاى ص 53 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 59 و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص 204 و نهايه الأرب ج 17 ص 154. و راجع: المواهب اللدنيه ج 1 ص 108 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 قسم 2 ص 29 و تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 229 و تاريخ ابن الوردى ج 1 ص 160 و أنساب الأشراف ج 1 ص 339 و التنبيه و الإشراف ص 214 و زاد المعاد ج 2 ص 112 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 169 و 172 و البدايه و النهايه ج 4 ص 87 و 89 و 93 و 94 و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 265 و دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 388.
2- راجع: السيره الحلبيه ج 2 ص 275 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 172 و البدايه و النهايه ج 4 ص 89 و الدر المنثور ج 2 ص 101.
3- راجع: السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 172 و البدايه و النهايه ج 4 ص 89.

كما أن الأشبه: أنها كانت فى ذى القعده، أو قبل ذلک لأن أحدا كانت فى ذى القعده، و كان بينهما سنه (1).

و الصحيح: أنها كانت فى شعبان كما سيأتى فى غزوه الخندق.

النص التاريخى لبدر الصغرى:

يذكر المؤرخون: أن أبا سفيان لما أراد أن ينصرف من أحد نادى: يا محمد، الموعد بيننا و بينكم موسم بدر الصغرى لقابل، إن شئت نلتقى بها فنقتتل.

و عن مجاهد- كما فى الوفاء- أنه قال: يا محمد، موعدكم بدر، حيث قتلتم أصحابنا.

فقال النبى (صلى اللّه عليه و آله) لعمر بن الخطاب: قل: نعم، إن شاء اللّه. فافترق الناس على ذلک.

ثم يذكر المؤرخون وقائع غزوه بدر الموعد.

و نحن من أجل أن نلمّ بأكثر الخصوصيات التى قيلت فى هذه الغزوه و عنها، نجمع شتات كلمات الرواه و المحدثين، و نقله الأخبار و المؤرخين، و نؤلف بينها، ثم نشير فى نهايه ذلک إلى المصادر التى قد يكون فيها أكثر الذى ذكرناه، أو بعضه.

فنقول:

لما مضى على أحد ما يقرب من عام، و قرب الموعد الذى ضربه أبو سفيان، كره الخروج و خاف من عواقبه، ثم قر رأيه بعد المشاوره على4.

1- راجع: نهايه الأرب ج 17 ص 154.

الخروج شيئا يسيرا، ثم يعود، فخرج فى أهل مكه، حتى نزل مجنّه، من ناحيه الظهران.

يقال: عسفان. و كان فى ألفى رجل، و معهم خمسون فرسا.

و يقول البعض: إنه بعد أن خرج إلى عسفان أو مجنه ألقى اللّه الرعب فى قلبه، فبدا له فى الرجوع.

فلقى نعيم بن مسعود الأشجعى، و قد قدم معتمرا؛ فطلب منه: أن يلحق بالمدينه، و يثبط المسلمين، و يعلمهم: أن أبا سفيان فى جمع كثير، و لا طاقه لهم بهم، و وعده أن يعطيه عشره- و عند الواقدى: عشرين- من الإبل، يضعها على يدى سهيل بن عمرو، و يضمنها سهيل له. و حمله على بعير.

و مما قاله له، بعد أن ذكر له: أن هذا عام جدب: (قد بدا لى أن لا أخرج إليها، و أكره أن يخرج محمد و لا أخرج؛ فيزيدهم ذلک جراءه؛ فلأن يكون الخلف من قبلهم أحب الى من أن يكون من قبلى).

و بعد ضمان سهيل بن عمرو الإبل لنعيم، خرج مسرعا، حتى أتى المدينه؛ فوجد الناس يتجهزون لميعاد أبى سفيان، فسألهم فأخبروه بما يريدون، فقال لهم: (بئس الرأى رأيتم، أتوكم فى دياركم و قراركم، فلم يفلت منكم إلا الشريد، فتريدون أن تخرجوا و قد جمعوا لكم عند الموسم؟! و اللّه، لا يفلت منكم أحد).

و جعل يطوف بهذا القول فى أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

فكره أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) الخروج.

و زاد الواقدى قوله: (حتى نطقوا بتصديق قول نعيم، أو من نطق منهم.

و استبشر بذلک المنافقون و الیهود، و قالوا: محمد لا یفلت من هذا الجمع).

حتی بلغ رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) ذلک، و تظاهرت به الأخبار عنده، حتی خاف رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أن لا یخرج معه أحد.

فجاء أبو بکر بن أبی قحافه (رض)، و عمر بن الخطاب (رض)، و قد سمعا ما سمعا، فقالا: یا رسول اللّه، إن اللّه مظهر دینه، و معز نبیه. و قد وعدنا القوم موعدا، و نحن لا نحب أن نتخلف عن القوم، فیرون. أن هذا جبن منا عنهم؛ فسر لموعدهم؛ فو اللّه، إن فی ذلک لخیره.

فسر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بذلک، ثم قال: (و الذی نفسی بیده، لأخرجن ولو وحدی).

قال عثمان: (لقد رأیتنا و قد قذف الرعب فی قلوبنا فما أری أحدا له نیه فی الخروج).

فأما الجبان، فإنه رجع، و تأهب الشجاع للقتال، و قالوا: حسبنا اللّه و نعم الوکیل.

و استخلف رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) علی المدینه عبد اللّه بن رواحه [أو عبد اللّه بن أبی سلول] (1) و حمل لواءه الأعظم علی بن أبی طالب، فی ألف و خمس مائه رجل. و الخیل عشره أفراس.

قال الواقدی (2): (فرس لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و فرس لأبی7.

1- هذا القیل ذکره فی السیره الحلبیه ج 2 ص 275 و العبر و دیوان المبتدأ و الخبر ج 2 قسم 2 ص 29 و لم یذکر غیره، و کذا فی السیره النبویه لابن هشام ج 3 ص 220 و السیره النبویه لابن کثیر ج 3 ص 169 و البدایه و النهایه ج 4 ص 87.
2- المغازی ج 1 ص 387.

بكر، و فرس لعمر، و فرس لأبى قتاده، و فرس لسعيد بن زيد، و فرس للمقداد، و فرس للحباب، و فرس للزبير، و فرس لعباد بن بشر).

و خرجوا ببضائع لهم و تجارات.

و قالوا: إن لقينا أبا سفيان فهو الذى خرجنا له، و إن لم نلقه ابتعنا ببضائعنا. فجعلوا يلقون المشركين، و يسألون عن قريش، فيقولون: قد جمعوا لكم، يريدون أن يرهبوا المسلمين.

فيقول المؤمنون: حسبنا اللّه و نعم الوكيل.

و فى نص آخر: قال لهم المنافقون: قد قتلوكم عند بيوتكم، فكيف إذا أتيتموهم فى بلادهم، و قد جمعوا لكم، و اللّه لا ترجعون أبدا.

و مهما يكن من أمر، فإنهم لما قربوا من بدر قالوا لهم: إنها امتلأت من الذين جمعهم أبو سفيان، يرعبونهم و يرهبونهم، و نزلت آيه: الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ .. (1) فلما بلغوا بدرا و جدوا أسواقا لا ينازعهم فيها أحد [و فى الحلبيه (2) فأنزل اللّه: الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ ..] ..

و قال مجاهد و عكرمه: فى هذه الغزوه نزل قوله تعالى: الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ .. (3).

و عند أكثر المفسرين: نزلت هذه الآيه فى غزوه حمراء الأسد.

و بلغ المسلمون بدرا ليله هلال ذى القعده. و الصحيح فى شعبان.ن.

1- الآيه 173 من سوره آل عمران.
2- السيره الحلبيه ج 2 ص 276.
3- الآيه 172 من سوره آل عمران.

و قد أقام النبی (صلی اللّه علیه و آله) بها ثمانیه أیام، ینتظر أبا سفیان.

و باع المسلمون تجاراتهم و بضائعهم فی سوق بدر، و أصابوا بالدرهم درهمین.

و قد سمع الناس بمسیرهم، و ذهب صیت جیشهم إلی کل جانب، فکبت اللّه بذلک عدوهم.

و انصرفوا إلی المدینه سالمین غانمین.

أما المشرکون فرأی لهم أبو سفیان أن یخرجوا، فیسیروا لیله أو لیلتین، ثم یرجعون؛ فإن کان محمد قد خرج احتجوا بأن السنه کانت سنه جدب، و إن لم یخرج کانت هذه لهم علیه.

فخرجوا، و هم ألفان، و معهم خمسون فرسا، حتی انتهوا إلی مجنّه، و هو سوق معروف بناحیه الظهران، و قیل: إلی عسفان، ثم رجعوا.

و فی نص آخر: أن ابن حمام قدم علی قریش، فأخبرهم بمسیر المسلمین إلی بدر، فأرعب أبو سفیان، و رجع إلی مکه. فسماهم أهل مکه: جیش السویق. أی خرجوا یشربون السویق. الصحیح من السیره النبی الأعظم، مرتضی العاملی ج 10 84 النص التاریخی لبدر الصغری: ..... ص : 80

نا و رأوا: أنّا قد أخلفناهم، ثم أخذوا بالکید و التهیؤ لغزوه الخندق.

کانت تلک الصوره مأخوذه من نصوص ذکرت هنا و هناک فی المصادر

المختلفه (1) أوردناها فی سیاق واحد، لتكون الصوره التی یرسمها لنا المؤرخون أكثر انسجاما، و استجماعا للملامح الضروریه التی یریدون توجیه الأنظار إلیها.

و قد ذكروا أیضا: أن عبد اللّه بن رواحه، أو حسان بن ثابت قد قال فی جمله أبیات له:

وعدنا أبا سفیان وعدا لم نجدلمیعاده صدقا و قد كان وافیا (2) .0

1- راجع فی جمیع ما تقدم، كله أو بعضه: تاریخ الخمیس ج 1 ص 465 و 466 و السیره الحلبیه ج 2 ص 275- 277 و حبیب السیر ج 1 ص 356 و زاد المعاد ج 2 ص 112 و الطبقات الكبری ج 2 ص 59 و 60 و تاریخ الیعقوبی ج 2 ص 67 و سیره مغلطای ص 53 و حیاه محمد لهیكل ص 279 و 280 و مغازی الواقدی ج 1 ص 484- 490 و السیره النبویه لابن هشام ج 3 ص 220 و تاریخ الإسلام للذهبی (المغازی) ص 203 و العبر و دیوان المبتدأ و الخبر ج 2 قسم 2 ص 29 و الوفاء ص 690 و الكامل فی التاریخ ج 2 ص 175 و نهایه الأرب ج 17 ص 154 و 155 و المواهب اللدنیه ج 1 ص 108 و تاریخ الأمم و الملوک ج 2 ص 229 و 230 و تاریخ ابن الوردی ج 1 ص 160 و أنساب الأشراف ج 1 ص 340 و الثقات ج 1 ص 244 و 245 و التنبیه و الإشراف ص 214 و السیره النبویه لابن كثیر ج 3 ص 169 و البدایه و النهایه ج 4 ص 87- 89 و السیره النبویه لدحلان ج 1 ص 265 و دلائل النبوه للبیهقی ج 3 ص 384- 388 و الدر المنثور ج 2 ص 101 و 103 و 104 عن عبد بن حمید، و ابن أبی حاتم، و سعید بن منصور، و ابن جریر، و ابن المنذر.
2- راجع: البدء و التاریخ ج 4 ص 214 و أنساب الأشراف ج 1 ص 340 و السیره النبویه لابن هشام ج 3 ص 221 و مغازی الواقدی ج 1 ص 389 و نهایه الأرب ج 17 ص 156 و السیره النبویه لابن كثیر ج 3 ص 170.

و لنا هنا مناقشات و شكوک فی بعض ما ذكروه، كما أن لنا بعض الإيضاحات و التحليلات التی ربما تكون مفيده هنا، و نحن نذكر ذلک فيما يلی من مطالب، فنقول:

آيات سوره آل عمران:

قد تقدم قولهم: إن آيه: الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ ما أَصابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَ اتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ، الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزادَهُمْ إِيماناً وَ قالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ، فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَهٍ مِنَ اللَّهِ وَ فَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَ اتَّبَعُوا رِضْوانَ اللَّهِ وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (1) .. قد نزلت فی مناسبه بدر الموعد؛ لأن المسلمين قالوا ذلک.

و لكننا لا نستطيع قبول ذلک؛ فعدا عن تناقض الروايات فی مكان نزولها: فی المدينه، أو فی الطريق إلی بدر، أو فی بدر نفسها، كما تقدم، نسجل الأمور التاليه:

الأول: قال العسقلانی، بالنسبه لآيه: الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِلَّهِ: (و الصحيح:

أن هذه الآيه نزلت فی شأن حمراء الأسد، كما نص عليه العماد بن كثير) (2).

و قد روی المحدثون و المؤرخون، و المفسرون: أنها نزلت فی حمراء الأسد، فراجع ما رووه عن: ابن عباس، و الحسن، و ابن جريج، و عائشه، و أبی السائب، و السدی، و قتاده، و أنس، و من طريق العوفی. و عن عبد اللّه بن أبی بكر بن محمد5.

1- الآيه 172- 174 من سوره آل عمران.
2- المواهب اللدنيه ج 1 ص 108 و راجع: السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 265.

بن عمرو بن حزم (1).

و روی أیضا عن أبی رافع بطرق کثیره، و کذا عن أبی مریم.

و عن جابر، عن الإمام الباقر (علیه السلام): أنها نزلت فی علی (علیه السلام) فی حمراء الأسد (2).

الثانی: إن سیاق الآیات لا یتلاءم مع غزوه بدر الصغری، فهی تمدح الذین استجابوا للّه و الرسول من بعد ما أصابهم القرح. و ذلک إنما یناسب غزوه حمراء الأسد؛ حیث إن الذین قاموا بها هم خصوص أولئک الذین جرحوا فی حرب أحد.

أما فی بدر الصغری، فکان قد مضی عام بکامله علی تلک الجراح. و لم یکن فی بدر الصغری نفسها حرب و لا جراح.

الثالث: إن هذه الآیات تتمدح أولئک الذین قال لهم الناس: إن الناسم.

1- تجد هذه الروایات کلها فی الدر المنثور ج 2 ص 101- 103 و قد نقلها بدوره بصوره متنوعه عن المصادر التالیه: ابن إسحاق، و ابن جریر، و البخاری، و مسلم، و أحمد، و سعید بن منصور، و ابن أبی شیبه، و ابن المنذر، و الحاکم، و ابن أبی حاتم، و البیهقی فی الدلائل، و ابن ماجه، و النسائی و الطبرانی، و عبد بن حمید، و الخطیب، و ابن مردویه.
2- تفسیر البرهان ج 1 ص 326 و الدر المنثور ج 2 ص 103 عن ابن مردویه. و قد یکون ثمه مبرر لاحتمال أن یکون ثمه تعمد لدعوی نزول الآیات فی بدر الموعد، من أجل إبعاد هذا الأمر عن أن یکون فیه تکریم لعلی (علیه السلام)، و إشاده بمواقفه الرسالیه و الجهادیه. و قد تعودنا من هؤلاء الشی ء الکثیر الذی یصب فی هذا الاتجاه، کما هو معلوم.

قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم إيمانا. مع أن الروايات التى تتحدث عن قصه بدر الصغرى، قد صرح كثير منها بأن أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قد كرهوا الخروج إلى بدر الموعد، حتى نطقوا بتصديق قول نعيم بن مسعود، الذى كان يخذلهم و يخوّفهم، و استبشر المنافقون و اليهود، حتى بلغ رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ذلک، و تظاهرت به الأخبار عنده، حتى خاف رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أن لا يخرج منهم أحد.

حتى قال (صلى اللّه عليه و آله): و الذى نفسى بيده، لأخرجن و لو وحدى.

و قال عثمان بن عفان: لقد رأيتنا و قد قذف الرعب فى قلوبنا، فما أرى أحدا له نيه فى الخروج ..

مواقف لا بد من التأكد من صحتها:

و يذكر البعض: أن نعيم بن مسعود قدم المدينه: (و أرجف بكثره جموع أبى سفيان. أى و صار يطوف فيهم، حتى قذف الرعب فى قلوب المسلمين، و لم يبق لهم نيه فى الخروج، و استبشر المنافقون، و اليهود، و قالوا: محمد لا يفلت من هذا الجمع.

فجاء أبو بكر، و عمر، إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و قد سمعا ما أرجف به المسلمون، و قالا له: يا رسول اللّه، إن اللّه مظهر نبيه، و معز دينه، و قد وعدنا القوم موعدا لا نحب أن نتخلف عنه، فيرون أن هذا جبن. فسر لموعدهم، فو اللّه إن فى ذلک لخيره.

فسر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بذلک ثم قال: و الذى نفسى بيده، لأخرجن، و إن لم يخرج معى أحد، فأذهب اللّه عنهم ما كانوا يجدون، و حمل

لواء رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) علی بن أبی طالب الخ ..) (1).

و نقول:

إن ما یذکر هنا من موقف لأبی بکر و عمر لا یتلاءم مع سائر مواقفهما فی مناسبات کهذه، فراجع موقفهما فی غزوه بدر مثلا، ثم موقفهما فی الأحزاب، و خیبر، و غیرها. بالإضافه إلی فرارهما فی المواطن، و منها غزوه أحد، و هی الغزوه التی ضرب فیها الموعد لبدر الصغری هذه!!

و قد تقدم: أن المسلمین کرهوا الخروج، و تظاهرت بذلک الأخبار عند رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) حتی خاف أن لا یخرج معه أحد، و قال:

و الذی نفسی بیده لأخرجن، و لو لوحدی.

و قال عثمان بن عفان: لقد رأیتنا، و قد قذف الرعب فی قلوبنا فما أری أحدا له نیه فی الخروج. فکلام عثمان نکره فی سیاق النفی یشمل حتی عمر و أبابکر، فلا یتلاءم مع ما یذکر من موقفهما هنا.

فإن صح ما نقل عن الشیخین هنا، و لا أراه یصح، فإننا نجد أنفسنا أمام احتمالین، لا بد أن یکون أحدهما هو السبب و نرجح ثانیهما، و هما:

الأول: أن یکونا قد رأیا تصمیم رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) علی المسیر، إلی درجه عرفا أنه (صلی اللّه علیه و آله) لن یتراجع عن قراره بأی ثمن کان، و لو کان وحده.

فموقفهما هذا لن یکون له أثر فی ذلک، و لسوف یکون مفیدا فی تسجیل موقف إیجابی لهما، یمکن أن یکون مفیدا لهما فی تحسین موقعهما عند5.

1- السیره الحلبیه ج 2 ص 276 و السیره النبویه لدحلان ج 1 ص 265.

النبى (صلى اللّه عليه و آله) و المسلمين، و لا سيما بعد فرارهما فى أحد، و بعد مشورتهما المتخاذله فى بدر.

الثانى: إنهما ربما يكونان قد وقفا من نعيم بن مسعود، أو من غيره على حقيقه أمر أهل مكه، و أنهم خائفون من مواجهه النبى (صلى اللّه عليه و آله) و المسلمين بالحرب، لا سيما مع ما نلمحه من وجود قدر من التفاهم و الانسجام فى المواقف أحيانا، كما تقدم فى غزوه بدر، حول الاستشاره فى الحرب، ثم فى قصه الأسرى، و بعد ذلک فى غزوه أحد حينما وضعنا بعض علامات الاستفهام حول تحركات الخليفه الثانى.

و الخلاصه: أنهما إذا كانا قد علما بحقيقه أمر المشركين، فهما يعلمان مسبقا: أن خروج النبى (صلى اللّه عليه و آله) و المسلمين إلى بدر الموعد لن يشكل أى خطر على مشركى قريش، إلا من الناحيه الإعلاميه و السياسيه و النفسيه. كما أنهما نفسيهما سوف لا يواجهان أى خطر يخشيانه، و لو فى ضمن زحمه المعركه، كما قد حصل فى أحد.

الأفراح و الأتراح:

إننا- و إن كنا نقدر الواقدى فى حدود معينه، و نراه منصفا شيئا ما، و هو من حيث نقله ينقل سيره النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله)- بصوره أفضل و أدق مما ينقلها البعض، و لكننا نعتب عليه أحيانا- ليس لأجل إيراده ما ثبت بالدليل القاطع زيفه، أو التزيد فيه من الرواه، فإن ذلک أمر مألوف و معروف، و لم ينج منه مؤلف فى قضايا التاريخ و غيرها- بل لأجل وقوعه أحيانا- كغيره- فى المتناقضات، أو فريسه لأصحاب الأهواء، و أهل

الزیغ من الحاقدین و الموتورین، و قد وقع هنا فی هذا الخطأ بالذات، حین صور لنا أن المشرکین کانوا یعیشون أفراح التأهب لحرب بدر الموعد، و کان المسلمون یعیشون الأتراح، و یهیمن علیهم الرعب و الخوف و الجبن، فهو یقول عن المشرکین:

(و تهیأوا للخروج، و أجلبوا. و کان هذا عندهم أعظم الأیام، لأنهم رجعوا من أحد و الدوله لهم، طمعوا فی بدر الموعد أیضا بمثل ذلک من الظفر) (1).

و یقول عن المسلمین: (فیقدم القادم علی أصحاب رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فیراهم علی تجهز، فیقول: ترکت أبا سفیان قد جمع الجموع، و سار فی العرب لیسیر إلیکم لموعدکم، فیکره ذلک المسلمون، و یهیبهم ذلک) (2).

و نقول:

قد ذکرنا فی بدایه الحدیث: أن المشرکین لم ینتصروا فی أحد، بل انهزموا هزیمه نکراء.

و قد اتضح لدیهم: أن ما جری علی المسلمین آنئذ لن یتکرر فی المستقبل، لأن ذلک إنما نشأ عن عدم الانضباطیه لدی الرماه، الذین کانوا یحرسون فی الجبل، و لم یکن بسبب ضعف فی القدرات الحربیه، و لا لجبن فی المقاتلین، أو خور فی عزائمهم، و لا بسبب تفرق الأهواء، و لا لأجل نقص فی کفاءه القیاده.5.

1- المغازی للواقدی ج 1 ص 384.
2- المغازی للواقدی ج 1 ص 385.

و إنما هو مجرد خطأ شخصى أعقبته حركه قتاليه فريده، تجلت فيها كفاءات لا يمكن مواجهتها، فى أى زمان أو مكان، و لا سيما من على أمير المؤمنين (عليه السلام)، ثم بعض من لحقه من الصحابه الأخيار.

فلا معنى إذن: لابتهاج المشركين بحرب، لو كانت تشبه حرب أحد، فذلك يعنى الدمار الكامل و الشامل لهم.

و أما بالنسبه لحاله المسلمين، التى تحدث عنها الواقدى، فنحن لا نوافق المؤرخين، و لا المحدثين على ما ذكروه من خوف شامل فى المسلمين من مواجهه المشركين فى بدر الموعد؛ إذ لم يكن ثمه مبرر لذلک، لا سيما بعد أن حقق المسلمون انتصارات رائعه و مثيره على المشركين فى بدر و أحد، رغم خطأ الرماه الذى تسبب بحدوث كارثه.

ثم إنهم بجهود على (عليه السلام) تلافوا الخطأ و هزموا عدوهم.

هذا بالإضافه إلى انتصاراتهم على اليهود، ثم تحركهم فى المنطقه بصوره زادت من هيمنتهم و نفوذهم، و جعلتهم أكثر قوه و شوكه و ثقه بالمستقبل.

و لنا أن نتساءل: إذا كان المسلمون ارتعبوا حتى خاف النبى (صلى اللّه عليه و آله) أن لا يخرج معه أحد، فكيف ارتفع هذا الخوف عنهم، حتى خرج من الشجعان معه ألف و خمس مئه رجل، مع أن الذين خرجوا معه إلى أحد؛ ليدافعوا عن بلدهم المدينه، كانوا ألف رجل (رجع منهم ثلاث مئه مع ابن أبى) مع الإشاره إلى أن عدد المسلمين لم يكن يزيد عن الخارجين معه إلا يسيرا.

و هل يمكن أن يذكر لنا التاريخ اسم واحد من أولئک الذين تخلفوا عن الخروج خوفا و جبنا؟!

أما مشركو مكه فقد تقلص نفوذهم فی المنطقه بدرجه کبیره، و تشکک کثیر من الناس فی قدرتهم علی تحقیق نصر حاسم علی المسلمین بسهوله، لا سیما بعد الهزائم سیاسیا و عسکریا التی لحقت بهم حسبما أشرنا إلیه، ثم ما تتعرض له قوافلهم التجاریه، و عدم قدرتهم علی توفیر الأمن لها، بالإضافه إلی توسع منطقه نفوذ المسلمین و تحالفاتهم، علی حساب ما کان لهم من نفوذ و تحالفات.

و لعل ما یقال: عن رعب فی المسلمین و تلکّؤ قد أرید له أن یجسد المصداق للآیات التی تتحدث عن تخویف الناس لهم، مع أن الآیات تذکر تکذیبا لهذه الشائعه، و أن هذا التخویف قد زاد المسلمین إیمانا و تصمیما، و مع أن الآیات إنما نزلت فی غزوه حمراء الأسد.

و لعله قد أرید ترتیب أجواء مناسبه، لیقدّم أبو بکر و عمر مشورتهما بلزوم المواجهه، لتظهر شجاعتهما دون سائر المسلمین، و لیعوضهما ذلک بعض ما کانا قد فقداه فی حالات سابقه.

و لعل فیما ذکرناه کفایه لمن أراد الرشد و الهدایه.

المجتمع المفتوح:

و قد قرأنا فیما تقدم: أن نعیم بن مسعود الأشجعی، قد ذهب إلی المدینه بهدف تخذیل المسلمین عن الخروج إلی بدر الموعد. و لعل تردد المشرکین إلی المدینه بتجاراتهم، و متابعه شؤونهم و مصالحهم، هو من الأمور الواضحه و البدیهیه تاریخیا.

و ربما یحمل ذلک بعض السلبیات للمسلمین أحیانا، کما لوحظ فی هذه

المره، التى قام فيها نعيم بدور مخرب، و مضر جدا.

و لكن من الواضح: أن الإسلام و هو يريد للآخرين، الذين يناوئونه أن يعيدوا النظر فى مواقفهم، فتره بعد أخرى، فكان بعيدا عن أجواء التشنج يفسح لهم المجال للتعامل مع المسلمين بصوره مباشره، ليلتمسوا بأنفسهم و بصوره عمليه و ميدانيه محاسن الإسلام، و آدابه، و سياساته، و كل آفاقه بحريه تامه، و من دون الاعتماد على الشائعات، و لا على الإعلام الموجه الذى قد يتحفظ الكثيرون تجاهه، لأنهم قد يتخيلونه غير قادر على أن يعكس بعض الواقعيات بدقه و أمانه.

ثم إن هذا التعامل الطبيعى و الحر من شأنه أن يزيل عقدا كثيره ربما لا يمكن إزالتها بدونه، بل هى قد تزيد رسوخا و تجذرا، و تتراكم حولها و فيها الأدران إلى درجه كبيره و خطيره، إذا كانت الأبواب موصده أمامهم، و لا يعرفون عن الإسلام و المسلمين إلا نتفا قد تتسرب- لسبب أو لآخر- فتصل إليهم سليمه أو مشوهه، حسب الظروف.

و بعد .. فإن الإسلام واثق من كل ما لديه، و ليس ثمه شى ء محرج له على الإطلاق، لا فى المجال العقيدى، و لا التشريعى، و لا السلوكى، و لا فى دائره الدوافع و النوايا، و لا فى محيط المرامى و الأهداف، و لا فى غير ذلك من مجالات.

و أما ما ينشأ عن التعامل مع المشركين من سلبيات أحيانا، فإنه يمكن تلافيه، و لا أقل يمكن التقليل من آثاره و أخطاره من خلال تحصين الأمه بالوعى، و بالإيمان، و بالتربيه الصالحه فى مختلف المجالات. بالإضافه إلى الدور الأساسى و المحورى، الذى تقوم به القياده المؤهله- وحدها- لأن

تهدى الأمه، و تقودها إلى الفلاح، و السداد و النجاح، و هى قياده الأنبياء، و الأئمه المعصومين (عليهم الصلاه و السلام).

استخلاف ابن أبى على المدينه:

و قد ذكر فى ما تقدم: أن هناک من يقول: إن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد استخلف عبد اللّه بن أبى بن سلول على المدينه، حين سار إلى بدر الموعد.

و نحن نشک: فى صحه ذلک و نرجح أن يكون ابن رواحه هو المستخلف عليها، كما ذكرته نصوص كثيره أخرى؛ إذ من البعيد أن يستخلف النبى (صلى اللّه عليه و آله) رأس النفاق، ذلک الرجل الذى كان يميل إلى المشركين و اليهود أكثر مما كان يميل إلى المسلمين، و لم تزل تظهر منه فلتات و كلمات خطيره، لو أراد النبى (صلى اللّه عليه و آله) أن يجازيه عليها، لم يكن جزاؤه أقل من القتل؛ و إنما استخلف (صلى اللّه عليه و آله) عليا (عليه السلام) فى غزوه تبوک خوفا من تحرک المنافقين فيها كما سنرى إن شاء اللّه.

إلا أن يقال: إن من الممكن أن يكون النبى (صلى اللّه عليه و آله) يريد أن يتألفه بذلک، كما كان يتألف غيره بإسناد بعض المهام إليهم.

قوه الإسلام:

قال الواقدى: (و أقبل رجل من بنى ضمره، يقال له: مخشى بن عمرو- و هو الذى حالف رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) على قومه، حين غزا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ودّان فى المره الأولى- فقام- و الناس مجتمعون فى سوقهم، و أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أكثر أهل ذلک الموسم- فقال: يا محمد، قد أخبرنا: أنه لم يبق منكم أحد، فما أعلمكم

إلا أهل الموسم !

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)؛ ليرفع ذلک إلى عدوه من قريش:

ما أخرجنا إلا موعد أبى سفيان، و قتال عدونا، و إن شئت مع ذلک- نبذنا إليک، و إلى قومک العهد، ثم جادلناكم قبل أن نبرح من منزلنا هذا.

فقال الضمرى: بل نكف أيدينا عنكم، و نتمسک بحلفک. و سمع بذلک معبد بن أبى معبد الخزاعى، فانطلق سريعا، و كان مقيما ثمانيه أيام، و قد رأى أهل الموسم، و رأى أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و سمع كلام مخشى؛ فانطلق حتى قدم مكه، فكان أول من قدم بخبر موسم بدر. فسألوه فأخبرهم بكثره أصحاب محمد، و أنهم أهل ذلک الموسم، و ما سمع من قول رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) للضمرى.

و قال: محمد فى ألفين من أصحابه الخ ..

قال البيهقى: فأفزعهم ذلک، ثم يذكر ملامه صفوان بن أميه لأبى سفيان) (1).

و قد يستشف البعض من هذه القضيه: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد أحس من مخشى بن عمرو: أنه قد قال ذلک على سبيل الاستهزاء و السخريه؛ فقابله النبى (صلى اللّه عليه و آله) بهذا الأسلوب (2).5.

1- مغازى الواقدى ج 1 ص 388 و راجع: السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 169 و البدايه و النهايه ج 4 ص 88 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 229 و 230 و السيره النبويه لابن هشام ج 3 ص 320 و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص 203 و 204 و دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 385 و 387.
2- سيره المصطفى ص 455.

و من الواضح: أنه (صلى اللّه عليه و آله) لم يكن لينقض العهد، و لا يباشر حربا مع أحد إلا إذا اضطرته الظروف و كان مع ذلک لين الطبع كريم النفس، قد بلغ الغايه من النبل و الأخلاق الكريمه، حتى أنزل اللّه فيه: وَ إِنَّکَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (1).

و بعباره أخرى: إنه إنما اتخذ هذا الموقف من أجل أن يعيد إلى ذلک الرجل توازنه، و ليفهمه: أن الأمور أعمق و أخطر من أن يتلاعب و يستخف بها قاصرو النظر، الذين لا يشعرون بالمسؤوليه، و لا يحسنون فهم الأمور.

و نقول:

إن كلام مخشى بن عمرو لا يوحى بأنه كان فى مقام الاستهزاء، غير أن من الواضح: أن هذا الرجل، كان يسعده أن يرى المسلمين و قد أبيدت خضراؤهم، و قتلت رجالهم، و سبيت نساؤهم، و لعله صدق ما بلغه من ذلک، ثم فوجئ بعكس ما كان يتوقعه و سمع به. فجاء ليعرف السر فى ذلک، و كأنه كان على قناعه بأن مشركى مكه قادرون على ذلک، و أن المسلمين على درجه كبيره من الضعف و الوهن فى قبال المشركين.

و ربما يكون ما جرى فى أحد، الذى لم ينقل إليه، و الى سائر الناس، فى صورته الحقيقيه قد عزز هذه القناعه لديه، لأنه إنما وقف على نتائج حرب أحد، و لم يعرف ملابساتها، و أنها لم تكن نتيجه ضعف حقيقى فى عزيمه المسلمين، و لا لتخاذل منهم فى ساحه الحرب و الجهاد، و بذل المهج، و خوض اللجج فى سبيل اللّه سبحانه، كما أنه لم يكن لأجل قوه متميزه فى5.

1- سيره المصطفى ص 455.

جانب عدوهم جعلته ينتزع النصر انتزاعا استنادا إلى قوه السيف، و السنان، و ثبات فى العزيمه، و شجاعه فى الجنان، كما ربما يحاول القرشيون أن يشيعوه.

فأراد رسول اللّه الأعظم (صلى اللّه عليه و آله): أن يبدد هذه الغشاوه عن بصره و بصر كل من يسمعون، أو سوف يبلغهم هذا القول، و يواجهه بالحقيقه الناصعه، و يقول له: إنه (صلى اللّه عليه و آله) ليس فقط قادرا على سحق قريش بكل ما لديها من حشد و عتاد و قوه، و إنما هو على استعداد لمواجهتها و معها كل من يلتقون معها و يشاركونها الموقف و الرأى، و البغى على الإسلام و المسلمين.

و قد أساءت قريش لنفسها حينما صورت للناس ضآله أمر المسلمين، و ضعفهم، فها قد انكشفت للناس أكاذيبها، و رأى الناس حتى القادمون من تجار و غيرهم بأم أعينهم قوه المسلمين، و عزتهم.

فإذا كان مخشى، قومه، بل و كذلک سائر القبائل التى حضرت ذلک الموسم التجارى الواسع، قد تحركت فى نفوسهم نوازع خيانيه، أو خالجتهم أحاسيس حول ضعف المسلمين، أو شعروا: أن لقريش بعض القوه بسبب ما جرى فى أحد، فإن عليهم أن يتأكدوا من صحه تصوراتهم و معلوماتهم قبل أن يقدموا على أى عمل، أو يتخذوا أى قرار.

فهناک أمور قد خفيت عليهم حتما و جزما. و ما جرى فى أحد لا يمكن أن يكون معيارا و ميزانا، و لا يفيدهم شيئا فى حسابات الربح و الخساره، و النصر و الهزيمه، و القوه و الضعف.

فقولهم: إنه (صلى اللّه عليه و آله) إنما أراد بذلک مقابله حاله الاستهزاء و السخريه بالتهديد بنقض العهد لا يصح، فإن جوابه (صلى اللّه عليه و آله)

لا يتلاءم و هذا الأمر؛ و ذلک لأنه (صلی اللّه علیه و آله) قد أعطی لمخشی و قومه حریه التصرف فی هذا الاتجاه، واکتفی هو بالاحتفاظ لنفسه بحق.

المقابله بالموقف الحازم و الحاسم لو نقض الآخرون عهدهم. و ذلک ظاهر لا یخفی.

لا بد من الندم:

إن من الواضح: أن ما أقدم علیه أبو سفیان فی نهایه حرب أحد، حیث قطع علی نفسه وعدا بلقاء المسلمین بعد عام فی بدر الصغری، کان خطأ فاحشا، و رأیا فطیرا، تعوزه البصیره بالأمور، و الواقعیه فی النظره و فی الموقف.

و ذلک لأن المسلمین، بعد ما جری فی أحد، قد أصبحوا أکثر تصمیما علی توجیه ضربه موجعه و قویه لکبریاء قریش، بعد أن وترتهم فی حرب أحد، التی لا بد أن یکون المسلمون قد استفادوا منها الدروس و العبر، و لن یسمحوا أبدا بتکرر الخطأ الذی وقعوا فیه فیها، مهما کان الثمن.

و قد أدرک أبو سفیان خطأه الکبیر ذاک، و لکن بعد فوات الأوان، و کان صفوان بن أمیه قد نبهه إلی ذلک فلم یلتفت إلیه.

و ذلک لأن المشرکین، و إن کانوا قد فاجأوا المسلمین فی بلادهم، و لم یجدوا الفرصه للإعداد و الاستعداد، و لکن المشرکین لم یحققوا ما حققوه فی تلک الحرب نتیجه لتنامی قدراتهم القتالیه، و لا لأجل ضعف فی المسلمین.

و ذلک لأن القوی و إن لم تکن متکافئه بین الفریقین من حیث العدد و العده، إلا أن حرب بدر قد أثبتت للجمیع: أن ذلک لیس هو الفیصل فی الحرب، و لیس هو الذی یقرر نتائجها.

هذا بالإضافه إلى أن حرب أحد نفسها قد أثبتت للمشركين: أن نتائج هذه الحرب- لو استمرت- لن تكون أفضل من نتائج حرب بدر، لو لا الخطأ الذى ارتكبه الرماه على الجبل حيث جعلهم النبى (صلى اللّه عليه و آله) هناک ليمنعوا من حصول أى تسلل محتمل للعدو فتركوا مراكزهم، من أجل الحصول على بعض الغنائم، ثم تسلل المشركون من ذلک الموضع بالذات، و أوقعوا بالمسلمين الذين كانوا قد انصرفوا عن الحرب إلى جمع الغنائم، حسبما أو ضحناه فى غزوه أحد فى جزء سابق.

و حتى بعد أن بدأ المسلمون يستعيدون وضعهم القتالى، فإن المشركين أحسوا بالخطر الداهم، فآثروا ترک ساحه القتال و الانصراف إلى مكه.

فلو كان بإمكانهم تسجيل نصر حاسم، فلن يجدوا المسلمين فى حاله أضعف من الحاله التى هم عليها الآن، و قد كان يهمهم جدا إنهاء أمر المسلمين، و القضاء عليهم نهائيا و الى الأبد.

و حتى حينما كان أبو سفيان يطلق و عوده باللقاء فى بدر من العام المقبل، متبجحا بما تحقق لهم فى معركه أحد، فإنه لم يكن فى موقع يمكنه من حسم الأمر لصالحه و لصالح المشركين آنئذ.

و قد أدرک فى وقت متأخر: أن الخطأ الذى وقع فيه المسلمون فى أحد ربما لن يتكرر فى المستقبل، مع إدراكه أن أى حرب سيخوضها ضد المسلمين، سوف يكون المسلمون فيها أكثر استبسالا و أعظم بلاء من ذى قبل.

كما أنهم سوف يكونون أكثر التزاما بأوامر قيادتهم الإلهيه، بعد أن صح لهم أن تلک القياده لا تنقصها الحكمه و لا الشجاعه، و لا التدبير، و قد لمسوا صوابيه مواقفها، و بعد نظرتها إلى الأمور، و دفعوا ثمن التساهل فى الالتزام

بأوامرها غاليا، و غاليا جدا.

و من هنا: فإننا لا نفاجأ إذا رأينا المسلمين يصرون على الاحتفاظ بزمام المبادره، و على الهيمنه العسكريه على المنطقه.

و كان لا بد لأبى سفيان من الاحتفاظ بماء الوجه، و لو شكليا، و لكنه فشل فى ذلک، حتى اضطر إلى أن يتراجع، و يخلف فى وعده، متذرعا بما لا يخفى على أحد وهنه و عدم واقعيته. حتى إن أهالى مكه أنفسهم كانوا يتندرون بما حدث، و يسمون جيشهم المهزوم روحيا و نفسيا، بأنهم جيش السويق، أى أنهم خرجوا لشرب السويق فى الطريق، لا للحرب، و القتال.

و لو كان العام عام جدب فعلا، فلماذا خرج أبو سفيان بهذا الجيش الكثيف من مكه؟ ألم يكن يدرى حين جهز جيشه بهذا الجدب الذى زعمه، ثم اكتشفه بعد أن قطع مسافه من الطريق، و بلغ إلى مجنّه من ناحيه مرّ الظهران؟!.

الإنتظار ثمانيه أيام:

و إذا كانت بدر تستضيف الكثيرين الذين يأتونها من مناطق مختلفه، لأجل السوق؛ فإن حضور المسلمين فى هذا السوق على هذه الصوره الملفته و المثيره، لسوف يكون له تأثيره القوى على الناس الذين يعيشون فى المناطق على اختلافها. خصوصا إذا لاحظ الناس هذا الإصرار من المسلمين على لقاء عدوهم، حتى إنهم لينتظرون ثمانيه أيام، ثم يتخلف عدوهم عن الحضور، رغم أنه كان هو الطالب و الراغب بمناجزه المسلمين و قتالهم فى هذا الموضع.

و إذا كان هذا العدو هو مشركو مكه؛ بما لها من هيبه، و نفوذ، و ليس عدوا عاديا من سائر القبائل، فإن القضيه سوف تصبح أكثر حساسيه بالنسبه لأولئک الناس، و لسوف يكون لها أكثر من مغزى عميق و دقيق، و أكثر من أثر سلبى و إيجابى على مشاعرهم و أحاسيسهم، و على نظرتهم إلى المستقبل، بصوره عامه.

و هكذا: فإن الكل سوف يدرک أن ما جرى فى أحد لم يؤثر و لم يغير فى المعادله شيئا، إن لم نقل: إنه قد كانت له آثار سلبيه على المشركين، و إيجابيه على المسلمين كما هو ظاهر.

الإتجار فى بدر الموعد:

إن البعض قد رأى: أنه من غير المعقول أن يحمل المسلمون معهم إلى بدر بضائع للتجاره، ما داموا ذاهبين إلى القتال، و إلى منطقه يجتمع فيها خلائق من الناس الذين يلتقون مع قريش فى أهدافها، و فى عقائدها و مواقفها تجاه الإسلام و المسلمين.

إذن .. فموضع لقاء المسلمين بالمشركين ليس هو بدر التى هى سوق للعرب.

كما أنهم قد ذهبوا إلى الحرب بلا بضائع، و ليس لأجل البيع و الشراء (1).

و نقول:

إننا لا نستطيع أن نوافق هذا الباحث على رأيه المشار إليه، و ذلک لأن4.

1- راجع: سيره المصطفى ص 454.

سوق بدر لم يكن المجتمعون فيه مستدعين لخوض حرب تحتاج إلى تجهيزات كثيره و متنوعه، من خيول و دروع و أعتده مختلفه.

كما أن سيطره الجيش الإسلامى على الموقف سوف تمنحه الفرصه للتعامل مع الآخرين و عقد الصفقات التجاريه بكل طمأنينه و ثقه.

أضف إلى ذلک: أن جهاز الاستخبارات الإسلامى كان من القوه بحيث إنه كان يرصد أى تحرک يحصل فى مختلف أنحاء الجزيره العربيه على اتساعها و ترامى أطرافها، و ينهيه إلى الرسول الأكرم فى الموقع المناسب.

و يدل على ذلک: أنا نجد النبى (صلى اللّه عليه و آله) يفاجئ أعداءه، الذين يتآمرون، و يتأهبون لقتاله، و هم غارون، و قبل أن تصدر منهم أيه بادره أو أن يجدوا الفرصه لأى تحرک و التفاف، و لو من خلال إعاده تنظيم أمرهم، و لم شعثهم.

فجهاز الاستخبارات هذا لا يعجز عن رصد حاله الناس فى تلک السوق. كما أنه لا يعجز عن موافاه النبى (صلى اللّه عليه و آله) فى الوقت المناسب بحقيقه نوايا قريش، و ما أزمعت عليه من كيد و مكر إعلامى فاشل.

و من الجهه الأخرى: فإن المسلمين كانوا و ما زالوا رغم حروبهم مع أعدائهم منفتحين حتى على أولئک الأعداء فى النواحى التجاريه و الإنمائيه.

حتى إننا لنجد تجار المشركين لا يزالون يترددون على المدينه بتجاراتهم المختلفه.

و يحدثنا التاريخ: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) نفسه كان يشجع هذا التوجه بصوره عامه. كما أوضحناه فى كتابنا: السوق فى ظل الدوله

الإسلاميه، فراجع.

و يكفى أن نذكر: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد أطلق الصناع و أصحاب الحرف فى خيبر لينتفع بهم المسلمون، كما سيأتى حين الحديث عن غزوه خيبر.

فالجيش الإسلامى إذن لا بد أن يقدم نموذجا من الوفاء و التضحيه و الانضباطيه أولا. كما أنه فى نفس الوقت يقيم علاقات تجاريه مع الآخرين، و يتعامل معهم بطريقه سليمه و عفويه، و بريئه، من خلال إحساسه بالثقه و بالقوه و الثبات.

أضف إلى ذلک: أن المسلمين كانوا يشكون فى وفاء أبى سفيان بالوعد، قال: موسى بن عقبه: (و خرجوا ببضائعهم، و قالوا: إن لقينا أبا سفيان فهو الذى خرجنا له، و إن لم نلقه ابتعنا ببضائعنا) (1).

و من يدرى فلعل النبى (صلى اللّه عليه و آله) نفسه قد طلب من المسلمين ذلک، من أجل خدمه تلک العلاقات و الروابط بالذات، و من أجل أهداف تدخل فى نطاق الحرب الإعلاميه و النفسيه للأعداء، و إعطاء فرص إيجابيه إلى أولئک الآخرين الذين كانوا ينتفعون من هذه الفرص لتركيز قناعاتهم، و تبلور مفاهيمهم عن الإسلام و المسلمين، الأمر الذى ستكون له إيجابياته فى المستقبل.

غزوه دومه الجندل:

إيضاحات:

1- دومه الجندل: مدينه بينها و بين دمشق خمس ليال، و تبعد عن المدينه5.

1- تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص 203 و راجع: السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 171 و البدايه و النهايه ج 4 ص 89 و دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 385.

خمس عشره أوست عشره ليله. و هى بقرب تبوک (1).

و قيل: دومه الجندل: اسم حصن (2).

2- صاحب دومه الجندل هو أكيدر بن عبد الملک الكندى، و هو يدين بالنصرانيه، و هو فى طاعه هرقل ملک الروم (3).

3- هذه الغزوه أول غزوات النبى (صلى اللّه عليه و آله) إلى الروم (4).

4- قال المقدسى عن سنه خمس من الهجره: (و هى سنه الزلازل) (5).

تاريخ هذه الغزوه:

صرح البعض: بأن دومه الجندل كانت فى أواخر السنه الرابعه (6).

و قال بعض آخر: إنها كانت بعد غزوه ذات الرقاع بشهرين و أربعه أيام (7).

و ثالث يقول: إن الخندق كانت فى السنه الرابعه، و دومه الجندل بعدها9.

1- راجع: تاريخ الخميس ج 1 ص 469 عن ابن سعد، و السيره الحلبيه ج 2 ص 277 و سيره مغلطاى ص 54 و نهايه الأرب ج 17 ص 163 و المواهب اللدنيه ج 1 ص 108 و زاد المعاد ج 2 ص 112 و طبقات ابن سعد ج 2 ص 62 و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص 23 و التنبيه و الإشراف ص 214 و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 266.
2- تاريخ الخميس ج 1 ص 469.
3- التنبيه و الإشراف ص 215 و حبيب السير ج 1 ص 357.
4- البدء و التاريخ ج 4 ص 214.
5- التنبيه و الإشراف ص 215.
6- راجع: السيره الحلبيه ج 2 ص 277.
7- نقله فى تاريخ الخميس ج 1 ص 469.

فى الخامسه (1).

و الأكثرون على أنها كانت فى السنه الخامسه فى شهر ربيع الأول منها (2).

و عند ابن سعد: فى شهر ربيع الأول على رأس تسعه و أربعين شهرا من مهاجره (3).

هذه الغزوه:

قال البعض: (أراد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أن يدنو إلى أدنى الشام، و قيل له: إنها طرف من أفواه الشام؛ فلو دنوت لها كان ذلک مما يفزع قيصر الخ ..) (4).0.

1- تاريخ مختصر الدول ص 95.
2- راجع ما يلى: السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 177 و 178 و البدايه و النهايه ج 4 ص 92 و نقل عن الواقدى: أنها فى ربيع الآخر. و تاريخ الخميس ج 1 ص 469 و السيره الحلبيه ج 2 ص 277 و الجامع للقيروانى ص 281 و سيره مغلطاى ص 54 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 قسم 2 ص 29 و شذرات الذهب ج 1 ص 11 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 232 و أنساب الأشراف ج 1 ص 341 و حبيب السير ج 1 ص 357 و زاد المعاد ج 2 ص 112 و المغازى للواقدى ج 1 ص 402 و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 266.
3- الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 62 و نهايه الإب ج 17 ص 163 و المواهب اللدنيه ج 1 ص 108.
4- مغازى الواقدى ج 1 ص 403 و راجع: السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 177 و البدايه و النهايه ج 4 ص 92 و دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 390.

و قال بعض آخر: إنهم كانوا يعترضون المسافرين إلى المدينه و تجارهم .(1)

غير أن جمعا آخر من المؤرخين يقولون: إنه (صلى اللّه عليه و آله) سمع أن جمعا من قضاعه و غسان تجمعوا بكثره فى دومه الجندل. و كان بها سوق عظيم، و تجار، بلغ رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): أنهم يظلمون من مر بهم. و أنهم يريدون أن يدنوا من المدينه.

فاستخلف (صلى اللّه عليه و آله) على المدينه سباع بن عرفطه الغفارى- و عند المسعودى: استخلف ابن أم مكتوم- و خرج لخمس ليال بقين من شهر ربيع الأول فى ألف من أصحابه.

فكان يسير الليل و يكمن النهار، و معه دليل من بنى عذره يقال له مذكور. و قد نكب عن طريقهم، فلما كان بينه و بين دومه يوم قال الدليل:

يا رسول اللّه، إن سوائمهم ترعى عندک؛ فأقم حتى أنظر.

و سار مذكور حتى وجد آثار النعم؛ فرجع و قد عرف مواضعهم؛ فهجم النبى (صلى اللّه عليه و آله) على ماشيتهم؛ فأصاب من أصاب، و هرب من هرب فى كل وجه.

و جاء الخبر إلى دومه الجندل، فتفرقوا، و رجع النبى (صلى اللّه عليه و آله).

و فى نص آخر: و نذر به القوم، فتفرقوا؛ فلم يجد إلا النعم و الشاء، فهجم على ماشيتهم و رعاتهم فأصاب من أصاب، و هرب من هرب فى كل وجه، و جاء الخبر أهل دومه، فتفرقوا.5.

1- التنبيه و الإشراف ص 215.

و نزل (صلی اللّه علیه و آله) بساحتهم، فلم یلق بها أحدا؛ فأقام بها أیاما، و بث السرایا، و فرقها؛ فرجعوا و لم یصادفوا منهم أحدا و رجعت السریه بالقطعه من الإبل.

فرجع (صلی اللّه علیه و آله)، و دخل المدینه فی العشرین من ربیع الآخر، فکانت غیبته خمسا و عشرین لیله (1).

و قال المقدسی: (إن التجار و السابله شکوا أکیدر الکندی عامل هرقل علیها، فسار إلیها فی ألف رجل، یسیر اللیل و یکمن النهار، و أحس بذلک أکیدر فهرب، واحتمل الرحل، و خلی السوق، و تفرق أهلها، فلم یجد رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أحدا، فرجع) (2).

کانت تلک صوره عما یقوله المؤرخون عن هذه الغزوه قد جمعنا).

1- راجع ما تقدم کله أو بعضه فی المصادر التالیه: تاریخ الخمیس ج 1 ص 469 و طبقات ابن سعد ج 2 ص 62 و السیره الحلبیه ج 2 ص 277 و أنساب الأشراف ج 1 ص 341 و سیره مغلطای ص 54 و حیاه محمد لهیکل ص 281 و العبر و دیوان المبتدأ و الخبر ج 2 قسم 2 ص 29 و الوفاء ص 691 و تاریخ الأمم و الملوک ج 2 ص 232 و الثقات ج 1 ص 260 و التنبیه و الإشراف ص 215 و حبیب السیر ج 1 ص 357 و زاد المعاد ج 2 ص 112 و تاریخ الإسلام للذهبی (المغازی) ص 212 و المغازی للواقدی ج 1 ص 403 و نهایه الأرب ج 17 ص 163 و المواهب اللدنیه ج 1 ص 108 و البدایه و النهایه ج 4 ص 92 و السیره النبویه لابن کثیر ج 3 ص 177 و السیره النبویه لدحلان ج 1 ص 266 و دلائل النبوه للبیهقی ج 3 ص 390 و 391.
2- البدء و التاریخ ج 4 ص 214 و أشار إلیه الذهبی فی تاریخ الإسلام (المغازی) ص 212 (السابله: عابر و السبیل).

شتاتها، و ألفنا بين متفرقاتها و مختلفاتها، فراجع المصادر التى فى الهوامش.

و قبل أن نواصل الحديث نتوقف قليلا لنسجل بعض الملاحظات و التحفظات فنقول:

مده غيبته صلى اللّه عليه و آله عن المدينه:

قولهم: إن مده غيبته (صلى اللّه عليه و آله) عن المدينه فى هذه الغزوه كانت خمسا و عشرين ليله لا يصح.

لأنهم يقولون: إن دومه الجندل تبعد عن المدينه مسافه خمس عشره أو ست عشره ليله (1)، فالذهاب و الإياب منها و إليها لسوف يستغرق أكثر من شهر.

يضاف إلى ذلک: أنه کان يسير الليل و يكمن النهار، فقد يحتاج المسير إليها و الحاله هذه إلى أكثر من ذلک أيضا.

هذا بالإضافه إلى أنهم يقولون: إنه أقام بها أياما يبث السرايا، فكيف تكون مده غيبته عن المدينه خمسا و عشرين ليله فقط؟!.

رجوع النبى صلى اللّه عليه و آله قبل بلوغ دومه!!

قد ادّعى البعض، كابن هشام: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) رجع قبل أن يصل إلى دومه الجندل (2).0.

1- تقدمت مصادر ذلک فى أول هذا الفصل تحت عنوان: إيضاحات.
2- راجع: السيره النبويه لابن هشام ج 3 ص 224 و تاريخ الخميس ج 1 ص 469 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 177 عن ابن إسحاق و البدايه و النهايه ج 4 ص 92 و دلائل النبوه ج 3 ص 390.

و قد يكون لنا الحق فى أن نشك فى صحه هذا القول، ما دام أنه يعطى انطباعا سلبيا عن حاله المسلمين، فإن الرجوع لا بد أن يكون لأحد سببين، أو كليهما، و كلاهما مرفوض.

و هما:

الأول: إنه خاف من التعرض لقيصر، فإنه قد راجع حساباته فى الطريق؛ فأدرک أن هذا فى غير صالحه؛ فآثر الرجوع، و لو تسبب ذلک بنوع من الشعور بالضعف لدى المسلمين، و سوف يؤكد ذلک هيبه ملک الروم فى نفوسهم، و هذا مما لا يمكن قبوله فى حق النبى (صلى اللّه عليه و آله).

الثانى: إنه قد أحس بأن المدينه تتعرض لخطر من نوع ما فى حال غيابه عنها، سواء من داخلها، من قبل المنافقين و اليهود و غيرهم ممن لم يسلم حتى الآن، أو من خارجها، من قبل قريش و من معها من المشركين المتربصين حول المدينه، و فى سائر المناطق.

و هذه أيضا نقطه ضعف أخرى، كان من المفروض أن يكون (صلى اللّه عليه و آله) قد حسب حسابها، و أعد العده لمواجهتها، قبل أن يخرج من المدينه. فلا يمكن أيضا قبول هذا السبب لما يتضمنه من نسبه القصور أو التقصير- و العياذ باللّه- إلى ساحه قدس النبى الأكرم (صلى اللّه عليه و آله).

التوجيه الأقرب:

و إذا صح أنه رجع و لم يبلغها، فالأظهر أنه قد بلغه أن أهلها قد عرفوا بمسيره إليهم، فتنحوا عنها إلى جهه غير معلومه، بحيث لم يعد ثمه فائده من المسير إليهم.

لکن الذی یعترض طریق قبول ذلک هو تلک التفاصیل الکثیره و الدقیقه التی یذکرها المؤرخون مما کان قد حصل فی غزوه دومه الجندل.

و لا سیما مع تصریحهم، بأنه لما کان بینه و بین دومه الجندل یوم، قال الدلیل: یا رسول اللّه الخ .. و تصریحهم بأنه أقام أیاما یبث السرایا فی النواحی.

فالأقرب أن یقال: إن هؤلاء الذین ادّعوا: أنه قد رجع قبل أن یبلغها قد غلطوا فی ذلک و لیس الغلط من مثل هؤلاء بعزیز.

و نسجل هنا ما یلی:

ألف: إننا نلاحظ: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) یختار المسیر لیلا و الکمون نهارا، لیمکن له مفاجأه العدو، و أخذه علی حین غره، فیحقق بذلک الغرض من دون أن یتکبد المسلمون خسائر کبیره، لو أن المشرکین کانوا مستعدین للحرب، عارفین بمسیر المسلمین إلیهم.

و یکون بذلک قد قدم لنا أیضا مثلا فی التدبیر الحربی السلیم، الذی یوفر مزیدا من الفرص لتسجیل النصر الحاسم، من خلال الاستفاده من عنصر التخفی فی التحرک نحو الهدف المطلوب.

ب: إن تحرک النبی (صلی اللّه علیه و آله) و المسلمین، کان بهدف الحفاظ علی حریه حرکه الناس، و ضرب مصدر المتاعب حینما أصبحت طرق المواصلات و الإمدادات و التموین، الذی یأتی عن طریق التجاره مع المناطق الشمالیه کسوریه و ما والاها غیر آمنه. إنه (صلی اللّه علیه و آله) قد تحرک لیصبح طریق الناس آمنا، و لیمکنهم من أن یتواصلوا و ینفع بعضهم بعضا من خلال نقل التجارب و المعارف، و نقل المنتجات، و غیر ذلک.

و هذا يشير إلى أن حق الحريه هذا مقدس، و لا يمكن المساس به من أى كان، و أنه لا يمكن للحاكم العادل أن يقف تجاه انعدام الأمن موقف اللامبالاه، و يعتبر أن ذلک لا يعينه، و إنما هو مسؤوليه غيره، بل عليه أن يبادر إلى تحمل مسؤوليه حمايه حريه الناس فى تحركاتهم، و ترددهم بتجاراتهم و غيرها، رغم أن ذلک يحمل فى طياته خطر الاصطدام بعامل هرقل عظيم الروم، ثم بهرقل ذاته من بعده.

ج: يضاف إلى ما تقدم: أن ما جرى فى بدر الموعد، قد أعطى المسلمين المزيد من النشاط، و جعلهم يتحركون بصوره أكثر حيويه و فاعليه، حينما توجهوا إلى شمال الجزيره، بعد أن توطدت هيبتهم فى الجنوب بسبب ما جرى فى غزوتى بدر الموعد، و حمراء الأسد، و غيرهما.

و معنى ذلک هو: أنهم قد عطفوا نظرهم إلى منطقه يعتبر قيصر الروم فيها هو الأقوى، و الأعظم نفوذا، و لا يتوقع القيصر أن تنشأ فى جزيره العرب حركه تجترئ عليه، أو تسمح لنفسها بالتفكير بالتطاول على هيبته و سلطانه.

د: و الأكثر وقعا و تأثيرا فى هذه الغزوه: أن نجد النبى (صلى اللّه عليه و آله) حينما وصل إلى دومه الجندل، وفر أولئک الأشرار منها، قد بقى يبث السرايا و البعوث عده أيام فى مختلف الاتجاهات، بحثا عن أولئک الأشرار الهاربين.

و معنى ذلک هو: أن هذا الهجوم قد كان مدروسا بعنايه، و هدوء، و يراد له أن يترک آثاره فى المنطقه كلها، و لم يكن ثمه تسرع فى اتخاذ القرار فيه، و لا كان ناشئا عن اندفاع عاطفى، أو ما أشبه ذلک.

ه: إن سرعه تحرک جیش بهذه الکثافه إلی بلد یبعد عنه مسیره أیام کثیره و ثقته بنفسه، و اطمئنانه إلی عدم جرأه أحد علی العبث بالأمن فی بلده من بعده، لیدل علی مدی ثقه هذا الجیش بنفسه و بقدراته، و علی أنه قادر علی تسدید ضربته لکل من تسول له نفسه أن یتآمر أو یشارک فی التآمر ضده، و علیه أن یحسب ألف حساب قبل أن یقدم علی التحالف مع أعدائه و مناوئیه.

و إذا کان المسلمون أقویاء، فلسوف تتشوف نفوس الکثیرین للتحالف معهم، و الوقوف إلی جانبهم، و العیش فی کنفهم.

و لا أقل من أنهم سوف یسعون لإقامه علاقات طبیعیه معهم. أما التحالف مع الأعداء، و مشارکتهم فی مناوأه المسلمین، فإنه یصبح أکثر صعوبه خصوصا من القبائل التی لا تتوفر لدیها أعداد ضخمه و کافیه لحمایه نفسها من قوه لها هذا النشاط، و بهذا الحجم و المستوی.

و هذا من شأنه أن یضعف أمر قریش، و یقلل من الفرص المتاحه لجمع الحشود، و تحزیب الأحزاب لمواجهه المد الإسلامی العارم.

و: إن النبی (صلی اللّه علیه و آله) و المسلمین و هم یحاولون أن یقللوا من الخسائر البشریه ما أمکنهم، فإنهم یعتمدون طریقه الضغط السیاسی و الروحی، علی الخصم، و کذلک إضعافه اقتصادیا بصوره رئیسیه باستیلائهم علی مواشیهم و أموالهم، الأمر الذی یضعف مقاومتهم، و قدرتهم علی تنظیم المؤامرات، و بذل الأموال لتجییش الجیوش لحرب المسلمین.

و لیس ذلک لأجل حب السلب و النهب، و جمع الأموال، و الشاهد علی ذلک: أننا نجده (صلی اللّه علیه و آله) یجعل فداء أسیر من أسری المشرکین

تعليم عشره أطفال من المسلمين القراءه و الكتابه، رغم شده حاجه المسلمين لأقل شی ء من المال. و قد تقدم ذلک فی غزوه بدر.

كما أننا نراه (صلی اللّه علیه و آله) حین یرتکب خالد بن الولید جریمه فی حق بعض القبائل- و ذلک حینما أرسل خالدا لدعوه بنی جذیمه، فآمنهم، فلما وضعوا السلاح أمر بهم فکتفوا، ثم عرضهم علی السیف- نراه (صلی اللّه علیه و آله) لما بلغه ذلک تبرأ من فعل خالد، ثم أرسل علیا (علیه السلام) فودی لهم الدماء، و ما أصیب لهم من الأموال، حتی إنه لیدی میلغه الکلب (1).

دومه الجندل حقیقه أم خیال؟!:

قال العلامه الحسنی: (إن أخبار هذه الغزوه أکثرها عن الواقدی، و أخباره فی الغالب من نوع المراسیل، و من البعید أن یترک النبی (صلی اللّه علیه و آله) المدینه قرابه شهر کامل، کما یدّعی المؤلفون فی السیره، إلی مکان بعید مسافه تزید عن خمسه عشر یوما، و الأعراب من حولها لا یزالون علی الشرک، و هم یترقبون المسلمین، و یستغلون الفرصه المناسبه للوقیعه بهم.

و من ذا یمنعهم من المدینه إذا غاب عنها النبی (صلی اللّه علیه و آله) مع ألف من أصحابه و فیها من المنافقین ما لا یقل عددا عن المسلمین و کانوا علی اتصال دائم بقریش و أحلافها من المشرکین؟ی.

1- راجع: الغدیر ج 7 ص 169 عن سیره ابن هشام ج 4 ص 53- 57 و عن تاریخ أبی الفداء ج 1 ص 145 و عن أسد الغابه ج 3 ص 102 و عن الإصابه ج 1 ص 318 و ج 2 ص 81 و عن البخاری کتاب المغازی.

من البعيد أن يتركها ليغزو أطراف الجزيره المتاخمه لحدود الشام فى مثل هذه الظروف إلا أن يكون مأمورا بذلک من اللّه سبحانه) (1).

و نقول:

1- إننا لا نستطيع أن نوافق على ما ذكره العلامه الحسنى (رحمه اللّه)، لأن ذلک لو كان، لكان مانعا من التحرک نحو أى من المناطق الأخرى، قريبه كانت أو بعيده. فإن كثيرا من الغزوات كان النبى (صلى اللّه عليه و آله) يغيب فيها أياما كثيره. فقد غاب فى غزوه بدر الموعد ست عشره ليله، منها ثمانيه أيام أقامها فى بدر، و الباقى فى الطريق ذهابا و إيابا، و كانت غيبته فى ذات الرقاع خمس عشره ليله، و كانت غيبته فى غزوه بنى المصطلق ثمانيه و عشرين يوما.

فقد كان بإمكان الأعداء أن يغتنموا فرصه غيابه للإغاره على المدينه، بصوره سريعه و خاطفه، أو احتلالها، لا سيما مع وجود اليهود و المنافقين، و المشركين فيها و حولها.

2- و من جهه ثانيه، فإن سير الأحداث يعطى: أن الرسول الأكرم (صلى اللّه عليه و آله) كانت له أجهزه استخبارات قويه و فاعله لا يفوتها رصد أيه تحركات أو تجمعات مريبه، بل و حتى المؤامرات و النوايا أحيانا.

و قد كانت مبثوثه فى مختلف الأنحاء و الأرجاء قريبه كانت أو بعيده كما ألمحنا إليه فيما سبق.

و من الواضح: أن مهاجمه المدينه فى غياب الرسول (صلى اللّه عليه7.

1- سيره المصطفى ص 457.

و آله) يحتاج إلى جمع قوى كثيره من مختلف القبائل و لن يخفى ذلک على عيون الرسول الأكرم (صلى اللّه عليه و آله).

3- أضف إلى ذلک: أن النبى كان قد عقد تحالفات و معاهدات كثيره فى المنطقه، كما أنه قد عقد تحالفات مع سكان المدينه أنفسهم، يلزمهم فيها الدفاع و النصر، خصوصا إذا هوجم، فكيف إذا هوجموا؟

4- و حين يظعن النبى (صلى اللّه عليه و آله) عن المدينه، فإنه لا يخليها نهائيا، بحيث لا تبقى فيها أيه قوه عسكريه قادره على ضبط الوضع داخليا، و الدفاع ضد العدو الخارجى قدر الإمكان لو دهمهم أمر، و إلى أن يأتى الرسول (صلى اللّه عليه و آله)، و يمسک هو بزمام المبادره.

5- مضافا إلى أن ضرب المدينه فى غياب النبى (صلى اللّه عليه و آله) لا يحسم الأمر، بل هو سوف يعرض من تسول له نفسه و يقدم على ذلک إلى العقاب الصارم، الذى لن يكون قادرا على دفعه عن نفسه. فإن الكل كانوا أصغر من أن يجرؤوا على ذلک، بعد أن عجزت قريش و فشلت ذلک الفشل الذريع. و لم يكن لأى من القبائل ما كان لقريش من قوه و شوكه، و نفوذ و منعه فى المنطقه بأسرها.

ذكريات أبى موسى الأشعرى فى دومه الجندل:

و يذكر المؤرخون: أن تحكيم الحكمين قد كان بدومه الجندل (1).م.

1- تاريخ الخميس ج 1 ص 469 و صفين ص 535 و 538 و 540 و شرح نهج البلاغه للمعتزلى الشافعى ج 2 ص 248 و راجع: مروج الذهب ج 2 ص 352 و مصادر ذلک كثيره جدا فلتراجع كتب التاريخ، حين الحديث حول قضيه صفين، ثم التحكيم.

و فى كتاب الخوارج عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال: (مررت مع أبى موسى بدومه الجندل، فقال: حدثنى حبيبى (صلى اللّه عليه و آله): أنه حكم فى بنى إسرائيل فى هذا الموضع حكمان بالجور، و أنه يحكم فى أمتى حكمان بالجور فى هذا الموضع.

قال: فما ذهبت الأيام حتى حكم هو و عمرو بن العاص فيما حكماه، قال: فلقيته.

فقلت: يا أبا موسى قد حدثتنى عن رسول اللّه.

فقال: و اللّه المستعان. كذا أورده المجد) (1).

موادعه عيينه بن حصن الغادر:

و يذكر المؤرخون: أنه لما رجع النبى (صلى اللّه عليه و آله) من دومه الجندل وادع عيينه بن حصن الذى كانت أرضه قد أجدبت: أن يرعى بتغلمين و ما والاه إلى المراض، و كان ما هناك قد أخصب، و هو موضع بينه و بين المدينه سته و ثلاثون ميلا على طريق الربذه (2).2.

1- تاريخ الخميس ج 1 ص 469 و ذكر هذه القصه أيضا و إن لم يصرح بأن التحكيم كان و سيكون فى دومه الجندل كل من: المسعودى فى مروج الذهب ج 2 ص 392 و شرح نهج البلاغه للمعتزلى ج 13 ص 315 و راجع ص 316 و راجع: قاموس الرجال ج 6 ص 108 و 109.
2- السيره الحلبيه ج 2 ص 277 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 63 و راجع: نهايه الأرب ج 17 ص 163 و سيره مغلطاى ص 54 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 قسم 2 ص 29 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 232.

و سيأتى: أنه لما سمن حافره، و انتقل إلى أرضه أغار على لقاح (1) رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بالغابه ..

حكومه القيم، أم حكومه المشاعر؟!

و غنى عن القول هنا: إن عيينه بن حصن كان لا يزال هو و من معه على الشرك و الكفر، الذى كان يناوئ الدعوه الإسلاميه بكل الوسائل.

و لم يكن النبي (صلى اللّه عليه و آله) حين سمح له بما سمح يطمع فى الحصول على أى نفع من قبله، فلم يكن يريد فى مقابل ذلک مالا، و لا كان يريد منه أن ينصره على عدوه، و يتقوى به على مناوئيه، لا فى مال، و لا رجال.

كما أن عيينه لم يكن يملک قوه خارقه للعاده، بحيث يخشاه النبى (صلى اللّه عليه و آله) و ينصاع لما يطلبه منه.

كما أننا نلاحظ: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) لم يحاول استغلال حاجه عيينه و من معه، ليفرض عليهم شروطا، و يحصل على امتيازات سياسيه، أو ماديه، أو غير ذلک. بل هو لم يطلب حتى السماح لدعاته بأن يطرحوا مع الناس هناک قضيه الإسلام و الإيمان، فضلا عما هو أبعد من ذلک.

بل تصرف النبى (صلى اللّه عليه و آله) على أساس ما لديه من مثل و قيم، و قناعات و منطلقات إيمانيه و إنسانيه، و من ثوابت أخلاقيه و دينيه.

فالنبى (صلى اللّه عليه و آله) يرى أن الحرب إنما تهدف إلى منع قوين.

1- اللقاح: النياق الحلوب الغزيره اللبن.

الهيمنه و الاستكبار من فرض إرادتها، و مصادره حريه الآخرين فى الفكر و فى الإيمان. و إلى دفع غائله العدو الذى يريد سحق قوى الخير، و نسف قواعد الإيمان. و ليس للحرب أى دور حين تجرى الأمور بصوره طبيعيه.

فإن السلاح الذى يعتمد عليه الإسلام هو الدليل القاطع و البرهان الساطع، و الدعوه إلى اللّه بالحكمه و الموعظه الحسنه، و الجدال بالتى هى أحسن ..

بل إن كل الجرائم التى ارتكبها مشركو قريش فى حق الإسلام و المسلمين لم تمنع النبى (صلى اللّه عليه و آله) من إرسال الأموال إلى مكه، حين علم أن أهلها يعانون من ضائقه كبيره بسبب الجدب.

و لم يكن منطلقه فى ذلک، و لا فى موقفه هنا من عواطف ثائره، تتحرک باندفاع و بعنفوان بصوره غير واعيه و لا متزنه فى الحالات الطارئه. بل منطلقه (صلى اللّه عليه و آله) هو القيم و المثل العليا، و كل المعانى الإنسانيه الصافيه و النبيله، فليس ثمه تناقض بين الأحاسيس و المشاعر، و بين الموقف الرسالى و المبدئى.

بل إن مشاعره (صلى اللّه عليه و آله) و أحاسيسه قد نمت و تربت فى ظل مبادئه و قيمه و من خلالها، فمنها تنطلق و إليها تنتهى، و على أساسها تقوم و تدوم.

القسم السابع من الخندق إلى الحديبيه

اشاره

آیات حول غزوه الخندق:

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم قال تعالی: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّهَ وَ لَمَّا یَأْتِکُمْ مَثَلُ الَّذِینَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِکُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْساءُ وَ الضَّرَّاءُ وَ زُلْزِلُوا حَتَّی یَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِینَ آمَنُوا مَعَهُ مَتی نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِیبٌ (1).

قال تعالی: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اذْکُرُوا نِعْمَهَ اللَّهِ عَلَیْکُمْ إِذْ جاءَتْکُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنا عَلَیْهِمْ رِیحاً وَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها وَ کانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِیراً، إِذْ جاؤُکُمْ مِنْ فَوْقِکُمْ وَ مِنْ أَسْفَلَ مِنْکُمْ وَ إِذْ زاغَتِ الْأَبْصارُ وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ وَ تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا، هُنالِکَ ابْتُلِیَ الْمُؤْمِنُونَ وَ زُلْزِلُوا زِلْزالًا شَدِیداً، وَ إِذْ یَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً.

وَ إِذْ قالَتْ طائِفَهٌ مِنْهُمْ یا أَهْلَ یَثْرِبَ لا مُقامَ لَکُمْ فَارْجِعُوا وَ یَسْتَأْذِنُ فَرِیقٌ مِنْهُمُ النَّبِیَّ یَقُولُونَ إِنَّ بُیُوتَنا عَوْرَهٌ وَ ما هِیَ بِعَوْرَهٍ إِنْ یُرِیدُونَ إِلَّا فِراراً، وَ لَوْ دُخِلَتْ عَلَیْهِمْ مِنْ أَقْطارِها ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَهَ لَآتَوْها وَ ما تَلَبَّثُوا بِها إِلَّاه.

1- الآیه 214 من سوره البقره.

يَسِيراً، وَ لَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الْأَدْبارَ وَ كانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُلًا قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَ إِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا، قُلْ مَنْ ذَا الَّذِی یَعْصِمُکُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرادَ بِکُمْ سُوءاً أَوْ أَرادَ بِکُمْ رَحْمَةً وَ لا یَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِیًّا وَ لا نَصِیراً، قَدْ یَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِینَ مِنْکُمْ وَ الْقائِلِینَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَیْنا وَ لا یَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِیلًا، أَشِحَّةً عَلَیْکُمْ فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ رَأَیْتَهُمْ یَنْظُرُونَ إِلَیْکَ تَدُورُ أَعْیُنُهُمْ کَالَّذِی یُغْشی عَلَیْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوکُمْ بِأَلْسِنَهٍ حِدادٍ أَشِحَّةً عَلَی الْخَیْرِ أُولئِکَ لَمْ یُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ وَ کانَ ذلِکَ عَلَی اللَّهِ یَسِیراً، یَحْسَبُونَ الْأَحْزابَ لَمْ یَذْهَبُوا وَ إِنْ یَأْتِ الْأَحْزابُ یَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بادُونَ فِی الْأَعْرابِ یَسْئَلُونَ عَنْ أَنْبائِکُمْ وَ لَوْ کانُوا فِیکُمْ ما قاتَلُوا إِلَّا قَلِیلًا، لَقَدْ کانَ لَکُمْ فِی رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ کانَ یَرْجُوا اللَّهَ وَ الْیَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَکَرَ اللَّهَ کَثِیراً، وَ لَمَّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزابَ قالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ صَدَقَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ ما زادَهُمْ إِلَّا إِیماناً وَ تَسْلِیماً، مِنَ الْمُؤْمِنِینَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَیْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضی نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ یَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِیلًا، لِیَجْزِیَ اللَّهُ الصَّادِقِینَ بِصِدْقِهِمْ وَ یُعَذِّبَ الْمُنافِقِینَ إِنْ شاءَ أَوْ یَتُوبَ عَلَیْهِمْ إِنَّ اللَّهَ کانَ غَفُوراً رَحِیماً، وَ رَدَّ اللَّهُ الَّذِینَ کَفَرُوا بِغَیْظِهِمْ لَمْ یَنالُوا خَیْراً وَ کَفَی اللَّهُ الْمُؤْمِنِینَ الْقِتالَ وَ کانَ اللَّهُ قَوِیًّا عَزِیزاً، وَ أَنْزَلَ الَّذِینَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْکِتابِ مِنْ صَیاصِیهِمْ وَ قَذَفَ فِی قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِیقاً تَقْتُلُونَ وَ تَأْسِرُونَ فَرِیقاً، وَ أَوْرَثَکُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِیارَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ وَ أَرْضاً لَمْ تَطَؤُها وَ کانَ اللَّهُ عَلی کُلِّ شَیْ ءٍ قَدِیراً (1).ب.

1- الآیات 9- 27 من سوره الأحزاب.

ص: 125

تقدیم:

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ، الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ، مالِکِ یَوْمِ الدِّینِ، إِیَّاکَ نَعْبُدُ وَ إِیَّاکَ نَسْتَعِینُ، اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِیمَ.

و الصلاه و السلام علی محمد و آله الطاهرین، و بعد ..

فان حدیثنا فی هذا القسم سیکون- إن شاء اللّه- عن غزوه الأحزاب:

(الخندق) و هی الغزوه التی سمیت سوره قرآنیه باسمها بسبب أهمیتها البالغه ..

و حیث إن الحدیث عن هذه الغزوه سوف یتخذ منحی تحقیقیا و تتبعیا، بالإضافه إلی وقفات تحلیلیه سریعه و مقتضبه، و متناثره هنا و هناک، فسیکون من الصعب علی القارئ لملمه أطراف الحدیث و جمع شتات المطالب، و ربط بعضها ببعض و لو فی حدود الخطوط العامه للحدث.

و لأجل ذلک رأینا أن نذکر نصا مختصرا لهذه الغزوه یکاد یقتصر علی عناوینها العامه.

فنقول:

موجز عن غزوه الخندق:

إنه فى السنه الرابعه- كما هو الأقوى- أو فى الخامسه- سار عدد من اليهود إلى مكه و استنفروا أهلها لقتال النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و استئصال المسلمين. واتصلوا أيضا بقبيله غطفان، و قبائل عربيه أخرى و حرضوهم على حرب محمد، و وعدوهم بالأموال؛ فساروا و هم ألوف كثيره إلى المدينه لإنجاز هذا المهم.

فبلغ النبى (صلى اللّه عليه و آله) خبرهم، حفر خندقا حول المدينه من الجهه المكشوفه منها. و جعل للخندق أبوابا، و جعل على الأبواب حرسا.

و قد شارك النبى (صلى اللّه عليه و آله) بنفسه فى حفر الخندق، و ظهرت له (صلى اللّه عليه و آله) حينئذ كرامات و معجزات، سنذكرها فى الموضع المناسب إن شاء اللّه تعالى.

و قد عسكر (صلى اللّه عليه و آله) إلى جنب جبل سلع، و جعل الخندق بينه و بين الأحزاب، و جعل النساء و الصبيان فى بعض حصون المدينه، و استخلف على المدينه ابن أم مكتوم. و كان لواء النبى (صلى اللّه عليه و آله) مع على (عليه السلام).

و لما وافى الأحزاب فوجئوا بالخندق، و نزلوا فى الجهه الأخرى منه، و حاصروا المسلمين.

و ذهب حيى بن أخطب اليهودى إلى بنى قريظه، و لم يزل بهم حتى نقضوا العهد مع المسلمين.

فلما بلغ النبى (صلى اللّه عليه و آله) ذلک أرسل إليهم من يثبت له الأمر فرجعوا إليه و أخبروه بأن ما بلغه صحيح؛ فاشتد الأمر على المسلمين

و ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، و عظم البلاء، و نجم النفاق، و كثر الخوض، و بلغت القلوب الحناجر.

و قال المنافقون و الذين فى قلوبهم مرض: ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً.

و كان أمير المؤمنين (عليه السلام) على العسكر كله بالليل يحرسهم، فإن تحرک أحد من قريش نابذهم. و كان النبى (صلى اللّه عليه و آله) يحرس بنفسه بعض مواضع الخندق.

و لم يكن بين المسلمين و المشركين قتال إلا الرمى بالنبل و الحصا. و كان المشركون يتناوبون على الخندق، فلا يمكنهم عبوره و المسلمون يمنعونهم بالنبل و الحجاره.

و أصيب يومئذ سعد بن معاذ (رحمه اللّه) بسهم، رماه به حبان بن العرقه.

و قيل: رماه به أبو أسامه الجشمى، أو خفاجه بن عاصم.

فجعل سعد (رحمه اللّه) فى خيمه رفيده، التى كانت تداوى فيها الجرحى. و يبدو أن جماعات من المسلمين قد تركوا النبى (صلى اللّه عليه و آله) و فروا، و اختبأوا فى حديقه هناک و فيهم عمر بن الخطاب و طلحه، و قد كشفت عائشه أمرهم، و ذلک بعد إصابه سعد بن معاذ.

كما إن النصوص تؤكد على: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد بقى فى ثلاث مئه من المسلمين.

بل فى نص آخر: إنه لم يبق مع النبى (صلى اللّه عليه و آله) سوى اثنى عشر رجلا فقط.

و قد تحدثت الآيات القرآنيه عن هؤلاء الفارين، فراجع سوره الأحزاب.

و مهما يكن من أمر: فقد انتدب فوارس من المشركين فأتوا مكانا ضيقا من الخندق، و أكرهوا خيلهم على عبوره، فعبره عكرمه بن أبى جهل، و عمرو بن عبد ود، و ضرار بن الخطاب الفهرى، و هبيره بن أبى وهب، و حسل بن عمرو بن عبدود، و نوفل بن عبد اللّه المخزومى.

فخرج أمير المؤمنين (عليه السلام) فى نفر من المسلمين، حتى أخذوا عليهم الثغره التى اقتحموها. و طلب عمرو بن عبد ود البراز فلم يبرز إليه أحد من المسلمين، و خافوا منه خوفا شديدا، لما يعرفون من شجاعته و فروسيته، و كان يعد بألف فارس. و طلب علىّ (عليه السلام) من النبى (صلى اللّه عليه و آله) أن يأذن له بمبارزته فلم يأذن له.

فكرر النداء، و أنشد الشعر، و عيّر المسلمين المحجمين عنه فطلب على الإذن مره أخرى فلم يأذن له الرسول (صلى اللّه عليه و آله).

فلما كان فى المره الثالثه، و لم يبادر إلى ذلک سوى على (عليه السلام) أذن له النبى (صلى اللّه عليه و آله) و عممه و دعا له، و قال: برز الإيمان كله إلى الشرک كله. فبارزه على (عليه السلام) فقتله. و قتل ولده حسلا، و نوفل بن عبد اللّه، وفر الباقون.

فقال (صلى اللّه عليه و آله): (ضربه على يوم الخندق تعدل (أو أفضل من) عباده الثقلين إلى يوم القيامه).

و زعمت بعض الروايات: أن الذى قتل نوفلا هو الزبير، و سيأتى الإشكال فى ذلک.

و تزعم بعض الروايات: أن نعيم بن مسعود قد ساهم فى إحداث

الفتنه بين بنى قريظه و بين المشركين.

و لكن الظاهر: هو أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) هو الذى ألقى فيما بينهم بذور الخلاف و الشك كما سنوضحه.

ثم أرسل اللّه سبحانه الريح على المشركين فكانت تكفأ قدورهم، و تطرح خيامهم، و تعبث بكل ما يحيط بهم، و قذف اللّه فى قلوبهم الرعب، فعادوا بالخزى و الخيبه، و الرعب يلاحقهم، و كفى اللّه المؤمنين القتال.

و قال النبى (صلى اللّه عليه و آله) حينئذ: الآن نغزوهم و لا يغزوننا، فكان كما قال ..

و فى هذا القسم تجد التفصيل لكل ذلک، مع بعض التحقيق و التكذيب و التصديق، و التعديل و التحليل، حسبما يقتضيه المقام فإلى ما يلى من مطالب و فصول:

ص: 131

الباب الأول التحضيرات لغزوه الخندق

اشاره

الفصل الأول: الأحزاب إلى المدينه

الفصل الثانى: الخندق فى خطه الحرب و الدفاع

الفصل الثالث: حفر الخندق: أحداث و دلالات

الفصل الرابع: كرامات فى نطاق السياسه الإلهيه

الفصل الخامس: جيش المسلمين و جيش المشركين فى المواجهه

الفصل السادس: غدر بنى قريظه

الفصل السابع: معنويات الجيشين و الرعب و الخوف أيام الحصار

ص: 133

الفصل الأول: الأحزاب إلى المدينه

اشاره

ص: 135

تمهيد و بيان:

لقد كان لتوالى الحروب فى المنطقه فيما بين المسلمين من جهه و بين أعدائهم من اليهود و المشركين و من تبعهم من جهه أخرى، و انشغال المسلمين الدائم بهذه الحروب تأثير قوى على حاله المسلمين الإقتصاديه، حيث اختلت الحياه التجاريه و الحرفيه و ظهرت عوارض خطيره فيما يختص بالشأن الزراعى، حيث كانت الزراعه بمثابه العمود الفقرى للإقتصاد بالنسبه لأهل المدينه على الخصوص.

و قد بدأت بوادر الحاجه الملحه فى النواحى المعيشيه، و شحه المواد الغذائيه تظهر بصوره و بأخرى فى هذا المجتمع الإسلامى الصغير الناشئ، و المحاط بالأعداء، و المستهدف بالشر و السوء من كل ناحيه و مكان.

و بعد أن خاض المسلمون عده حروب، و مروا بأزمات كثيره فى أكثر من اتجاه، و بعد كسر شوكه بنى النضير، و كشف خياناتهم و إفشال مؤامراتهم، و بعد غزوه ذات الرقاع و غيرها .. جاء تأجيل المشركين للحرب فى بدر الموعد بسبب رعبهم و خوفهم ثم استفاده المسلمين تجاريا من سوق بدر بهذه المناسبه أمرا يبعث على الإرتياح، و يثير البهجه و الأمل، و الشعور لديهم بإمكانيه تحسن الأوضاع المعيشيه، حيث يتوفر الوقت الكافى لإعاده

تنظيم مواسمهم الزراعيه، و الإنتعاش إقتصاديا فى مجالات أخرى من حرفيه، و تجاريه و غيرها فى أجواء يهيمن عليها السلام و الأمن، و الطمأنينه النسبيه.

هذا بالإضافه إلى توفر الوقت لمواجهه المشكلات التى خلفتها الحروب السابقه، فرديه كانت أو اجتماعيه، و محاوله وضع الحلول المناسبه لها، أو التخفيف من وطأتها. و عسى و لعل يمكنهم أيضا ترتيب العلاقات بمن يحيطون بهم فى المنطقه بصوره أكثر حميميه و صفاء، و صياغتها بصوره أكثر قوه و ثباتا عنها من ذى قبل.

ثم إنهم بعد وفوق كل ذلک يصبحون أقدر على ممارسه دور الإعلام المركز و الهادئ للدعوه الإلهيه التى يحملونها، و يقومون بواجبهم فى نشرها، لتقوم على أسس متينه و رصينه من القناعات العقليه و الوجدانيه، و لتثمر من ثم حياه فى الفكر، و يقظه فى الضمير و مسؤوليه و طهرا فى الوجدان.

فجاءت حرب الأحزاب المفاجئه لتبدد كل هذه الآمال، و لتزيد من قسوه الظروف، و مراره المعاناه، و لتكون الكابوس المخيف و المخيف جدا.

خصوصا بما تميزت به من حشد بشرى هائل، و إعداد و استعداد لم تعرفه المنطقه من قبل. مع هذا الإجماع المستقطب تقريبا على العداء لهم من مختلف القبائل و الديانات و الشعوب التى تعيش فى المنطقه. يصاحبه اطمينان إلى التعاطف و التأييد من كل الآخرين من أى الديانات، أو الفئات كانوا، فى جزيره العرب، أو فى خارجها.

ثم إن حركه الأحزاب قد جاءت محرجه للمسلمين إلى درجه كبيره و خطيره من الناحيه العسكريه و الاستراتيجيه الحربيه، لأنها اتخذت صفه

هجوم شامل عليهم، من مختلف المواضع و المواقع، إِذْ جاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَ مِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ.

يقابل ذلک: ضعف ظاهر لدى المسلمين، فى العده و فى العدد، و اختراق خطير من قبل الأعداء لصفوف أهل الإيمان، من خلال قوى النفاق التى كانت تتغلغل داخل جسم هذا المجتمع الإسلامى الصغير و الناشئ.

هذا كله، بالإضافه إلى المشاكل المعيشيه و الحياتيه على مستوى الفرد و الجماعه. سواء تلک المشاكل الناشئه عن الحروب و المواجهات مع الأعداء، أو المشاكل التى تنشأ عاده من صياغه حياه اجتماعيه لفئات تعانى أصلا من تناقضات كثيره فيما بينها، بسبب اختلافها فى مستوياتها و فى حالاتها الطبيعيه و العارضه، و بسبب وجود الكثير مما هو من مخلفات الجاهليه الرعناء.

و لا ننسى هنا الإشاره إلى ضعف تأثير العامل القبلى لدى الفريق الإسلامى، لأن المسلمين كانوا لا يشكلون تيارا قبليا زاخرا و هادرا ذالون واحد، لأنهم عباره عن مجموعات صغيره من قبائل شتى، فيبقى الشعور و العصبيه للقبيله هو العامل الأضعف تأثيرا على صعيد رص الصف، و تقويه البنيه، و تأكيد اللحمه الداخليه. و إنما الحاله الإيمانيه و الدينيه وحدها هى التى توحدهم، و تشد من أزرهم، و تشحذ فيهم الهمم، و تبعث فيهم روح الإباء و الشمم. و قد كانت هذه الروح فى بدايات تكوينها لدى الكثيرين منهم فلم تكن مؤهله للصمود كثيرا و طويلا فى المواضع الصعبه و الخطيره.

و أخيرا .. نشير إلى أن تحزيب الأحزاب قد انطلق من خلال قناعه تامه،

و من شعور أكيد بأن قوه المسلمين قد بلغت حدا لم يعد يمكن القضاء عليها إلا بحشد كامل و شامل لكل القدرات و القوى الماديه و المعنويه على مستوى المنطقه بأسرها. و هذا ما حصل بالفعل، كما سنرى. و يمكرون و يمكر اللّه، و اللّه خير الماكرين.

تحزيب الأحزاب فى روايات المؤرخين:

لقد ذكر المؤرخون- و النص فى أكثره للواقدى-: أنه لما أجلى النبى (صلى اللّه عليه و آله) يهود بنى النضير، ساروا إلى خيبر. و كان بها من اليهود قوم أهل عدد و جلد (و ليس لهم من البيوت و الأحساب ما لبنى النضير) فخرج عدد من اليهود، بعضهم من بنى وائل و الباقون من بنى النضير، و هم بضعه عشر رجلا، أو حوالى عشرين، خرجوا إلى مكه يدعون قريشا واتباعها إلى حرب محمد (صلى اللّه عليه و آله). و كان ذلک فى السنه الرابعه، أو الخامسه أو السادسه للهجره.

و هؤلاء هم- كما ورد فى النصوص المختلفه-: حيى بن أخطب، و كنانه بن الربيع بن أبى الحقيق، و هوذه بن الحقيق، و هوذه بن قيس الوائلى (أو الوالبى كما فى الإرشاد) و هو أوسى من بنى خطمه، و ابو عامر الراهب أو أبو عمار،- الوائلى- أو أبو عماره الوالبى، كما عند المفيد فى نفر من بنى والبه.

و زاد البعض: سلام بن مسلم.

و أضاف آخر: (حوج بن عامر، و أبا رافع، و الربيع بن أبى الحقيق) (1).و

1- راجع: جامع البيان ج 5 ص 86 و تفسير القرآن العظيم ج 2 ص 513 و دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 408 فقد ذكر أبا عمار و حوج بن عمرو.

و أضاف غيره: (سلام بن أبى الحقيق، لكن عند ابن الأثير: عبد اللّه بن سلام بن أبى الحقيق).

قال المفيد: (فصاروا إلى أبى سفيان لعلمهم بعداوته لرسول اللّه، و تسرعه لقتاله، فذكروا له ما نالهم منه. و سألوه المعونه على قتاله، فقال: إنا لكم حيث تحبون، فاخرجوا إلى قريش، فادعوهم إلى حربه، واضمنوا النصره لهم، و الثبوت معهم حتى تستأصلوه. فطافوا على وجوه قريش، و دعوهم إلى حرب النبى).

و يستمر الواقدى و غيره فيقولون: فقالوا لقريش: نحن معكم حتى نستأصل محمدا.

أو قالوا: سنكون معكم عليه، حتى نستأصله و من معه.

قال أبو سفيان: هذا الذى أقدمكم و نزعكم؟

قالوا: نعم. جئنا لنحالفكم على عداوه محمد و قتاله.

قال أبو سفيان: مرحبا و أهلا، أحب الناس إلينا من أعاننا على عداوه محمد.

زاد فى نص آخر قوله: (و لكن لا نأمنكم إلا إن سجدتم لآلهتنا، حتى نطمئن إليكم؛ ففعلوا) (1).

قال النفر: فأخرج خمسين رجلا من بطون قريش كلها، أنت فيهم، و ندخل نحن و أنت بين أستار الكعبه، حتى نلصق أكبادنا بها ثم نحلفل.

1- و يقال: إن ذلك أيضا قد كان فى مره سابقه، و ذلك حين جاء كعب بن الأشرف و من معه، يطلبون منهم المسير إلى حرب محمد (صلى اللّه عليه و آله) و المسلمين. و ربما يكون ذلك قد حصل مره واحده، لكن الأمر قد اشتبه على الرواه. و اللّه هو العالم بحقيقه الحال.

باللّه جميعا: لا يخذل بعضنا بعضا، و لتكونن كلمتنا واحده على هذا الرجل، ما بقى منا رجل.

ففعلوا، فتحالفوا على ذلک، و تعاقدوا.

ثم قالت قريش بعضها لبعض: قد جاءكم رؤساء أهل يثرب و أهل العلم و الكتاب الأول، فسلوهم عما نحن عليه و محمد: أينا أهدى؟!

قالت قريش: نعم.

فقال أبو سفيان: يا معشر اليهود، أنتم أهل الكتاب الأول و العلم، أخبرونا عما أصبحنا فيه نحن و محمد، ديننا خير أم دين محمد؟! فنحن عمّار البيت، و ننحر الكوم (أى الناقه عاليه السنام)، و نسقى الحجيج، و نعبد الأصنام.

قالوا: اللهم أنتم أولى بالحق، إنكم لتعظمون هذا البيت و تقومون على السقايه، و تنحرون البدن (1)، و تعبدون ما كان عليه آباؤكم، فأنتم أولى بالحق منه. فأنزل اللّه فى ذلک: أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ الطّاغُوتِ وَ يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هؤُلاءِ أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً (2). فاتّعدوا لوقت وقتوه.

و فى نص آخر: (فلما قالوا ذلک لقريش نشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و أجمعوا لذلک و اتّعدوا له).

فقال صفوان بن أميه: يا معشر قريش، إنكم قد وعدتم هؤلاء القوم لهذا الوقت و فارقوكم عليه، ففوا لهم به! لا يكون هذا كما كان وعدنا محمدام.

1- الآيه 51 من سوره النساء.
2- البدن: النياق و الأبقار التى كانت تسمّن لتنحر لدى البيت الحرام.

بدر الصفراء، فلم نف بموعده، و اجترأ علينا بذلک. و قد کنت کارها لمیعاد أبی سفیان یومئذ.

فخرجت الیهود حتی أتت غطفان [و قیس عیلان] و أخذت قریش فی الجهاز، و سیرت فی العرب تدعوهم إلی نصرها، و ألّبوا أحابیشهم و من تبعهم.

ثم خرجت الیهود حتی جاؤوا بنی سلیم، فوعدوهم یخرجون معهم إذا سارت قریش، ثم ساروا فی غطفان، فجعلوا لهم تمر خیبر سنه، و ینصرونهم و یسیرون مع قریش إلی محمد، إذا ساروا.

فأنعمت بذلک غطفان، و لم یکن أحد أسرع إلی ذلک من عیینه بن حصن.

قال ابن خلدون: و خرج بهم عیینه بن حصن علی أشجع (1).9-

1- المغازی للواقدی ج 1 ص 441- 443، و ذکرت هذه النصوص باختصار أو بتفصیل فی المصادر التالیه: سبل الهدی و الرشاد ج 4 ص 512 و 513 و عیون الأثر ج 2 ص 55 و حبیب السیر ج 1 ص 359 و الکامل فی التاریخ ج 2 ص 178 و الثقات ج 1 ص 264 و 265 و الدر المنثور ج 2 ص 172 عن ابن إسحاق، و ابن جریر و جامع البیان ج 5 ص 86 و الإکتفاء للکلاعی ج 2 ص 158 و السیره النبویه لابن هشام ج 3 ص 225 و 226 و إعلام الوری ص 90 و تفسیر القرآن الکریم ج 2 ص 513، و الوفاء ص 692 و أنساب الأشراف ج 1 ص 343. و راجع: دلائل النبوه للبیهقی ج 3 ص 399 و 398 ففیه نصوص تختلف عن الذی ذکرناه و راجع ص 408 و 409 و تاریخ الأمم و الملوک ج 2 ص 233 و تاریخ الإسلام للذهبی (المغازی) ص 233 فما بعدها و البدایه و النهایه ج 4 ص 94 و 95 و جوامع السیره النبویه ص 148 و السیره النبویه لابن کثیر ج 3 ص 181 و 182 و البدء و التاریخ ج 4 ص 216 و 217 و تجارب الأمم ج 1 ص 149-

و ذكر البعض: أن كنانه بن أبى الحقيق جعل نصف تمر خيبر لغطفان فى كل عام (1).

و ذكروا أيضا: أن قريشا كتبت إلى رجال من بنى سليم، بينهم و بينهم أرحام، استمدادا لهم، فأقبل أبو الأعور بمن تبعه من بنى سليم مددا لقريش. ثم كتب اليهود إلى حلفائهم من بنى سعد أن يأتوا إلى إمدادهم (2).

و حسب نص البلاذرى: (و كان عيينه بن حصن الفزارى أسرع القوم إلى إجابتهم، ثم أتوا بنى سليم بن منصور فسألوهم مثل ذلك فأنجدوهم9.

1- الإكتفاء للكلاعى ج 2 ص 158، لكن ذكرت مصادر أخرى: أنهم جعلوا لهم تمر خيبر سنه، فراجع: إمتاع الأسماع ج 1 ص 217 و أنساب الأشراف ج 1 ص 343 و السيره الحلبيه ج 2 ص 310. و راجع أيضا: تاريخ الخميس ج 1 ص 480 و المغازى للواقدى ج 2 ص 443 و وفاء الوفاء ج 1 ص 301 و فتح البارى ج 7 ص 301 و السيره النبويه لدحلان ج 2 ص 2.
2- تاريخ الخميس ج 1 ص 480 و راجع: الإكتفاء للكلاعى ج 2 ص 159 و دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 398 و 399.

و ساروا فى جميع العرب ممن حولهم، فنهضوا معهم. فخرجت قريش فى من ضوى إليها و لافها من كنانه و ثقيف و غيرهم و لحقتهم أفناء العرب عليه قادتها و كبراؤها) (1).

تجمع القوى:

و يستمر الواقدى فيقول:

و خرجت قريش و من تبعها من أحابيشها أربعه آلاف.

و عقدوا اللواء فى دار الندوه.

زاد فى بعض المصادر قوله: (و حمله عثمان بن أبى طلحه، و قائد القوم أبو سفيان).

و قادوا معهم ثلاث مئه فرس، و كان معهم من الظهر ألف بعير، و خمس مئه بعير.

و أقبلت سليم فلاقوهم بمر الظهران، و بنو سليم يومئذ سبع مئه يقودهم سفيان بن عبد شمس، حليف حرب بن أميه، و هو أبو أبى الأعور، الذى كان مع معاويه بن أبى سفيان بصفين.

لكن عند القمى: أن قائدهم هو عباس بن مرداس. و خرج أيضا الأقرع بن حابس فى قومه.

و خرجت قريش يقودها أبو سفيان بن حرب.

و خرجت بنو أسد، و قائدها طلحه (طليحه ظ) بن خويلد الأسدى.3.

1- أنساب الأشراف ج 1 ص 343.

و خرجت بنو فزاره و أوعبت (1)، و هم ألف يقودهم عيينه بن حصن.

و نص آخر يقول: (خرجت غطفان و قائدها عيينه بن حصن).

و خرجت أشجع و قائدها مسعود بن رخيله (أو مسعر بن زحيله أو جبله) و هم أربع مئه، و لم توعب أشجع.

[و عند المفيد: و وبره بن طريف فی قومه من أشجع].

و خرج الحارث بن عوف يقود قومه بنی مره، و هم أربع مئه (2).1.

1- أوعب القوم: خرجوا كلهم إلى الغزو.
2- المغازی للواقدی ج 1 ص 444 و ذكر ذلک باختصار أو بتفصيل فی المصادر التاليه: الإكتفاء ج 2 ص 159 إعلام الوری ص 90 وفاء الوفاء ج 1 ص 301 و السيره النبويه لدحلان ج 2 ص 2 و تاريخ الخميس ج 1 ص 480 و 481 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 233 و 236 و الوفاء ص 692 و 693 و الثقات ج 1 ص 265، و عيون الأثر ج 2 ص 55 و تهذيب سيره ابن هشام ص 190 و الكامل فی التاريخ ج 2 ص 178 و السيره النبويه لابن هشام ج 3 ص 230 و 231 و مناقب آل أبی طالب ج 1 ص 197 و تهذيب سيره ابن هشام ص 189 و راجع: جوامع السيره النبويه ص 148 و تاريخ الإسلام للذهبی (المغازی) ص 233 و 234 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 182 و البدايه و النهايه ج 4 ص 95 و راجع ص 102 و راجع: المواهب اللدنيه ج 1 ص 110 و السيره الحلبيه ج 2 ص 311 و الإمتاع ج 1 ص 218 و 219 و سبل الهدی و الرشاد ج 4 ص 513 و 514 و الإرشاد للمفيد ص 51 و كشف الغمه للأربلی ج 1 ص 202 و تفسير القمی ج 2 ص 177 و البحار ج 20 ص 217 عنه و ص 197 و 251 و مجمع البيان ج 8 ص 340 و نهايه الأرب ج 17 ص 167 و عيون الأثر ج 2 ص 56 و محمد فی المدينه ص 54 و راجع: فتح الباری ج 7 ص 301 و شرح الأخبار ج 1 ص 291.

الأحزاب إلى المدينه:

و وافى الأحزاب المدينه بعد أن فرغ رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من حفر الخندق (1). و كان الذين وافوا من قريش، و سليم، و غطفان، و أسد عشره آلاف بقياده أبى سفيان؛ فنزلت قريش برومه، و وادى العقيق فى أحابيشها، و من ضوى إليها من العرب، و نزلت غطفان بالزغابه إلى جانب أحد.

و جعلت قريش تسرح ركابها فى وادى العقيق، فى عضاهه و ليس هناک شى ء للخيل إلا ما حملوه معهم من علف، و كان علفهم الذره. و سرحت غطفان إبلها إلى الغابه، فى أثلها و طرفائها.

و قدموا فى زمان حصد الناس زرعهم قبله بشهر. و أدخلوا حصادهم، و أتبانهم. و كانت غطفان ترسل خيلها فى أثر الحصاد- و كانت خيل غطفان ثلاث مئه- فيمسک ذلک من خيلهم لكن إبلهم كادت تهلک من الهزال.

و كانت المدينه ليالى قدموا جديبه (2).ر-

1- تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص 236 و السيره النبويه لابن هشام ج 3 ص 262 و الإكتفاء للكلاعى ج 2 ص 162 و تاريخ الخميس ج 1 ص 483 و حدائق الأنوار ج 2 ص 587 و كشف الغمه للأربلى ج 1 ص 197 و غير ذلک.

2- المغازى للواقدى ج 2 ص 444. و راجع إجمال أو تفصيل ذلک فى: الكامل فى التاريخ ج 2 ص 180 و وفاء الوفاء ج 1 ص 301 و الثقات ج 1 ص 266 و الإكتفاء للكلاعى ج 2 ص 162 و تهذيب سيره ابن هشام ص 190 و السيره النبويه لابن هشام ج 3 ص 230 و 231 و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص 236 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 236 و 237 و السيره النبويه لابن كثير-

و يقول نص آخر: نزلت كنانه برومه، و غطفان بالزغابه إلى نقمى (1).

و عند البعض: نزلت قريش بمجتمع السيول من رومه، بين الجرف و زغابه. و نزل عيينه فى غطفان و من معه من أهل نجد إلى جانب أحد بباب نعمان (أو ذنب نقمى) (2).

و نص آخر يقول: نزلت قريش بمجتمع السيول من رومه، بين الجرف و رباعه (3) و لعله تصحيف: زغابه.

أما القمى فقال: نزلت قريش و حلفاءها من كنانه بالعقيق و نزلت فزاره بالزغابه و نزلت سليم و غيرهم حصن بنى ذبيان (4).

مناقشات و إيضاحات:

و لنا فيما تقدم العديد من المناقشات و التحفظات، كما أنه يحتاج إلى بعض الإيضاحات. و نحن نذكر فيما يأتى نماذج لكلا هذين الأمرين، فنقول:ه.

1- المغازى للواقدى ج 2 ص 455.
2- الإكتفاء للكلاعى ج 2 ص 162 و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص 236 و فتح البارى ج 7 ص 307 و وفاء الوفاء ج 1 ص 301 و تاريخ الخميس ج 1 ص 483 و فيه: أنه واد بجانب أحد. و راجع: دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 109 و فيه: نزلوا بنقمين. و جوامع السيره النبويه ص 149.
3- تاريخ الخميس ج 1 ص 483.
4- تفسير القمى ج 3 ص 180 و البحار ج 20 ص 221 عنه.

تاریخ غزوه الخندق:

لقد اختلف المؤرخون فی تاریخ غزوه الخندق.

فقالت طائفه منهم: إنها کانت سنه خمس من الهجره.

ذهب إلی ذلک: الواقدی و ابن إسحاق، و المقریزی، و الطبری، و ابن الأثیر، و البیهقی، و الذهبی، و ابن حبیب، و ابن الکازرونی و المقدسی، و ابن القیم، و ابن حجر، و ابن العماد، و المسعودی.

و کذا روی عن عروه، و قتاده و أحمد، و غیرهم کثیرون، کما یتضح من المصادر فی الهامش (1).ب-

---

1- لکی تجد القول بأن هذه الغزوه کانت فی السنه الخامسه، إما بصوره قول تبناه المؤلف أو یذکره بلفظ قیل، راجع المصادر التالیه: المغازی للواقدی ج 2 ص 440 و 441 و تاریخ ابن الوردی ج 1 ص 160 و السیره النبویه لابن هشام ج 3 ص 224 و 241 و الإکتفاء للکلاعی ج 2 ص 158 و دلائل النبوه للبیهقی ج 3 ص 395 و البدء و التاریخ ج 4 ص 217 و صححه، و شذرات الذهب ج 1 ص 11، و مختصر التاریخ ص 42 و المختصر فی اخبار البشر ج 1 ص 134 و عیون الأثر ج 2 ص 55 و 64 و تاریخ الیعقوبی ج 2 ص 50 و الکامل فی التاریخ ج 2 ص 178 و تاریخ الأمم و الملوک ج 2 ص 233 و تهذیب سیره ابن هشام ص 188 و 195 و تفسیر القمی ج 2 ص 176 و البحار ج 20 ص 216 و 208 عنه و نقله فی ص 271 عن إعلام الوری لکن الموجود فی إعلام الوری أنها فی الرابعه. و المحبر ص 113 و مروج الذهب ج 2 ص 219 و الثقات ج 1 ص 264 و وفاء الوفاء ج 1 ص 300 و حبیب السیر ج 1 ص 359 و شرح بهجه المحافل ج 1 ص 262 و بهجه المحافل ج 1 ص 262 بلفظ: قیل. و إمتاع الأسماع ج 1 ص 216 و الجامع للقیروانی ص 279 و 281 و التنبیه و الإشراف ص 115 و أنساب-

أما اليعقوبى فيقع فى الغلط، حيث يقول: إن الخندق كانت (فى السنه السادسه، بعد مقدم رسول اللّه بالمدينه بخمسه و خمسين شهرا) (1).

فإن عدد الأشهر المذكور يقتضى أن تكون فى السنه الخامسه لا السادسه، كما هو ظاهر.

و ثمه فريق آخر يقول: إن هذه الغزوه كانت فى السنه الرابعه و هو ما ذهب إليه مالک، ورواه أحمد فى مسنده عنه.

و ذهب إليه أيضا: ابن العربى، و عياض، و ابن حزم، و ابن الديبع، و الصاحب بن عباد و ابن حبيب، و صححه ابن خلدون، و النووى فى الروضه و قوّاه البخارى ورواه موسى بن عقبه عن الزهرى، و به قال0.

1- تاريخ اليعقوبى (ط دار صادر) ج 2 ص 50.

الفاكهانی فی ریاض الأفهام، و یعقوب بن سفیان (1).

بل قال ولی الدین العراقی: (المشهور أنها فی السنه الرابعه) (2).

و مقتضی هذا القول: أن أبا سفیان قد خرج لبدر الموعد فی شعبان ثم0.

1- راجع المصادر التالیه، فإنها قد ذکرت هذا القول فی: عنوان المعارف فی ذکر الخلائف ص 12 و جوامع السیره النبویه ص 148 و قال: الثابت أنها فی الرابعه بلا شک. و المحبر ص 113 و صحیح البخاری ج 3 ص 20 و فتح الباری ج 7 ص 302 و البدایه و النهایه ج 4 ص 93 و السیره النبویه لابن کثیر ج 3 ص 180 و إعلام الوری ص 90 و تاریخ ابن الوردی ج 1 ص 160 و شرح صحیح مسلم للنووی بهامش إرشاد الساری ج 8 ص 64 و العبر و دیوان المبتدأ و الخبر لابن خلدون ج 2 ق 2 ص 29 و 33 و تاریخ الخمیس ج 1 ص 480 و المواهب اللدنیه ج 1 ص 110 و تاریخ مختصر الدول ص 95 و وفاء الوفاء ج 1 ص 300 و تاریخ الإسلام (المغازی) للذهبی ص 205 و 244 عن ابن عقبه عن ابن شهاب، و عروه عن ابن عقبه، و النووی. و شذرات الذهب ج 1 ص 11 عن النووی. و راجع: الجامع للقیروانی ص 279 و 281 عن مالک، و سیره مغلطای ص 56 و بهجه المحافل ج 1 ص 262 و عیون الأثر ج 2 هامش ص 55 و دلائل النبوه للبیهقی ج 3 ص 393 و 395 و 400 و 394 و مجمع الزوائد ج 9 ص 345 و تهذیب الکمال ج 10 ص 31 و مناقب آل أبی طالب ج 4 ص 76 و مرآه الجنان ج 1 ص 9 و السیره النبویه لدحلان ج 2 ص 2 و السیره الحلبیه ج 2 ص 328 و راجع: إمتاع الأسماع ج 1 ص 216 و سبل الهدی و الرشاد ج 4 ص 561 و حدائق الأنوار ج 1 ص 52 متنا و هامشا عن الدرر فی اختصار المغازی. و السیر للقرطبی ص 179 و ذهب إلیه العاقولی فی الرصف ج 1 ص 60.

2- تاریخ الخمیس ج 1 ص 480 و المواهب اللدنیه ج 1 ص 110.

عاد و خرج إلى الخندق فى شوال السنه الرابعه، كما ذهب إليه البعض (1).

و عند الواقدى: أنها كانت فى ذى القعده.

و قد حاول البيهقى الجمع بين هذين القولين، فقال: (قلت: لا اختلاف بينهم فى الحقيقه، و ذلک لأن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قاتل يوم بدر لسنتين و نصف من مقدمه المدينه فى شهر رمضان، ثم قاتل يوم أحد من السنه القابله لسنتين و نصف من مقدمه المدينه فى شوال، ثم قاتل يوم الخندق بعد أحد بسنتين على رأس أربع سنين و نصف من مقدمه المدينه.

فمن قال سنه أربع، أراد: بعد أربع سنين، و قبل بلوغ الخمس.

و من قال: سنه خمس، أراد: بعد الدخول فى السنه الخامسه و قبل انقضائها (2).

و نقول:

إن الظاهر هو صحه قولهم: إن غزوه الخندق كانت فى السنه الرابعه، وفقا لما اعتادوه من التاريخ، و لا حاجه إلى وجه الجمع الذى ذكره البيهقى و لا لغيره، و ذلک لما يلى:

1- لقد قوّى البخارى القول بأنها كانت فى السنه الرابعه بقول ابن عمر:

إن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد عرضه يوم أحد، و هو ابن أربع عشره سنه، فلم يجزه، ثم عرضه يوم الخندق، و هو ابن خمس عشره سنه فأجازه ..

و من المعلوم: أن أحد كانت فى سنه ثلاث.5.

1- دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 396.
2- دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 395.

و قد استدل بهذا أيضا: النووى، و ابن حزم، و ابن خلدون و غيرهم (1).

و قد احتمل البعض: أن يكون ابن عمر فى غزوه أحد أول ما طعن فى الرابعه عشره، و فى الأحزاب كان قد استكمل الخامسه عشره. و بهذا أجاب البيهقى (2).5.

1- راجع: صحيح البخارى ج 3 ص 20 و ج 2 ص 69 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 ق 2 ص 29 و 33 و جوامع السيره النبويه ص 148 و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص 205 و 244 و فتح البارى ج 7 ص 302 و شرح صحيح مسلم للنووى (مطبوع بهامش إرشاد السارى) ج 8 ص 64 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 181 و البدايه و النهايه ج 4 ص 94 و تاريخ الخميس ج 1 ص 480 و 481 و المواهب اللدنيه ج 1 ص 110 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 4 ص 105 و أنساب الأشراف ج 1 ص 343 و 344 بإضافه كلمه: (و أشف منها). و المغازى للواقدى ج 2 ص 453 و المصنف للصنعانى ج 5 ص 310 و 311 و مسند أحمد بن حنبل ج 2 ص 17 و صحيح مسلم ج 6 ص 30 و سنن ابن ماجه ج 2 ص 850 و السيره الحلبيه ج 2 ص 329 و 315 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 561 و دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 396 و الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الأحكام، باب ما جاء فى حد بلوغ الرجل و المرأه ج 3 ص 632 و 633 و شرح النهج للمعتزلى ج 13 ص 241 و 242 و الغدير ج 10 ص 4 عن البخارى، و فتح البارى، و عن عيون الأثر ج 2 ص 6 و 7 و عن تاريخ الطبرى ج 2 ص 296.
2- راجع: تاريخ الخميس ج 1 ص 480 و فتح البارى ج 7 ص 302 و السيره الحلبيه ج 2 ص 329 و المواهب اللدنيه ج 1 ص 110 و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص 244 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 181 و البدايه و النهايه ج 4 ص 94 و السيره الحلبيه ج 2 ص 329 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 561 و راجع دلائل النبوه للبيهقى ج 3 هامش ص 395.

ثم أيد البعض هذا الاحتمال: بأن أبا سفيان قال للمسلمين، حين انتهت حرب أحد: موعدكم العام المقبل ببدر.

ثم لم يأت إلى بدر فى ذلک الموعد، بسبب الجدب. و خرج إليها النبى (صلى اللّه عليه و آله) فى شعبان سنه أربع، و رجع، و لم يلق كيدا. و هى الغزوه المسماه ببدر الموعد.

فلم يكونوا ليأتوا إلى المدينه بعد ذلک بشهرين لأجل غزوه الخندق (1).

و يؤيد ذلک أيضا: قول البعض: (كانت وقعه الأحزاب بعد أحد بسنتين (2).

و نقول:

لو صح ما ذكروه لكان الفرق بين أحد التى هى فى شوال السنه الثالثه، و الخندق التى هى فى ذى القعده السنه الخامسه سنتين و شهرا، و هذا يعنى:

ان ابن عمر كان عمره فى الخندق ست عشره سنه.

فإذا جاز أن يقول: إنه ابن أربع عشره سنه، لأنه كان أول ما طعن فيها، كان عليه أن يقول: إنه كان فى الخندق ابن ست عشره سنه، لأنه كان طعن فيها أيضا بصوره أوفى، و ذلک ليجرى الكلام فى صدره و ذيله على نسق واحد.8

1- راجع: البدايه و النهايه ج 4 ص 93 و 94 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 180 و فتح البارى ج 7 ص 302 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ق 1 ص 43 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 561.
2- المصنف للصنعانى ج 5 ص 362 و 367 أنساب الأشراف ج 1 ص 345 و المغازى للذهبى (تاريخ الإسلام) ص 244 و السيره الحلبيه ج 2 ص 148.

و لكان على عمر بن عبد العزيز و عمر بن الخطاب أن يجعلا العطاء لمن بلغ ست عشره سنه، استنادا إلى قضيه ابن عمر المذكوره، فكيف فرضا إلى ابن خمس عشره سنه استنادا إلى ذلک؟! (1).

و قد صرح ابن حزم: بأنه قد صح أنه لم يكن بين أحد و الخندق إلا سنه واحده فقط و أنها قبل دومه الجندل بلا شک (2).

أما قولهم: إنه لا يعقل أن يأتوا المدينه بعد شهرين من بدر الموعد،

فجوابه: إن ذلک معقول، إذا كان التعلل من قبل المشركين بالجدب كان جبنا منهم، و هروبا من المواجهه، ثم لما وجدوا الرجال و الأموال، و جمعوا عشره آلاف مقاتل أو أكثر بكثير، فلا شی ء يمنعهم عن انتهاز الفرصه، فی أی من الظروف و الأحوال.

2- و مما يدل على أن غزوه الخندق كانت سنه أربع، قولهم: إن أبا زيد بن ثابت قد قتل يوم بعاث، و كان عمر زيد حينئذ ست سنين، و كانت بعاث قبل الهجره بخمس سنين (3) و كان عمر زيد حين قدم النبی (صلی اللّه علیه و آله) المدينه إحدى عشره سنه (4).9-

---

1- المصنف للصنعانی ج 5 ص 311 و راجع: السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 181 و البدايه و النهايه ج 4 ص 94.
2- جوامع السيره النبويه ص 148.
3- تهذيب الكمال ج 10 ص 30 و 31 و مستدرک الحاكم ج 3 ص 421 و تذكره الحفاظ ج 1 ص 30 و شذرات الذهب ج 1 ص 54 و تهذيب تاريخ دمشق ج 5 ص 449 و راجع: تهذيب التهذيب ج 3 ص 399 عن الواقدی.
4- مجمع الزوائد ج 9 ص 345 عن زيد نفسه، و تهذيب التهذيب ج 3 ص 399-

ثم يقولون: إن أول مشاهد زيد الخندق (1) لأنه (صلى اللّه عليه و آله) قد أجازه يوم الخندق (2) و هو ابن خمس عشره سنه (3).

و يروى عن زيد قوله: أجازنى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يوم الخندق و كسانى قبطيه (4).

و عنه: أجزت يوم الخندق، و كانت وقعه بعاث و أنا ابن ست سنين (5).

و عنه: لم أجز فى بدر، و لا فى أحد، و أجزت فى الخندق (6).1.

1- تهذيب الكمال ج 10 ص 30 و 31 و مستدرک الحاكم ج 3 ص 421 و تذكره الحفاظ ج 1 ص 30 و شذرات الذهب ج 1 ص 54 و تهذيب تاريخ دمشق ج 5 ص 449 و راجع: تهذيب التهذيب ج 3 ص 399 عن الواقدى.
2- تهذيب تاريخ دمشق ج 5 ص 446 و مجمع الزوائد ج 9 ص 345 و تهذيب الكمال ج 10 ص 31 و كنز العمال ج 10 ص 281 عن الطبرانى و ص 284 عن ابن عساكر.
3- تهذيب الكمال ج 10 ص 30 و 31 و مستدرک الحاكم ج 3 ص 421 و مجمع الزوائد ج 9 ص 345.
4- سير أعلام النبلاء ج 2 ص 432 و فى هامشه عن الطبرانى و تهذيب الكمال ج 10 ص 29 و تهذيب تاريخ دمشق ج 5 ص 449.
5- سير أعلام النبلاء ج 2 ص 433 و مستدرک الحاكم ج 3 ص 421 و تهذيب تاريخ دمشق ج 5 ص 449 و تهذيب الكمال ج 10 ص 30.
6- الإصابه ج 1 ص 561.

و توفی زید سنه ثمان و أربعین، و عمره تسع و خمسون سنه (1).

و قال الواقدی: مات سنه خمس و أربعین، و هو ابن ست و خمسین سنه (2) و کل ذلک یؤید ما قلناه، و یدل علیه.

و أورد بعضهم: علی کون الخندق فی السنه الرابعه، بأن من المعلوم: أن غزوه بنی قریظه قد کانت فی السنه الخامسه، و معلوم أنها کانت عقیب الخندق (3).

و أجیب عن ذلک: بأن الخندق یمکن أن تکون قد استمرت إلی أواخر الرابعه (4)، لا سیما إذا صح قولهم: إنهم استمروا فی حفر الخندق شهرا (5) و أن الحصار قد استمر شهرا أیضا (6) مع ملاحظه: أن ابن سعد یقول: إن الخندق قد کانت فی شهر ذی القعده (5).

هذا، بالإضافه إلی حصاره (صلی اللّه علیه و آله) الطویل لبنی قریظه حسبما سیأتی. بعد ما تقدم نقول: إنه لا حاجه إلی الإفاضه فی بیان خطأ قول البعض:

أن الخندق کانت سنه خمس باتفاق المؤرخین باستثناء ابن خلدون (6).7.

1- مجمع الزوائد ج 9 ص 345 و تهذیب الکمال ج 10 ص 31.
2- صفه الصفوه ج 1 ص 704 و 705.
3- راجع: مرآه الجنان ج 1 ص 9 و السیره الحلبیه ج 2 ص 228 و 229.
4- راجع: مرآه الجنان ج 1 ص 9 و راجع السیره الحلبیه ج 2 ص 229 الصحیح من السیره النبی الأعظم، مرتضی العاملی ج 10 155 تاریخ غزوه الخندق: ..... ص : 147 (6) ستأتی الأقوال فی ذلک، حینما نتکلم عن مده حفر الخندق فی هذه الغزوه
5- السیره الحلبیه ج 2 ص 228، و راجع: المغازی للواقدی ج 2 ص 440.
6- محمد رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) تألیف محمد رضا ص 227.

غزوه الخندق فى زمن الحصاد:

و ذكرت النصوص الآنفه الذكر: أن الأحزاب قدموا المدينه فى زمان حصد الناس زرعهم قبله بشهر، و أدخلوا حصادهم و أتبانهم.

و كانت غطفان ترسل خيلها فى أثر الحصاد- و كان خيل غطفان ثلاث مئه- فيمسک ذلک من خيلهم. لكن إبلهم كادت تهلک من الهزال، و كانت المدينه ليالى قدموا جديبه (1).

و من جهه ثانيه: فإن غزوه بنى قريظه كانت بعد الخندق مباشره.

و يذكر الزهرى: أن أبا لبابه الذى خان اللّه و رسوله فيها، قد ارتبط فى المسجد فى حر شديد (2) و كان يوما صائفا (3).

و معنى ذلک هو: أن الأحزاب قد قدموا المدينه فى أواسط فصل الصيف، أو أواخره، لأن الحصاد يكون عاده فى أوائل فصل الصيف لا سيما فى بلاد الحجاز المتميزه بشده الحر فيها.

و هذا يلقى ظلالا من الشک على ما يزعمونه من أن غزوه الخندق كانت (فى أيام شاتيه) (4) أو (فى برد شديد) (5) أو (فى زمن شات، و ليال باردهى.

1- المغازى للواقدى ج 2 ص 444 و الإمتاع ج 1 ص 219 و سبل الهدى و الرشاد و غير ذلک من مصادر تقدمت.
2- المغازى للواقدى ج 2 ص 507.
3- المغازى للواقدى ج 2 ص 514.
4- تاريخ ابن الوردى ج 1 ص 162.
5- الجامع للقيروانى ص 281 و راجع: السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 184 و البدايه و النهايه ج 4 ص 95 و 96 عن البخارى.

كثيره الرياح) (1).

و سيأتى: أن عائشه كانت تدفئ رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و هم يحفرون الخندق، كما يزعمون.

و ستأتى: سائر النصوص و المصادر لذلک، حينما نتكلم عن أسباب هزيمه الأحزاب و عن حفر الخندق.

إلا أن يقال: أن الحصاد قد يستمر إلى الخريف، فلا مانع من البرد و الشتاء حينئذ.

هل أخطأ التقويم التطبيقى؟!

و بالمناسبه؛ فإن كتاب (التقويم التطبيقى لألف و خمس مئه سنه هجريه قمريه و ميلاديه) (2). قد ذكر: أن أول شهر شوال للسنه الرابعه الهجريه يوازى يوم 6 من شهر آذار سنه 626 م، و أول شهر ذى القعده يوازى يوم 4 من شهر نيسان، و أول ذى الحجه يوازى 4 أيار.

أما فى سنه خمس؛ فإن شوال و ذاالقعده، و ذاالحجه توازى 23 شباط حتى 23 أيار.

و هذا التطبيق يخالف ما ذكره المؤرخون فى تاريخ غزوه الخندق.

أما بناء على ما ذكره الواقدى فواضح، لأننا قدمنا أن مقتضى كلام الواقدى هو أن غزوه الخندق قد حصلت فى أواخر الصيف و أن انصرافر.

1- تجارب الأمم ج 2 ص 152.
2- راجع الكتاب: تقويم تطبيقى هزار و بانصد ساله هجرى قمرى و ميلادى قسم الجداول ص 1 تأليف: فردينادو وستنفد، و إدوارد ماهلر.

الأحزاب من الخندق كان فى الخريف.

و أما بناء على ما ذكره الآخرون، فإن من الواضح: أنهم يذكرون: أن الأحزاب قد انصرفوا فى ليله بارده شاتيه، و أن انصرافهم كان فى أواخر ذى الحجه، أى فى أواخر شهر أيار.

و من الواضح: أن الجو فى الحجاز، و فى المدينه لا يكون فى هذا الوقت باردا و لا شاتيا فضلا عما يذكرونه من برد كان يقاسيه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و هم يحفرون الخندق- كما سيأتى- فى شوال أو فى ذى القعده.

فإن الجو فى المدينه يكون فى هذه الأيام فى أعدل أحواله، كما هو معلوم من حال منطقه الحجاز لكل أحد.

مشاركه الحارث بن عوف فى الخندق:

قد ذكرت النصوص المتقدمه: أن الحارث بن عوف قد شارک فى حرب الخندق. و لکن قد روى الزهرى، و كذلک بنو مره خلاف ذلک، فذكروا:

أنه لما أجمعت غطفان على السير أبى الحارث بن عوف المسير، و قال لقومه:

(تفرقوا فى بلادكم، و لا تسيروا إلى محمد، فإنى أرى أن محمدا أمره ظاهر. و لو ناوأه من بين المشرق و المغرب؛ لكانت له العاقبه؛ فتفرقوا فى بلادهم، و لم يحضر واحد منهم) (1).

و فى نص آخر: أنه قال لعيينه بن حصن، و لقومه من غطفان: (يا قوم أطيعونى، و دعوا قتال هذا الرجل، و خلوا بينه و بين عدوه من العرب)9.

1- المغازى للواقدى ج 2 ص 443 و راجع: الإكتفاء ج 2 ص 159.

فغلب عليهم الشيطان، و قطع أعناقهم الطمع، و نفذوا لأمر عيينه على قتال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و كتبوا إلى حلفائهم من بنى أسد فأقبل طلحه فى من اتبعه من بنى أسد الخ .. (1).

و قال المقريزى و الحلبى الشافعى: (و قيل: لم تحضر بنو مره) (2).

لكن الواقدى يصر على: أن بنى مره قد شهدوا الخندق، بقياده الحارث بن عوف، و هجاه حسان شعرا.

و ذكروا: أنه كان بينه و بين النبى (صلى اللّه عليه و آله) جوار.

و قال الواقدى: (فكان هذا أثبت عندنا: أنه شهد الخندق فى قومه.

و لكنه كان أمثل تقيه من عيينه) (3).

و قال الواقدى أيضا: (لم يحضر الخندق الحارث بن عوف و لا قومه.

و يقال: حضرها الحارث بن عوف.

قال ابن واقد: و هو أثبت القولين عندنا) (4).

أبو رافع قتل بعد أحد:

و قد ذكرت بعض النصوص أيضا: أبا رافع اليهودى فى جمله من حرض المشركين و حزّب الأحزاب فى غزوه الخندق (5).3.

1- تاريخ الخميس ج 1 ص 480 و الإكتفاء ج 2 ص 159.
2- السيره الحلبيه ج 2 ص 311 و الإمتاع ج 1 ص 219.
3- المغازى للواقدى ج 2 ص 444.
4- المغازى ج 4 ص 477 و عيون الأثر ج 2 ص 57.
5- راجع: جامع البيان ج 5 ص 86 و الدر المنثور ج 2 و تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 513.

و نقول:

إن أبا رافع قد قتل كما يقولون فی السنه الثالثه فی جمادی الآخره منها (1)، و ذلک بعد قتل ابن الأشرف، و قیل بعد أحد، و قیل فی السنه الرابعه (2).

و لکن من الواضح: أن ذلک کان قبل وقعه الخندق، التی کانت فی أواخر الرابعه، و استمرت حتی الخامسه، هی و غزوه بنی قریظه، کما رجحناه، أو کانت فی السنه الخامسه.

و لو کان أبو رافع حیا فی غزوه الخندق، لکان المناسب أن یذکر مقتله بعد الخندق، لا بعد أحد، فراجع و لاحظ کلماتهم.

هل کان أبو الأعور فی الخندق؟!:

و قد ذکرت بعض النصوص المتقدمه: أن أبا الأعور السلمی کان قائد بنی سلیم فی غزوه الأحزاب ضد المسلمین (3).

و لکن الظاهر: هو صحه ما ذکره الواقدی و غیره، من أن أبا الأعور السلمی هو الذی حضر مع الأحزاب فی حرب الخندق (4).8.

1- راجع: تاریخ الأمم و الملوک ج 2 ص 182 و الکامل فی التاریخ ج 2 ص 146.

2- راجع: الکامل فی التاریخ ج 2 ص 148 و تاریخ الأمم و الملوک ج 2 ص 183.

3- تاریخ الخمیس ج 1 ص 480 و مناقب آل أبی طالب ج 1 ص 197 و مجمع البیان ج 8 ص 340 و نهایه الأرب ج 17 ص 180 و البحار ج 20 ص 197 و دلائل النبوه للبیهقی ج 3 ص 399 و البدء و التاریخ ج 4 ص 217 و الإکتفاء ج 2 ص 159.

4- راجع المغازی للواقدی ج 2 ص 444 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 218.

و یدل علی ذلک: قول قیس بن سعد للنعمان بن بشیر: إنه لم یکن مع معاویه غیره و غیر صویحبه مسلمه بن مخلد (1) کما سیأتی. فلو کان أبو الأعور صحابیا لم یصح قول قیس هذا. فیظهر أن الراوی، أو الناسخ قد أسقط کلمه (أبا) الأولی، إما اشتباها أو سهوا، أو لحاجه فی نفسه قضاها.

و الذی نخشاه هو: أن یکون هذا الإسقاط قد جاء لخدمه هدف سیاسی من نوع ما، کأن یکون هو دعوی أن أبا الأعور قد لقی النبی (صلی اللّه علیه و آله) و رآه، و ذلک بهدف الإیحاء بصحه دعوی کون أبی الأعور من الصحابه، و ذلک تدعیما لموقف معاویه بتکثیر عدد الصحابه معه، و إیجاد شبهات حول بغیه علی إمام زمانه.

و لکن مراجعه کتب الرجال و التراجم توجب المزید من الشک و الریب فی هذا الأمر، فقد قال العسقلانی: (قال ابن أبی حاتم، عن أبیه:

أدرک الجاهلیه، و لا صحبه له و حدیثه مرسل، و تبعه أبو أحمد العسکری.

و ذکره البخاری فی من اسمه عمر. و لکن لم یذکره فی الصحابه ..).

إلی أن قال: (و قال ابن حبان فی ثقات التابعین: یقال له صحبه) (2) و نقل ابن منظور عن ابن عساکر قوله:

(یقال: له صحبه. و یقال: لا صحبه له) (3).8.

1- صفین للمنقری ص 449.
2- الإصابه فی تمییز الصحابه ج 2 ص 540 و ج 4 ص 9 و راجع: أسد الغابه ج 4 ص 109 و ج 5 ص 138 و الإستیعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج 4 ص 14.
3- مختصر تاریخ دمشق ج 13 ص 218.

توثيق أبى الأعور!!:

و الذى يلفت نظرنا هنا: هو توثيقهم لأبى الأعور (1)، رغم تصريحهم بأنه كان أشد من عند معاويه على على (عليه السلام)، و كان على (عليه السلام) يدعو عليه فى القنوت فى آخرين (2).

بل لقد قال ابن الأثير: (كان من أعيان أصحاب معاويه، و عليه كان مدار الحرب بصفين) (3).

فمقام أبى الأعور لدى معاويه و خدماته لعرش الشام و ضديته مع على (عليه السلام) قد جعل الكثيرين ممن يسيرون فى هذا الاتجاه يهتمون بصياغه الفضائل له، لأنها ستكون فى نهايه الأمر فضائل لمعاويه نفسه.

و لعلهم أرادوا أن يلبسوه ثوب الصحبه لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من أجل تكثير الصحابه عند معاويه، بهدف إيجاد شبهات حول بغيه على إمام زمانه، كما قلنا.

و قد تعودنا من هذا النوع من الناس محاولات من هذا القبيل، تهدف إلى تقليل عدد الصحابه مع على (عليه السلام)، و زيادتهم مع خصومه، حتى ليروون عن الشعبى أنه قال: (من زعم أنه شهد الجمل من أهل بدر9.

1- الإصابه ج 2 ص 540 و 541 و نهايه الأرب ج 17 ص 167.
2- راجع: أسد الغابه ج 2 ص 138 و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج 4 ص 14.
3- أسد الغابه ج 4 ص 109.

إلا أربعه فكذبه. كان على و عمار فى ناحيه، و طلحه و الزبير فى ناحيه) [(1)].

و يظهر أن أمير المؤمنين (عليه السلام) و أصحابه قد التفتوا إلى هذا الأمر و لذلک نجدهم يتحدثون عن حضور الصحابه معهم، و يعطون ارقاما دقيقه فى هذا المجال.

فقد رووا: أن ناسا من قراء أهل الشام لحقوا بعلى (عليه السلام) فقال عمرو بن العاص لمعاويه عن على (عليه السلام) فى جمله كلام له: (و إنه قد سار إليک بأصحاب محمد (صلى اللّه عليه و آله) المعدودين، و فرسانهم، و قرائهم، و أشرافهم، و قدمائهم فى الإسلام، و لهم فى النفوس مهابه الخ ..).

فجمع معاويه أجناد أهل الشام و خطبهم، فبلغ عليا (عليه السلام) ذلک، فأمر الناس فجمعوا.

قال أبو سنان الأسلمى: (و كأنى أنظر إلى على متوكئا على قوسه، و قد جمع أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) عنده، فهم يلونه و [كأنه] أحب أن يعلم الناس: أن أصحاب رسول اللّه متوافرين عليه، فحمد اللّه ثم قال الخ ..) [(2)].

و قال سعيد بن قيس فى خطبه له: (و قد اختصنا اللّه منه بنعمه فلا نستطيع أداء شكرها، و لا نقدر قدرها: أن أصحاب محمد المصطفين الأخيار معنا، و فى حيزنا؛ فو اللّه الذى هو بالعباد بصير: أن لو كان قائدنا حبشيا مجدعا إلا أن معنا من البدريين سبعين رجلا؛ لكان ينبغى لنا أن3.

1- العقد الفريد ج 4 ص 328.
2- صفين للمنقرى ص 222 و 223.

تحسن بصائرنا الخ ..) (1).

و يقول الأشتر فی صفين: (و أنتم مع البدريين، قريب من مائه بدری، و من سوی ذلک من أصحاب محمد (صلی اللّه عليه و آله) ..) (2)

و قد كان لهم أثر عظيم فی الحرب و لا سيما الأنصار منهم كما اعترف به معاويه، فراجع (3).

و قد قالوا: كان مع علی (عليه السلام) ثمان مئه رجل ممن بايع النبی (صلی اللّه عليه و آله) تحت الشجره.

و عن سعيد بن جبير: كان مع علی رضی اللّه عنه يومئذ ثمان مئه رجل من الأنصار، و تسعمائه ممن بايع تحت الشجره.

و عن الأعمش: كان معه ثمانون بدريا، و ثمان ماءه من أصحاب محمد (صلی اللّه عليه و آله) (4).

و قال الزبير بن بكار: (شهد صفين مع أمير المؤمنين (عليه السلام) من أهل بدر سبعه و ثمانون رجلا، منهم سبعه عشر رجلا من المهاجرين، و سبعون من الأنصار، و أما من باقی الصحابه فكان معه ألف و ثمان مئه، منهم تسعون رجلا بايعوا رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) تحت الشجره) (5).ی.

1- صفين ص 236.
2- صفين ص 238.
3- صفين ص 445- 449.
4- الفتوح لابن أعثم ج 2 ص 450.
5- تذكره الخواص ص 81 و 82 و راجع: المعيار و الموازنه ص 22 و مستدرک الحاكم ج 3 ص 104 و الغدير ج 10 ص 163 عن بعض المصادر الأخری.

و يعترف معاويه بأن المهاجرين و الأنصار كانوا مع على (عليه السلام)، فهو يقول لابن عباس: (فاذكروا على بن أبى طالب و محاربته إياى، و معه المهاجرون و الأنصار الخ ..) (1).

و قال قيس بن سعد للنعمان بن بشير: (انظر أين المهاجرون و الأنصار و التابعون بإحسان، الذين رضى اللّه عنهم، ثم انظر: هل ترى مع معاويه غيرک و صويحبک؟! الخ ..) (2).

و المراد بصويحبه: مسلمه بن مخلد.

آیه سوره النساء متى و فيمن نزلت:

لقد تحدثت النصوص التاريخيه المتقدمه عن قوله تعالى:

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ الطَّاغُوتِ وَ يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هؤُلاءِ أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا، أُولئِکَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَ مَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً، أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْکِ فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً، أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ .. (3).

فذكرت: أن هذه الآيات قد نزلت فى هؤلاء اليهود الذين ذهبوا إلى مكه، و إلى سائر القبائل ليحرضوهم على قتال النبى (صلى اللّه عليه و آله) فجمعوا الجموع، و حزّبوا الأحزاب، فكانت غزوه الخندق.

و نقول:ء.

1- الفتوح لابن أعثم ج 4 ص 239.
2- صفين ص 449 و راجع ابتداء من ص 445.
3- الآيات 51- 54 من سوره النساء.

إننا نشک فی أن تکون هذه الآیه قد نزلت فی هذه المناسبه و ذلک لما یلی:

1- هناک روایات تقول: إن هذه الآیه قد نزلت فی مناسبه أخری سبقت غزوه الخندق. و ذلک لما ذهب کعب بن الأشرف إلی قریش، یحرضهم علی غزو المسلمین، فسألوه عن أن أی الفریقین أهدی، فأجابهم بما یقرب مما سبق.

و ذکروا أیضا: أنهم طلبوا منه أن یسجد لأصنامهم، لیطمئنوا إلی أنه لا یمکر بهم؛ ففعل، مجاراه لهم.

و ظاهر بعض النصوص الأخری: أن هذه الآیات قد نزلت فی مکه قبل الهجره حیث ذکرت نزول سوره الکوثر فی هذه المناسبه أیضا، و هی إنما نزلت قبل الهجره (1).9.

1- الدر المنثور ج 2 ص 171- 173 عن الطبرانی، و البیهقی فی الدلائل عن عکرمه عن ابن عباس. و عن سعید بن منصور، و ابن المنذر، و ابن أبی حاتم، عن عکرمه مرسلا. و عن أحمد، و ابن جریر، و ابن المنذر، و ابن أبی حاتم عن ابن عباس. و عن عبد الرزاق، و ابن جریر عن عکرمه. و عن ابن جریر عن مجاهد. و عن عبد بن حمید، و ابن جریر عن السدی، عن ابی مالک. و عن البیهقی فی الدلائل، و ابن عساکر فی تاریخه عن جابر عن عبد اللّه. و عن عبد بن حمید، و ابن جریر، و ابن المنذر، و ابن أبی حاتم عن قتاده و الجامع لأحکام القرآن ج 5 ص 249 و مجمع البیان ج 3 ص 59 و التفسیر الکبیر ج 10 ص 128 و التبیان ج 3 ص 223 و 224 و 225 و البحر المحیط ص 271 و النهر الماد من البحر (مطبوع بهامش البحر المحیط) ج 3 ص 271 و الکشاف (ط دار الفکر) ج 1 ص 532 و جامع البیان ج 5 ص 85 و 86 و تفسیر القرآن العظیم ج 1 ص 513 و فتح القدیر ج 1 ص 478 و 479 و تفسیر الخازن ج 1 ص 368 و مدارک التنزیل للنسفی (مطبوع بهامش تفسیر الخازن) ج 1 ص 369.

إلا أن يقال: إنها مما تكرر نزوله.

2- قيل: كان أبو برزه كاهنا فى الجاهليه، فتنافس إليه ناس ممن أسلم، فنزلت الآيه. عن عكرمه (1).

توضيح و تصحيح:

إن القصه التى يحكيها المؤرخون قد فرضت وجود فريقين هما:

جماعه اليهود، و المشركون.

و قد سأل المشركون اليهود عن الأهدى؟ هم أم المسلمون؟

فأجابهم اليهود: أنتم أولى بالحق.

مع أن الآيه تفرض الفريقين يتحدثان عن فريق ثالث أشير إليه بقولهم: هؤُلاءِ أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً (2).

أى أن اليهود قالوا للمشركين: هؤلاء أهدى، و لم يقولوا لهم: أنتم أهدى. فلا ينطبق مدلول الآيه على روايات المؤرخين، سواء روايه كعب بن الأشرف، أو حيى بن أخطب، أو روايه أبى برزه الآنفه الذكر.

إلا أن يقال: فى الآيه التفات من الخطاب بالضمير إلى الإشاره بكلمه هؤلاء، و الالتفات موجود فى القرآن.

و النكته المسوغه لهذا الالتفات هى: أن اللّه سبحانه قد قال: وَ يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا .. فجاء بصيغه المضارع ليفيد: أن هذا النهج فى التعامل مستمر فى هذا النوع من الناس. و ليست القضيه قضيه مضت و ذهبت، قدء.

1- مجمع البيان ج 3 ص 59.
2- الآيه 51 من سوره النساء.

تکون لها ظروفها و مبرراتها، فلا تمثل خطأ مستمرا لهؤلاء الناس.

فلما عبر تعالی عما حدث بصیغه المضارع، فإنه لم یعد بالإمکان أن یقول: (أنتم أهدی)، لأن الخطاب لما صار فعلیا فیحتمل فیه أن یکون موجها لهؤلاء الناس الذین یسمعون الآیه من النبی (صلی اللّه علیه و آله)، و یخاطبهم (صلی اللّه علیه و آله) بها، و یحتمل أن یکون خطابا للکافرین أیضا.

فهو من قبیل ما لو قلت لرجل: زید قال لعمرو: أنت رجل فاسق، فکلمه أنت رجل فاسق یحتمل فیها أن تکون موجهه لمخاطبک أنت، و یحتمل أن تکون موجهه لعمرو.

إذن .. فلا بد فی الآیه من التصرف فی خطاب أولئک الناس و الإتیان بالمضمون بطریقه تدفع هذا الالتباس.

و هکذا کان، فإنه تعالی استخرج مضمون کلامهم و هو أن هؤلاء أی الکفار المشرکین الذین خاطبهم أهل الکتاب (و هم غیر من یخاطبهم النبی بالقرآن فعلا) أهدی من المؤمنین.

فاتضح: أن الآیه لا تنافی سیاق الحدث التاریخی الذی هو مورد البحث.

تحریض الیهود:

لقد رأی الیهود عن کثب کیف أن المسلمین یزدادون قوه و یزداد الإسلام انتشارا باستمرار.

و یرون أن نفوذهم کمصدر وحید للمعارف بدأ ینحسر و یتلاشی و ها هو الإسلام ینتقد ما یدّعیه الیهود من ذلک و یفنده، و یبیّن الصحیح من

المزيف منه. و هو بذلک يزلزل مکانتهم، و يفقدهم الشی ء الذی کانوا و لا يزالون يعتزون و يفتخرون و يتسامون به علی الناس.

و يبطل مزعمتهم بأنهم شعب اللّه المختار، و يرفع شعار: إِنَّ أَکْرَمَکُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاکُمْ و لا فضل لعربی علی أعجمی إلا بالتقوی.

فاحترقت قلوبهم بالغيظ و طفحت بالحقد، و تآمروا علی هذا الدين و نقضوا عهودهم التی قطعوها علی أنفسهم، و جرّوا علی أنفسهم البلاء و العناء. و کانت واقعه بنی قينقاع، ثم واقعه بنی النضير.

و هم يريدون أن يأخذوا بثأرهم حسب زعمهم، و لکنهم يدرکون عجزهم عن ذلک بأنفسهم، فالتجأوا إلی تأليب قريش و العرب الموتورين من الإسلام، و الطامعين بتحقيق مکاسب ماليه و غيرها من حرب کهذه.

و يقول القاضی النعمان ما ملخصه: إن يهود المنطقه، و هم أهل نعم و أموال، و أصحاب رياسه، قد أزعجهم انتشار الإسلام، لأنهم رأوا أنهم يفقدون هيمنتهم علی المنطقه و علی أهل الشرک الذين يکذبون بالبعث، فجحدوا رسول اللّه و شککوا الآخرين ما أمکنهم بنبوته.

فلما کان من أمر أحد ما کان، ندموا علی عدم المساعده علی حرب محمد، لأنهم رأوا أنها کانت فرصه، و لو أقام المشرکون علی الحرب لظفروا بالمسلمين؛ فأرسلوا إلی أبی سفيان و وعدوه النصر، فوجد أنها فرصه.

و طلب منهم أن يعلنوا للناس بتکذيب محمد، لأن الناس يرکنون إليهم، لأنهم أهل کتاب.

فمضی وجوههم و ساداتهم إلی مکه، و شهدوا للمشرکين بأنهم أهدی من محمد سبيلا، فوثقوا بهم، و مشوا معهم إلی قبائل العرب ليقنعوهم

بحرب محمد (صلى اللّه عليه و آله) و استئصاله، و تعاقدوا على ذلك الخ .. .(1)

الداء الدوى:

قد اتضح مما تقدم: أن اليهود كانوا هم الذين خططوا لحرب الخندق، و اتصلوا بقريش و بغطفان، و سائر القبائل، و حرضوهم، و شجعوهم، و ساعدوهم على التفاهم و الإتفاق ثم المبادره إلى غزو النبى محمد (صلى اللّه عليه و آله)، و المسلمين فى المدينه و بذلوا لهم من أموالهم ثلث ثمار خيبر أو أكثر من ذلك.

و قد بدا واضحا من سير الأحداث: أن اليهود أشد حقدا و حنقا على الإسلام و المسلمين. و أنهم رغم كل الآيات و الحقائق التى كانوا يعرفونها و يشاهدونها لم يستطيعوا أن يتفاعلوا مع هذا الدين، و لا تذوقوا طعم الإيمان به. إلا أفراد قليلون منهم وفقهم اللّه لنيل هذه الكرامه و الفوز بهذا الشرف العظيم من أمثال مخيريق الشهيد السعيد رحمه اللّه تعالى عليه و رضوانه.

ثم إنهم منذ دخل الإسلام إلى المدينه لم تجتمع لهم كلمه على حربه، لأنه دخل قويا عزيزا بتحالفه مع القبائل ذات النفوذ فى المنطقه، و لا سيما الأوس و الخزرج. ثم لأن النبى (صلى اللّه عليه و آله) عقد تحالفات معهم بين الحين و الآخر.

و لم يزل اليهود فى موقع الضعف و الهوان فى قبال عز الإسلام و منعته،1.

1- شرح الأخبار ج 1 ص 288- 291.

و نفوذه و شوکته.

فالتجأوا منذ اللحظه الأولی إلی مناوأته بأسالیب التآمر و الغدر و الخیانه، و إذکاء الفتن، و إثاره النعرات العرقیه و غیرها، و کان هذا هو السبیل الذی اختاروه لأنفسهم، بعد أن صدوا عن سبیل اللّه، و اتخذوا آیات اللّه هزوا.

أما المشرکون فإنهم حین یستجیبون للیهود، فإنما یستجیبون لإنقاذ سمعتهم، و استعاده هیبتهم التی اهتزت و أصیبت بنکسه قویه بسبب تخلفهم عن بدر الموعد، لدواعی حقد دفین یعتل فی نفوس الکثیرین منهم، أو إلی نوازع الطمع و الجشع و حب الحصول علی شی ء من حطام الدنیا کتمر خیبر، لدی کثیرین آخرین، کما و یستجیب فریق آخر لنداء الشیطان، الذی یزین لهم أعمالهم و یعدهم و یمنیهم، و ما یعدهم الشیطان إلا غرورا، فیصرون علی الجحود و علی الإستکبار و العتو و العلو. و إن ربک لبالمرصاد.

و لکن حین یفرض الإیمان و الإسلام نفسه علیهم، فإنک تجد الأمر لا یصل فی صعوبته و تعقیده إلی الدرجه التی نجدها عند الیهود رغم وضوح الأمر لدی الیهود.

حتی إنهم لیعرفون هذا النبی (صلی اللّه علیه و آله) کما یعرفون أبناءهم، و یجدونه مکتوبا عندهم فی التوراه و الإنجیل، و لیس الأمر بالنسبه للمشرکین کذلک، إلا أنهم یرون المعجزات و الکرامات، و یقیم (صلی اللّه علیه و آله) علیهم الحجه، حتی لا یبقی عذر لمعتذر، و لا حیله لمتطلب حیله.

هذا، و من المضحک المبکی هنا: أننا نجد الیهود یریدون أن ینتصروا علی محمد و المسلمین بواسطه قریش و القبائل العربیه، و قریش ترید أن تحقق هذا

الهدف بالذات بالإفاده من خيانه اليهود، و مساعده قبائل غطفان و غيرها.

أما غطفان و غيرها من القبائل العربيه: فتريد الحصول على المال و لكن بالاعتماد على جهد القريشى و كيد اليهودى. و لم يكن اهتمامها باستئصال شأفه الإسلام و المسلمين يصل إلى درجه اهتمام قريش و اليهود بذلک- كما ربما يظهر من بعض المؤلفين.

أهداف الحرب:

أما أهداف الحرب: فهى كما يظهر من كلامهم السابق استئصال محمد و من معه، و لكننا إذا أردنا تحديد ذلک بدقه، فإننا نقول:

لقد حدد على (عليه السلام) هدف الأحزاب و العرب من الحرب و قال: (إن قريشا و العرب تجمعت، و عقدت بينها عقدا و ميثاقا، لا ترجع من وجهها حتى تقتل رسول اللّه، و تقتلنا معه معاشر بنى عبد المطلب) (1).

و نعتقد: أن هذا الكلام هو الأقرب و الأنسب فيما يرتبط بتحديد الهدف الأقصى للحرب، فإن كلامهم المتقدم فى النصوص التى أوردناها، و إن كان ينص على استئصال محمد و من معه، إلا أن استئصال جميع من مع النبى من الأوس و الخزرج، و سائر قبائل العرب لن يكون سهلا و لا ميسورا لهم. و لا يمكن لهم أن يقدموا على إذكاء نار قد لا يمكنهم إطفاء لهيبها على مدى أجيال و لسوف ينالهم منها الشى ء الكثير و الخطير كما هو معلوم ..7.

1- الخصال (باب السبعه) ج 2 ص 368 و البحار ج 20 ص 244 و شرح الأخبار ج 1 ص 287 و الإختصاص ص 166 و 167.

أما قتل محمد و بنى عبد المطلب، فهو الأسهل و الأيسر، و به يتحقق المطلوب، و لماذا يذهبون إلى أبعد من ذلک؟!

غير أن من الواضح: أن هذا لن يقنع اليهود، لأن هدفهم هو استئصال محمد و جميع من معه. و لعل ذلک يفيدهم فى إعاده بسط هيمنتهم و نفوذهم على يثرب و على المنطقه.

أما غطفان و سائر القبائل فيهمها تمر خيبر بالدرجه الأولى، اما استئصال محمد و المسلمين فلا ترى فيها أيه سلبيه، بل هو أمر محبوب بالنسبه إليها و مطلوب.

الأحقاد هى المحرک:

قد قرأنا فيما سبق: أن اليهود يقولون للمشركين: (جئنا لنحالفكم على عداوه محمد و قتاله).

فأجابهم أبو سفيان: (مرحبا و أهلا، أحب الناس إلينا من أعاننا على عداوه محمد).

و الذى نريد أن نلفت النظر إليه هنا: هو أن هؤلاء الناس لم يكلفوا أنفسهم حتى تلطيف عباراتهم، و عقلنه تصريحاتهم. بل أظهروا كل ما يضمرونه من سوء دونما رادع من خلق، أو وازع من عقل أو شرف أو منطق.

فلم يقولوا لأهل مكه مثلا: إننا جئنا لأجل أن نتدارس الأمور، بموضوعيه و إنصاف، ثم بحكمه و بمسؤوليه، واضعين فى حسابنا الحفاظ على المصالح الاجتماعيه العامه، و توفير الأمن و الاستقرار للناس، و تجنيبهم

مآسی الحروب و سلبیاتها علی جمیع الأصعده، و فی مختلف الاتجاهات، و إعطاء الناس الفرصه لبناء حیاتهم بناء سلیما، ثم الإعداد لمستقبلهم، فی ظلال من السلام و الأمن، و فراغ البال و اطمئنان الخاطر.

کما إنهم قد أخفوا ما یضمرونه من الطموح إلی تحقیق مکاسب سیاسیه، و امتیازات علی صعید النفوذ و الهیمنه علی المنطقه، أو فیما هو أوسع منها.

و لم یعترفوا أیضا: أن مصالحهم الدنیویه، و ما فیها من أموال و تجارات و مواقع و مناصب و لذائذ، لها دور فی اندفاعهم إلی حرب محمد و من معه، لظنهم أنهم سوف یخسرون الکثیر مما سیتأثرون به لأنفسهم علی حساب غیرهم من الناس المستضعفین و المحرومین.

بل غایه ما صرّحوا به: هو أن دافعهم لیس إلا الأحقاد و الضغائن، و العداوات الباطله، و البغی و الحسد، بل لا مبرر ظاهر سوی أنهم لا یریدون لهؤلاء الناس أن یقولوا: ربنا اللّه، و لیس ربنا الحجاره، و لا یریدون أن یتخذوا الطواغیت أربابا من دون اللّه.

و صدق اللّه تعالی حیث یقول: لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَداوَةً لِلَّذِینَ آمَنُوا الْیَهُودَ وَ الَّذِینَ أَشْرَکُوا .. (1).

یریدون لیطفئوا نور اللّه سبحانه:

قد عرفنا: أن الیهود إنما قدموا مکه لیتحالفوا و یتعاقدوا مع المشرکینه.

1- الآیه 82 من سوره المائده.

على استئصال محمد (صلى اللّه عليه و آله) و من معه حسب زعمهم، حيث قالوا لقريش: (نحن معكم حتى نستأصل محمدا) أو (سنكون معكم حتى نستأصله و من معه).

كما أنهم و هم يقررون ما يتعاقدون عليه، قالوا: (و لتكون كلمتنا واحده على هذا الرجل ما بقى منا رجل).

و ذلک يعنى:

1- أن هدفنا المعلن هو استئصال شأفه الإسلام و المسلمين.

2- أنهم مصممون على تحقيق هذا الهدف بأسلوب الحرب حتى آخر رجل منهم.

3- أن هذه المبادره منهم قد جاءت عن طريق خيانتهم لعهودهم و مواثيقهم التى كانوا قد أبرموها مع نفس الذين يريدون استئصالهم، مع العلم بأن ذلک الطرف لم يزل وفيا بعهده حافظا لمواثيقه معهم، و لم يحدث أن خان أو تردد فى عهد مع أى فريق منهم، و لم يسئ إليهم و لا إلى غيرهم بشى ء إلا ما يجرونه هم على أنفسهم بخياناتهم المتتاليه، و هم يرتكبون هذه الخيانه رغم أنهم قد رأوا بأم أعينهم عواقب خيانه بنى قينقاع، ثم خيانه بنى النضير، و أكثرهم نضيريون، كما تقدم.

4- أن مبرر هذا الإجرام العظيم و البشع هو مجرد الحسد و الحقد منهم. بالإضافه إلى مكاسب سياسيه، و اجتماعيه و غيرها يحلمون بتحقيقها على المدى البعيد من خلال فرض هيمنتهم على المدينه و على غيرها بصوره و بأخرى.

فلم يكن الهدف عقيديا و لا إنسانيا و لا أخلاقيا. بل هم قد داسوا

بأقدامهم الإنسانيه و الأخلاق و حتى مبادئهم و عقيدتهم التى يدّعون أنهم ينتسبون إليها و هذا هو منتهى الإسفاف، و غايه التردى فى حمأه الجريمه و البغى.

الإيمان و المواثيق لا تجدى:

و بعد .. فإن الملفت للنظر هنا: أننا نجد اليهود يفقدون صفه الأخلاقيه و المبدئيه فى مواقفهم، و فى مجمل تحركهم فى مواجهه الإسلام و المسلمين، و كذلک نجد المشركين، خصوصا أبا سفيان، لا يختلف عن اليهود فى ذلک.

فأبو سفيان يحاول أن يخدع قومه فى حركته الهادفه إلى دفعهم إلى مواجهه الإسلام، حيث إن اليهود يتصلون به أولا، ثم يتفق معهم على دعوه الناس إلى استئصال النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و حين يطلبون ذلک من الناس علنا يظهر أبو سفيان بمظهر من يسمع هذا الكلام لأول مره!!

ثم إنهم يصرحون: بأنهم جاؤوا للتحالف على العداء لمحمد، فلم يكن هذا المجى ء، لمحاوله فهم دعوه هذا الرجل، و التعامل معه و معها بإنصاف و بموضوعيه، و تعقل و تدبر كما أسلفنا.

كما أنهم يفضلون الاتصال أولا بأبى سفيان، و لم يكن المبرر لذلک إلا أنهم يعلمون بعداوته لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و تسرعه لقتاله فهم يريدون إذن توظيف حاله الحقد غير المسؤول لدى أبى سفيان، و حاله التسرع اللاواعى عنده لصالح تحقيق الأهداف التى يرمون إلى تحقيقها.

أضف إلى ما تقدم: أنهم لا يتورعون عن ارتكاب جريمه التضليل الإعلامى و التعليمى، و مخالفه قناعاتهم، و حتى أصول دينهم فى هذا السبيل.

فهم يقررون للمشركين أن الشرک أهدى من التوحيد و أن دعوى الجاهليه خير من الهدى الإلهى.

هذا كله عدا عن استخدامهم المال أيضا كوسيله لتحريک بعض الفئات لحرب محمد (صلى اللّه عليه و آله) و من معه.

و إذا صحت الروايه التى تقول: إن أبا سفيان قد طلب من اليهود أن يسجدوا للأصنام، لأن قريشا خافت من مكرهم، فاستجاب اليهود و سجدوا للأوثان، و كذلک فعل كعب بن الأشرف و من معه، حين جاؤوا فى مره سبقت حرب الخندق لتحريض المشركين على حرب محمد- إذا صح ذلک- فإن الأمر يصبح فى غايه الوضوح:

1- حيث يكون اليهود قد أسقطوا عن وجوههم جميع الأقنعه، و تجاوزوا كل حد، و كل الأرقام القياسيه فى سحق المثل و القيم، و المبادئ الأخلاقيه و الإنسانيه و أثبتوا أنهم و صوليون بكل ما لهذه الكلمه من معنى.

و الغريب فى الأمر: أننا نجدهم يعتمدون على الإيمان و المواثيق لإحكام أمرهم مع المشركين، و للحصول على الحد الأدنى من الاطمئنان و الوثوق ببعضهم البعض، رغم أنهم قد مارسوا- عمليا- أساليب من شأنها أن تنسف كل عوامل الثقه و لو بمستواها الأضعف و الأدنى.

و إلا، فهل يمكن أن يكون المشركون قد وثقوا باليهود لمجرد أنهم قد رأوهم يسجدون للأوثان؟!

و هل اعتقد المشركون: أن اليهود قد تركوا يهوديتهم، و دخلوا فى الشرک؟!

و إذا كانت الإجابه بالنفى، فما معنى وثوقهم بأيمانهم و مواثيقهم؟! و ما معنى اطمينانهم إلى عدم مكرهم بهم، و خديعتهم لهم؟!

أليست نفس استجابتهم لطلب المشركين بالسجود للأوثان دليلا على أنهم لا عهد، و لا ميثاق، و لا أيمان لهم؟ بل هى دليل على أنهم يخادعونهم و يمكرون بهم، و يريدون استخدامهم فيما يريدون بأيه صوره كانت، و بأى ثمن كان؟!

ألم يدرک المشركون: أن وثوقهم باليهود استنادا إلى ذلک معناه أنهم يخدعون أنفسهم؟! و يظهرون للملأ: أنهم على درجه كبيره من الرعونه و السذاجه؟!

2- و مما يزيد فى ضراوه هذه الشكوک: أننا نجد اليهود، حين سألهم المشركون عن ذلک، قد طلبوا من المشركين أن يعرضوا عليهم دينهم و دين محمد، ليحكموا لهم أو عليهم.

فلما عرضوا ذلک عليهم أصدروا حكمهم لصالح دين المشركين، و أنهم أولى بالحق كما تقدم.

و السؤال هنا هو: هل صحيح أن اليهود كانوا لا يعرفون دين المشركين، الذين يعيشون بينهم و يتعاملون معهم منذ عشرات السنين؟!

و هل كان المشركون أعرف بأمر محمد (صلى اللّه عليه و آله) و بدعوته من اليهود، و هو يعيش بين ظهرانيهم، و قد عقدوا معه التحالفات و خاضوا معه الحروب، و لم يزل يدعوهم إلى دينه و يحتج عليهم و قد جاؤوا ليحرضوا الناس على حربه و استئصاله؟!

3- و الأغرب من ذلک أن يخطر ببال أحد من المشركين و غيرهم: أن يجيب اليهود، الذين جاؤوا للتحريض على استئصال محمد، بغير ما أجابوا به!!

4- و الأعجب من ذلک: أن يعتبر الشرک دينا يصلح للمقارنه مع ما جاء به النبى الأكرم (صلى اللّه عليه و آله) من عند اللّه تعالى.

تمر خيبر:

بقى أن نشير أخيرا: إلى هذا السخاء الذى تجلى فى اليهود حتى جعلوا تمر خيبر سنه، أو نصفه كل سنه، لغطفان لتوافق على المشاركه فى الحرب ضد الإسلام.

و لا ندرى ما هو الدافع لهم للإقدام على هذه الخطوه؟ فهل كان هذا يستبطن غدرا و نقصا كما هو معروف عن اليهود؟ أى أنهم بعد أن يتخلصوا من عدوهم الأقوى و الأخطر بنظرهم يرفضون الوفاء بما تعهدوا به لغطفان.

و هل فكرت غطفان فى هذا الأمر بصوره جديه و واقعيه؟!

و ما هو المبرر لهذه العداوه الراسخه من اليهود للاسلام و لنبى الإسلام؟!

و كيف نفسر هذا السخاء الذى لا نظير له من قوم لم نعرف عنهم إلا المزيد من الحرص على المال و على الدنيا، و إلا الشح المزرى، و البخل المشين؟!

هذا السخاء قد جاء من أجل استئصال أناس لم يروا منهم إلا الوفاء و الصدق، و النبل و الالتزام بالقيم الإنسانيه و المثل العليا!!

إن التفسير الوحيد المعقول لذلک هو: أنهم يشعرون أن الإسلام يمثل خطرا يتهدد دنياهم و امتيازاتهم، و هو يتناقض بصوره عميقه و أساسيه مع ما يفكرون به، و يخططون له من استغلال لثروات البلاد، و إذلال و استعباد للعباد.

فلماذا إذا: لا يضحون ببعض المال من أجل إزاحه هذا الکابوس الجاثم على صدورهم؟ فإذا تمکنوا من ذلک، فإنهم سوف يستقبلون الدنيا

العريضه بكل ما لديهم من خطط ماكره، و أساليب شيطانيه، تجعلهم يتحكمون بكل مقدرات الأمم، و يهيمنون على كل نبضات الحياه فيها؟!

تأثير المال فى تحزيب الأحزاب:

إن من الواضح: أنه لم يكن لقوى الكفر قياده موحده، ترسم الخطه، ثم تتخذ القرار، ثم تعمل على تنفيذه، بل كانت لهم قيادات متعدده و مختلفه.

و ذلک من شأنه أن يضعف أمرهم، و يوهن وحدتهم، مع وجود فرص تساعد على إلقاء الخلاف فيما بينهم و إذكاء روح التنافس، و إشاعه روح التشكيک ببعضهم البعض كما حصل لبنى قريظه.

كما أن من البديهى: أنه لم يكن بإمكان كل قبيله أن تستقل بعداوه محمد و قتاله، و كانت كل قبيله تخشى من مواجهه المؤمنين وحدها.

فكان لا بد من تفاهم القبائل فيما بينها لتحصيل إجماع على الاجتماع على قتال محمد و صحبه.

فبادر اليهود إلى العمل لتحصيل هذا الإجماع، على أمل أن يحسموا الأمر لمصالحهم، و يكونون بذلک قد ثأروا لأنفسهم، و تصبح- من ثم- لهم هم الكلمه الأولى و الأخيره فى المدينه على الأقل، و يكون لهم النفوذ و التأثير القوى فى المنطقه بأسرها ..

ثم إنه قد كان من جمله العوامل التى ساعدت على تجييش الجيوش و تحزيب الأحزاب، هو الوعود الماليه السخيه للناس، إذا نفروا لحرب المسلمين.

حتى لقد رفض بنو مره نصيحه الحارث بن عوف، إذ قد (غلب عليهم

الشيطان، و قطع أعناقهم الطمع) (1).

الإرهاب الفكرى و الخداع للسذج:

و قد أظهر النص المتقدم: أن قريشا- و الظاهر: أن المقصود هو الزعماء منها- أرادت خداع السذج و البسطاء من الناس بالاستفاده من حاله الانبهار بأهل الكتاب، التى كانت لدى عامه الناس فى المنطقه العربيه، و التى كانت حين ظهور الإسلام تعانى من الجهل الذريع، الذى مكّن لشياطين أهل الكتاب أن يصوروا لهم: أنهم هم مصدر العلوم و المعارف، و هم المرجع الموئل و المفزع للناس فيما يهمهم من أمور الدين، و المعارف الدينيه.

و استطاع أهل الكتاب أن يمسكوا بعواطف الناس، البسطاء و السذج و الجهله، باستخدام طريقه التهويل و الإحاله على الغيب الذى يضعف أقوى الناس أمامه إذا كان يلامس مصيره و مستقبله بصوره أو أخرى.

و الملفت هنا: أن يستغل زعماء قريش هذه الفرصه للاستفاده من هذا الانبهار من أجل سوق الناس بالإتجاه الذى يريدون، و يرون أنه يحقق لهم مأربهم، و يوصلهم إلى أهدافهم الشريره.

فيطلبون من الناس: أن يسألوا اليهود عن الأهدى من الفريقين: أهم بشركهم و ضلالاتهم؟ أم محمد (صلى اللّه عليه و آله) و ما جاء به من عند ربه من الهدى؟ و يأخذ أبو سفيان هنا زمام المبادره ليلقى سؤاله بطريقه فنيه80

1- تاريخ الخميس ج 1 ص 480

و ذكيه، حينما ضمّن كلامه خليطا من الأمور التى ترضى آنئذ غرور الإنسان العربى و القرشى على وجه الخصوص، بملاحظه طبيعه حياته، و عاداته و موقعه، ككونهم ينحرون الجزور الكوماء، و يسقون الحجيج، و كونهم عمّار البيت، ثم هم يعبدون الأوثان.

فيفهم اليهود ما يرمى إليه و يناغمونه الكيد و التزوير، و يحكمون لهم بأنهم أولى بالحق من محمد بالاستناد إلى نفس ما أراد أبو سفيان أن يستندوا إليه و ألقى إليهم به.

الحارث بن عوف ينصح قومه:

و يستوقفنا هنا: ما قاله الحارث بن عوف لقومه، و هو ينهاهم عن المسير إلى حرب محمد (صلى اللّه عليه و آله)، فإنها نصيحه مهمه تعبر عن إدراک حقيقى لما يجرى، ثم هو يقيّم الواقع بصوره متوازنه، و عاقله، حيث عبر لهم عن اعتقاده أن أمر الإسلام ظاهر و غالب، و لو ناوأه ما بين المشرق و المغرب لكانت له العاقبه.

و نعتقد: أنه قد أدرک هذا الأمر بحسن تقديره للأمور، و هو يراقب ما يطرح هذا الدين للناس من مفاهيم و تشريعات، و ما يمارسه من تدابير و سياسات تنسجم مع أحكام العقل و الفطره السليمه، و مع الخلق السامى و النبيل. ثم هو يرى الواقع السياسى، و كل التحولات التى تستجد على المنطقه بصوره مطّرده و مستمره، و يرى أن هذا الدين لا يزال ينتشر، و يتجذر، و يترسخ و تتنامى هيبته و تتأكد هيمنته، رغم كل الكيد الذى يواجهه به أعداؤه، و كل الحقد الذى يعامله به مناوئوه.

ص: 183

عقده بدر الموعد:

إن إلماح صفوان بن أميه إلى ما جرى فى بدر الموعد، ليدل دلاله واضحه على: أن المسلمين قد سجلوا فيها نصرا مؤزرا للإسلام و هزيمه روحيه و سياسيه ساحقه لكبرياء الكفر و الشرک، ليس فى مكه و حسب، و إنما فى المنطقه بأسرها.

و لكن من دون أن يكلف ذلک المسلمين أيه تضحيات، بل هم قد ربحوا فى تجاراتهم فى سوق بدر، حسبما تقدم بيانه.

عيينه بن حصن و المعانى الإنسانيه:

ربما يفهم من كلام البعض: أن الحارث بن عوف كان يرتبط مع النبى (صلى اللّه عليه و آله) بجوار، لكنه اعتبره أحسن تقيه من عيينه بن حصن.

و لعل السر فى ذلک هو: أن الحارث، و إن كان قد نقض الجوار، الذى قد يقال: إنه يعنى الالتزام بعدم الاعتداء، حفظا للجوار، مع أن البعض كالزهرى، و بنى مره ينكرون أن يكون الحارث قد فعل ذلک، و يصرون على أنه لم يحضر حرب الخندق، إلا أن عيينه قد زاد على ما فعله الحارث: أنه لم يحفظ الجميل، بل جازى الإحسان إليه بالإساءه، و لكنها إساءه جاءت على درجه كبيره من القبح، لأنها تضمنت خروجا على كل الأعراف، و القيم، و حتى أعراف الجاهليه.

فقد تقدم: أن النبى الأكرم (صلى اللّه عليه و آله) كان قد سمح لعيينه، حينما أجدبت أرضه: أن يرعى فى منطقه نفوذ و سيطره و حاكميه الرسول (صلى اللّه عليه و آله)، لينقذهم من الخطر الذى يتهددهم، و يساعدهم على التغلب على

المشکله الحیاتیه التی یعانون منها، رغم أنهم کانوا یختلفون معه (صلی اللّه علیه و آله)، من جهه أنهم کانوا علی شرکهم و ضلالهم. ففعل (صلی اللّه علیه و آله) ذلک من دون أی مقابل، و دون أن یسجل لنفسه أی امتیاز.

و قد عرف عن العرب: أنهم یعتزون ببعض المعانی التی یرون فیها شیئا من القیمه، مثل: حسن الجوار، و حفظه، و الوفاء بالعهد، و مقابله الإحسان بمثله، و یعتبرون ذلک هو الرصید الذی یؤهلهم لاحتلال مواقع إجتماعیه متمیزه، حتی إذا ما تبین لهم أن أحدا لا یملک شیئا من هذا الرصید، فإنه یبوء بذل العمر، و عار الدهر، و هو عندهم ساقط و مرذول، أو هکذا زعموا.

و لکن الأمور عند هؤلاء الناس قد انعکست الآن، حیث أصبح العداء للإسلام و لنبی الإسلام هو العمل الصالح عندهم الذی یبیح لهم کل محرم، و تتهاوی و تسقط معه کل قیمهم و مثلهم، التی یعتزون بها، و یعطون الأوسمه و الامتیازات من خلالها و علی أساسها.

فنقض العهود، و خفر الجوار، و الإساءه لمن أحسن، و کل خزی و عار لم یعد مهما عندهم إذا کان ذلک فی قبال محمد (صلی اللّه علیه و آله) و ضد الإسلام و المسلمین. بل إن هذه المخازی قد أصبحت أوسمه لهم، و من دواعی تأکید شخصیتهم، و بسط هیمنتهم بزعمهم.

و إلا، فکیف نفسر احتفاظ عیینه بن حصن، و کثیرین من أمثاله، بمواقعهم الاجتماعیه، و هم قد أثبتوا أکثر من مره أنهم لا یملکون شیئا من هذه المعانی التی قبلها العرب، و تبنوها، و تغنوا و افتخروا بها.

و قبل أن نخلص إلی نهایه القول، نقول: إن من الطبیعی للإنسان الذی یحتفظ بمیزاته و خصائصه الإنسانیه أن یشعر بالامتنان تجاه من یحسن إلیه،

و يشعر بالاحترام و التقدير تجاه من يحسن جواره و كذلک تجاه من يتعامل معه بطريقه أخلاقيه و إنسانيه، حتى و لو كان يختلف معه فى الرأى، و فى العقيده و الدين.

فإذا أراد أن يكون له موقف يختلف عن هذا، فلا بد أن يتناقض أولا مع نفسه، و يقوم صراع حاد مع تلک الخصائص النبيله، و لن يكون قادرا على اتخاذ ذلک الموقف إلا بعد أن يتم التغلب عليها و قهرها.

و تختلف صعوبه اتخاذ القرار، و الموقف هذا باختلاف درجات البشاعه و الشين فيه، إلا إذا فرض: أن تلک المعانى الإنسانيه قد تناهى بها الضعف، بسبب ممارسات سابقه، حتى بلغت درجه فقدت معها تأثيرها و فاعليتها.

و أصبح الإنسان بذلک على درجه كبيره من الصلف و اللامبالاه، و الوقاحه، و تحول إلى مجرم محترف، لا يبالى أى شى ء يرتكب و يقترف، كما كان الحال بالنسبه لعيينه بن حصن، الذى هو موضع البحث.

و أخيرا: فإن عيينه بن حصن هذا هو الذى يروى أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) وصفه بالأحمق المطاع، و كان من المؤلفه قلوبهم، و قد ارتد عن الإسلام بعد ذلک، و قاتل تحت قياده طليحه بن خويلد الذى ادّعى النبوه.

فلتراجع ترجمته فى كتب الرجال و التراجم.

شک المشركين:

و الملفت للنظر هنا: أننا نجد المشركين يشكون فى صحه ما هم عليه، كما أن طلب أبى سفيان من اليهود تصديق ما هم عليه يشير إلى طغيان هذه الشكوک إلى درجه كبيره حتى احتاجوا إلى تسكينها و طمأنه الناس و تثبيتهم.

الفصل الثانی: الخندق فی خطه الحرب و الدفاع

اشاره

المفاجأه:

1- إن معرفه الإنسان بعدوّه تجعله أقدر على التعاطى معه من موقع القوه و الحزم، من خلال ما تهيئ له تلك المعرفه من قدره على رسم الخطه السليمه، ثم التنفيذ الدقيق و الواعى.

و لا تقتصر هذه المعرفه المؤثره على معرفه عناصر الضعف و القوه فى العده و فى العدد، و سائر النواحى العسكريه، و الامتيازات الحربيه. بل تتعداها إلى الإشراف على خصائص شخصيه العدو و المعرفه بطبائعه، و أخلاقياته، و مبادئه و مفاهيمه، و عاداته و تقاليده و مستواه الفكرى و العلمى، و ما إلى ذلک، مما له دور و تأثير فى اتخاذ القرار العسكرى، أو تسجيل الموقف على الصعيد السياسى، أو التعامل فى مجال السلوک، و هكذا على الصعد كافه. ثم انعكاسات ذلک كله على التحرک باتجاه حشد الطاقات، و رسم الخطط، و الإعداد و الاستعداد للمواجهه و التصدى.

فإن التعامل مع العدو الذى يلتزم بالعهود و المواثيق، يختلف عنه مع من عرف أن من طبيعته الغدر، و عدم الوفاء. كما أن التعامل مع من يلتزم بعهده لدوافع دينيه و عقيديه و مبدئيه يختلف عن التعامل مع من يلتزم بذلک لدوافع أخرى .. و هكذا الحال فى سائر النواحى و مختلف المواضع و المواقع.

2- و نبينا الأكرم (صلى اللّه عليه و آله) كان يعرف تماما حقيقه ما يفكر به المشركون، و اليهود و المنافقون، و سائر القوى التى تحيط به. ثم هو يعرف طبيعه تركيبتهم السياسيه و الاجتماعيه و واقعهم الثقافى و الإقتصادى. ثم هو يعرف نهجهم، و أساليبهم و طموحاتهم و طريقتهم فى الحياه.

و قد أثبتت له التجربه الحسيه فى أكثر من موضع و موقع ما ينطوون عليه من غدر و خيانه، و من روح أنانيه و تآمريه حاقده و شريره و غير ذلک من أوضاع و حالات.

و هذا الواقع العدائى، و الروح التآمريه، و تلک الأعمال الخيانيه التى كانت تهيمن على أعداء اللّه و الإنسانيه، قد فرضت على النبى الأكرم (صلى اللّه عليه و آله) و المسلمين أن يعيشوا حاله الحذر القصوى، فكان أن بث رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) عيونه و أرصاده فى طول البلاد و عرضها فى الجزيره العربيه، هذا بالإضافه إلى ما كان يلمسه (صلى اللّه عليه و آله) من التسديد بالوحى و الألطاف الإلهيه به (صلى اللّه عليه و آله) و بالمسلمين فى الفترات الحرجه و الخطيره.

و هذا ما يفسر لنا ما نشهده من معرفه النبى التامه بواقع ما يجرى حوله، فلم يكن ليفاجئه أمر داهم، بل كان هو الذى يفاجئ أعداءه و يباغتهم. فهو إما يسبقهم بتوجيه الضربه الأولى لهم، و إما بمواجهته لهم بالخطه التى تبطل كيدهم، و تفشل مؤامراتهم، و مكرهم السيّئ، و لا يحيق المكر السيّئ إلا بأهله.

و هذا بالذات هو ما حصل فى حرب الخندق، حيث فاجأ المشركين بحفر الخندق حول المدينه، و تحصين سائرها، الأمر الذى أحبط خطتهم،

و تسبب لهم بالفشل الذريع، و الخيبه القاتله و المريره.

3- أما معرفه أعداء النبی (صلی اللّه علیه و آله) به فهی تختلف فی مضمونها، و فی آثارها و نتائجها عن معرفته بهم، فإنهم و إن کانوا یعرفون نبوّته و صدقه و أمانته، و لا یشکّون فی حقانیه ما جاء به. إلا أنهم یجهلون الکثیر الکثیر من آثار الإسلام، و الإیمان، و لا یعرفون الکثیر عما یحدثه الالتزام بتعالیمه و شرائعه من تغییرات عمیقه فی فکر و روح الإنسان و فی شخصیته، و فی کل وجوده.

نعم .. إنهم یعرفون صدق هذا النبی، و صحه نبوته، و حقانیه ما جاء به، إلی درجه أن الیهود یعرفونه کما یعرفون أبناءهم، و یجدونه مکتوبا عندهم فی التوراه و الإنجیل.

أما المشرکون، فقد عاش النبی (صلی اللّه علیه و آله) بینهم، و عرفوه طفلا و یافعا، و شابا و مکتهلا، و هم الذین سموه بالصادق الأمین، و رأوا منه الکثیر من المعجزات و الکرامات و الخوارق، و عاینوا و سمعوا منه من الحجج ما یقطع کل عذر، و یزیل کل شبهه و ریب، حتی لم یعد أمامهم إلا البخوع و التسلیم، أو الاستکبار و الجحود علی علم، فألزموا أنفسهم بالخیار الثانی، کما حکاه اللّه تعالی عنهم: وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَیْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا .. (1).

فکان من نتیجه ذلک: أن أصبح محض الحق یواجه محض الکفر و الجحود و ظهر بذلک صحه قوله (صلی اللّه علیه و آله) حین برز علی (علیهل.

1- الآیه 14 من سوره النمل.

السلام) لعمرو بن عبد ود الذى وضع المشركون فيه كل آمالهم: (برز الإيمان كله إلى الشرک كله).

و لا عجب بعد هذا إذا تعاون أهل الشرک و الأوثان مع اليهود مدّعى التوحيد. بل لا عجب إذا رأينا هؤلاء اليهود، الذين يدّعون أنهم يعبدون اللّه، يشهدون لأهل الأوثان بأنهم أهدى من أهل التوحيد رغم أن ذلک يستبطن اعترافا من اليهود ببطلان دينهم و عقيدتهم!!

و بعد ما تقدم: فإننا نستطيع أن نتفهم بعمق السبب فى أن هذه الحرب فيما بين المسلمين و أعدائهم لا بد أن تكون مريره و قاسيه و تتميز بالشموليه و الاتساع، و العمق. ثم برسوخ آثارها على كل صعيد ما دام أن أعداء الإسلام يرون ضروره أن تستنفذ جميع الطاقات المتوفره لديهم للهدم و للاستئصال، و الإباده الشامله، فإن الهدف منها هو استئصال محمد و من معه.

وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ (1).

المشوره و التخطيط:

و يقول المؤرخون: إنه لما فصلت قريش من مكه إلى المدينه خرج ركب من خزاعه إلى النبى فساروا من مكه إلى المدينه أربعا فأخبروا النبى (صلى اللّه عليه و آله) بالأمر. و ذلک حين ندب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) الناس، و أخبرهم الخبر و شاورهم فى أمرهم، و أمرهم بالجد و الجهاد، و وعدهم النصر، إن هم صبروا و اتقوا، و أمرهم بطاعه اللّه و طاعه رسوله.ل.

1- الآيه 30 من سوره الأنفال.

و شاورهم (صلی اللّه علیه و آله)- و کان یکثر من مشاورتهم فی الحرب- فقال: أنبرز لهم من المدینه؟ أم نکون فیها و نخندقها علینا؟ أم نکون قریبا و نجعل ظهورنا إلی الجبل؟! فاختلفوا.

[زاد المقریزی قوله: و کان سلمان الفارسی یری رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یهم بالمقام بالمدینه (1) و یرید أن یترکهم حتی یردوا ثم یحاربهم علی المدینه و فی طرقها فأشار بالخندق].

فقال سلمان: یا رسول اللّه! إنا إذ کنا بأرض فارس، و تخوفنا الخیل خندقنا علینا، فهل لک یا رسول اللّه أن نخندق؟!

فأعجب رأی سلمان المسلمین، و أحبوا الثبات فی المدینه.

فرکب رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) فرسا له، و معه نفر من أصحابه من المهاجرین، و الأنصار، فارتاد موضعا ینزله، فکان أعجب المنازل إلیه:

أن یجعل سلعا- جبل معروف بسوق المدینه- خلف ظهره و یخندق علی المذاد، إلی ذباب، إلی راتج.

فعمل یومئذ الخندق. و ندب الناس، و خبرهم بدنو عدوهم، و عسکرهم إلی سفح سلع (2).

و اختصر ذلک المفید و ابن شهر آشوب، فقالا: (فلما سمع النبی (صلی5.

1- لا ندری من أین فهموا: أنه کان یری ذلک، و لو کان حقا یری ذلک فلا ندری من أین فهموا أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) کان یهم بالمقام فی المدینه؟!.

2- راجع: المغازی للواقدی ج 2 ص 444 و الإمتاع ج 1 ص 219 و 221 و السیره الحلبیه ج 2 ص 311 و ألمح إلی ذلک فی: الثقات ج 1 ص 265 و 266 و راجع: سبل الهدی و الرشاد ج 4 ص 514 و 515.

اللّه علیه و آله) باجتماعهم استشار أصحابه، فاجتمعوا علی المقام بالمدینه و حربهم علی أنقابها) (1).

و لنا مع هذا الذی یذکره المؤرخون وقفات، و هی التالیه:

من أخبر النبی صلی اللّه علیه و آله بمسیر الأحزاب؟!

قد تقدم: أن رکبا من خزاعه قدم إلی المدینه فی مده أربعه أیام فأخبروا النبی (صلی اللّه علیه و آله) بمسیر الأحزاب إلیه.

و لکننا نجد نصا آخر عن علی (علیه السلام) یقول: إن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قد علم بذلک من جهه جبرئیل (علیه السلام) (فخندق علی نفسه و من معه) (2).

و لا نستبعد أن یکون کلا الأمرین قد حصل.

و قد ذکرنا فیما سبق: أن خزاعه کانت ترتبط مع الهاشمیین بحلف عقده معها عبد المطلب (رحمه اللّه)، و قد بقیت وفیه لهذا الحلف و کانت عیبه نصح لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله).

و قد أشرنا فیما سبق: إلی أنها قد دفعت ثمن هذا الوفاء غالیا فیما بعد وفاه رسول اللّه الأکرم (صلی اللّه علیه و آله)؛ فجزی اللّه أنصار اللّه، و أنصار رسوله خیر جزاء و أوفاه. إنه ولی قدیر، و بالإجابه حری و جدیر.ه.

1- مناقب آل أبی طالب ج 1 ص 197 و الإرشاد ص 51 و کشف الغمه للأربلی ج 1 ص 202 و البحار ج 20 ص 251.
2- الخصال (باب السبعه) ج 2 ص 268 و البحار ج 20 ص 244 عنه.

من المشير بحفر الخندق؟!

إن السياق المذكور آنفا يدل: على أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) هو الذی بادر إلی اقتراح حفر الخندق، ثم لما اختلف المسلمون، فتکلم سلمان الفارسی (رحمه اللّه) بطریقه بیّن لهم فیها وجه الحکمه فی اعتماد إجراء کهذا، فأعجبهم ذلک حینئذ، فقبلوه و اجتمعت کلمتهم علیه.

و لکن کلمات کثیر من المؤرخین قد أظهرت: أن سلمان هو المشیر بحفر الخندق (1) من دون أن تشیر إلی أی تحفظ فی ذلک.

و هذا هو ما استنتجه بعض المشرکین حین فوجئوا بالخندق (2).-7

1- راجع: وفاء الوفاء ج 1 ص 300 و ج 4 ص 1206 و الثقات ج 1 ص 266 و التنبیه و الإشراف ص 216 و سیره مغلطای ص 56 و الکامل فی التاریخ ج 2 ص 178 و الوفاء ص 693 و تاریخ الخمیس ج 1 ص 481 و 479 و الروض الأنف ج 3 ص 276 و شرح النهج للمعتزلی ج 18 ص 35 و أنساب الأشراف ج 1 ص 343 و مناقب آل أبی طالب ج 3 ص 134 و ج 1 ص 198 و تاریخ الأمم و الملوک ج 2 ص 234 و تاریخ الیعقوبی ج 2 ص 50 و فتح الباری ج 7 ص 301 و عیون الأثر ج 2 ص 57 و البحار ج 20 ص 251 و 218 و 197 و ج 41 ص 8. و مجمع البیان ج 8 ص 340 و نهایه الأرب ج 17 ص 168 و تفسیر القمی ج 2 ص 177 و إعلام الوری (ط دار المعرفه) ص 99 و الخرایج و الجرایح ج 1 ص 152 و السیره النبویه لدحلان ج 2 ص 3 و بهجه المحافل ج 1 ص 263 و السیره الحلبیه ج 2 ص 311 و سبل الهدی و الرشاد ج 4 ص 514 و حدائق الأنوار ج 2 ص 515 و الإرشاد للمفید ص 51 و زاد المعاد ج 2 ص 117 و مختصر التاریخ ص 43 و حبیب السیر ج 1 ص 359 و سعد السعود ص 138.

2- راجع: سبل الهدی و الرشاد ج 4 ص 530 و تفسیر القمی ج 2 ص 182 و بحار الأنوار ج 20 ص 224 و المغازی للواقدی ج 2 ص 470 و نهایه الأرب ج 17-

بل قال مسكويه: (فأشار سلمان على رسول اللّه (صلى اللّه عليه) لما رآه يهم بالمقام بالمدينه، و يدبر أن يتركهم حتى يردوا، ثم يحاربهم على المدينه و فى طرقها: أن يخندق. ففعل ذلک) (1).

لكن مؤرخين آخرين قد عبّروا عن شكهم فى هذا الأمر، فقال بعضهم:

(استشار النبى (صلى اللّه عليه و آله) سلمان- فيما يزعمون- بأمر الخندق) (2).

و قال آخرون: (فحفر الخندق. قيل: أشار به سلمان) (3). و فى مقابل ذلک نجد ابن إسحاق و كذا غيره ينسب حفر الخندق إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و لا يشير إلى مشوره سلمان، لا من قريب و لا من بعيد (4).2

1- تجارب الأمم ج 1 ص 149.
2- البدء و التاريخ ج 4 ص 217 و راجع: إعلام الورى ص 90.
3- راجع: تاريخ ابن الوردى ج 1 ص 160 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 قسم 2 ص 29 و البدايه و النهايه ج 4 ص 95 و المختصر فى أخبار البشر ج 1 ص 134 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 182 و 183 و راجع قول ابن هشام فى السيره النبويه ج 3 ص 235 و راجع: جوامع السيره النبويه ص 150.
4- راجع: السيره النبويه لابن هشام ج 3 ص 226 و جوامع السيره النبويه ص 148 و عيون الأثر ج 2 ص 55 و تهذيب سيره ابن هشام ص 189 و دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 399 عن ابن عقبه و ص 409 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 182 و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص 234 و شرح الأخبار ج 1 ص 292.

بل إن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قد کتب فی رسالته الجوابیه لأبی سفیان: (و أما قولک من علّمنا الذی صنعنا من الخندق، فإن اللّه ألهمنی ذلک) (1).

و کل ذلک یجعلنا نمیل إلی أن کلام الواقدی قد جاء أکثر دقه فی هذا المجال. و هو یفسر لنا السر فی کلام ابن إسحاق من جهه، و کلام غیره المقابل له من جهه أخری.

أما أولئک الذین ظهر منهم التردد فی ذلک فلعلهم لم یقفوا علی کلام الواقدی، و لم یتمکنوا من الجمع بین کلام ابن إسحاق و هو الحجه الثبت فی السیره، و بین کلام غیره.

وعی سلمان:

و لا نخفی هنا إعجابنا بهذا الوعی من سلمان المحمدی، حیث بادر فی الوقت المناسب إلی تقدیم تبریر لأولئک الناس الذین اختلفوا علی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، یتوافق مع طریقه تفکیرهم، حیث قرر لهم: أن الخندق المقترح من شأنه أن یحد من فاعلیه الخیل فی الحرب، و یدفع غائلتها، و یصبح الجهد الشخصی للأفراد هو الذی یقرر مصیر الحرب و نتائجها.

فکان أن استجاب المسلمون لاقتراح حفر الخندق، و أعلنوا موافقتهم علیه، و تحملوا مسؤولیه الخیار و الاختیار، و هذا بالذات هو ما أراده الرسول الأکرم (صلی اللّه علیه و آله).2.

1- الإمتاع ج 1 ص 240 و خاتم النبیین ج 2 ص 942.

لو كان الخندق بإشاره سلمان:

و قد رأينا: أن عددا من المؤرخين قد زعم أن الخندق حفر بإشاره سلمان، و إن كنا نرجح: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) هو الذى بادر إلى اقتراحه فاختلف المسلمون، فكان دور سلمان أن بيّن لهم وجه الحكمه فى ذلک، حسبما تقدم بيانه عن الواقدى ..

و مهما يكن من أمر فقد ظهر: أن المشركين قد فوجئوا بالخندق و قالوا عنه: إن هذه المكيده ما كانت العرب تكيدها (1)، و لعل الأنظار قد اتجهت إلى سلمان الفارسى منذئذ.

و سواء أكان ذلک بمشوره سلمان أم لم يكن فإن ما نريد أن نؤكد عليه هو أن الإسلام لا يمنع من الاستفاده من تجارب الآخرين و من خبراتهم فى المجالات الحياتيه البناءه، فقد روى: أن (الحكمه ضاله المؤمن، فاطلبوها و لو عند المشرک تكونوا أحق بها و أهلها) و فى معناه غيره (2).

نعم .. إن المؤمن أحق بالحكمه من غيره، ما دام أن ذلک الغير قد يستفيد منها لتقويه انحرافه، و تأكيد موقعه المناوئ للحق و للأصاله و الفطره.

و قد رأينا: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد أطلق الصناع و أصحاب8.

1- راجع: سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 530.
2- أمالى الشيخ الطوسى ج 2 ص 238 و تحف العقول ص 138 و 292 و غرر الحكم ج 1 ص 394 و البحار ج 75 ص 34 و 38 و 307 و ج 2 ص 17 و 96 و 97 و مواضع أخرى منه. و راجع: دستور معالم الحكم ص 19 و المجروحون ج 1 ص 105 و التراتيب الإداريه ج 2 ص 348.

الحرف فی خیبر لینتفع بهم المسلمون [1].

و أمر النبی (صلی اللّٰه علیه و آله) المشرکین فی بدر، الذین لا یجدون ما یفتدون به: أن یعلم الواحد منهم عشره من أطفال المسلمین القراءه و الکتابه، و یطلق سراحهم فی مقابل ذلک [2].

و لکن هذه الاستفاده مشروطه: بأن لا تنشأ عنها سلبیات أخری کما لو کان ذلک یعطی لأولئک المنحرفین فرصه لتضلیل الناس و جرهم إلی مهالک الانحراف، أو یعطیهم بعض النفوذ و الهیمنه أو یجرئهم علی التدخل فی الشؤون الخاصه بالمسلمین، و ما إلی ذلک.

و هکذا، فإنه یصبح واضحا: أن المرفوض إسلامیا هو التبعیه للآخرین و الانبهار الغبی بهم، و تقلیدهم علی غیر بصیره. و أما الاستفاده الواعیه من منجزاتهم الحیویه لبناء الحیاه، و التغلب علی مصاعبها، بصوره تنسجم مع أحکام الشرع، و من دون أن تنشأ عنه سلبیات خطیره، فذلک أمر مطلوب، و لا غضاضه فیه.

و حتی لو کان الخندق بإشاره سلمان من الأساس، و کان سلمان قد1.

1- راجع: التراتیب الإداریه ج 2 ص 75 و ستأتی إن شاء اللّٰه بقیه المصادر فی غزوه خیبر.
2- مسند أحمد بن حنبل ج 1 ص 247 و تاریخ الخمیس ج 1 ص 395 و السیره الحلبیه ج 2 ص 193 و الروض الأنف ج 3 ص 84 و الطبقات الکبری ج 2 ق 1 ص 14 و التراتیب الإداریه ج 2 ص 348 و ج 1 ص 48 و 49 عن السهیلی، و عن المطالع النصریه فی الأصول الخطیه، لأبی الوفا نصر الهورینی، و عن الإمتاع للمقریزی ص 101.

استفاد ذلک من بیئته و قومه، الذین ما کانوا علی طریقه الإسلام و لا علی دین الحنیفیه، فلا ضیر و لا غضاضه فی قبول مشورته. بل الغضاضه فی ترک العمل بتلک المشوره إذا کانت موافقه للصواب و یتسبب الإعراض عنها بوقوع المسلمین فی مأزق، و هم فی غنی عنه و لا مبرر للوقوع فیه. مع وجود مخرج لیس فی العمل به حرج و لا تنشأ عنه أیه سلبیات یرغب عنها.

طریقه استشارته صلی اللّه علیه و آله أصحابه:

هذا، و لا نری أننا بحاجه إلی التذکیر بمبررات مشاوره النبی (صلی اللّه علیه و آله) أصحابه، فی أمر الحرب، فقد تحدثنا عن ذلک، و عن أسبابه و آثاره الإیجابیه فی أوائل غزوه أحد.

غیر أننا نشیر هنا: إلی أننا نلمح فی طریقه مشاوره النبی (صلی اللّه علیه و آله) لأصحابه خصوصیتین رائعتین تجلتا لنا فی النص الذی ذکره الواقدی.

إحداهما: أنه (صلی اللّه علیه و آله) هو الذی بادر إلی اقتراح حفر الخندق ثم انتظر مبادره سلمان الإقناعیه، متعمدا أن تسیر الأمور بهذه الطریقه، سیاسه منه (صلی اللّه علیه و آله) لأصحابه، و ترویضا لعقولهم، و إعدادا لهم لیبادروا إلی تحمل المسؤولیه، و لغیر ذلک من أمور.

الثانیه: أنه (صلی اللّه علیه و آله) فی نفس الوقت الذی یمارس فیه أسلوب المشاوره بهدف تحسیس أصحابه بالمسؤولیه و إفهامهم- عملا، لا قولا فقط- أنهم الجزء الحرکی و الفاعل و المؤثر حتی علی مستوی التخطیط، و القرارات المصیریه، و أن القضیه قضیتهم، بما یعنیه ذلک کله من ارتفاع ملموس فی مستوی وعیهم و تفکیرهم السیاسی، و العسکری، و غیر ذلک من أمور کانت

محط نظره (صلى اللّه عليه و آله)،

نعم .. إنه فى هذا الحين بالذات يطرح أمامهم خيارات من شأنها أن تخرجهم من حاله الضيق و الحرج، و تفتح أمامهم نوافذ جديده على آفاق رحبه من التدبير العسكرى، الذى يحفظ لهم وجودهم، و يبعد عنهم شبح الهزيمه المره، أو التعرض لحرب تحمل معها أخطار القتل الذريع، دون أن يجدوا فى مقابل ذلک أيا من تباشير النصر، أو التفاؤل به.

الخندق فى إيجابياته الظاهره:

قد تحدثنا فى غزوه أحد فى الفصل الأول منها، فى فقره: ما هو رأى النبى (صلى اللّه عليه و آله) فى أحد، ما يفيد الاطلاع عليه فى فهم إيجابيات البقاء فى المدينه، و التمنع فيها، فيرجى مراجعه ما ذكرناه هناک.

أما هنا، فنقول: إنه لم يطل الأمر بالمسلمين، حيث إنهم سرعان ما أدركوا: أن حفر الخندق هو ذلک التدبير الذکى الرائع الذى فوّت على عدوهم ما كان يحلم به من منازلتهم و مكافحتهم إلى درجه إلحاق الهزيمه بهم ثم استئصالهم و إباده خضرائهم، و تقويض عزهم.

و قد أعطى الخندق المسلمين القدره على ممارسه التسويف فى الوقت، و هو الأمر الذى لم يكن المشركون قادرين على تحمل التسويف فيه إلى أجل غير مسمى.

و قد رأى المسلمون بأم أعينهم:

1- كيف أن عدوهم لم يستطع الصبر طويلا، بسبب بعده عن مصادر الإمداد البشرى و التموينى، مع ملاحظه محدوديه طاقاتهم التموينيه، لعدم

إمكان توفير مدخرات كافيه لهذا العدد الهائل من الناس، و لكل ما معهم من خيل و ظهر كانوا بحاجه إليه فى حربهم. فإن منطقه الحجاز لم تكن قادره- بحكم طبيعه حياه الناس فيها- على توفير هذا النوع من القدرات و الإمكانات بهذا المستوى الكبير و الحجم الهائل- و لا أقل من أن المشركين لم يفكروا مسبقا بإيجاد خطوط تموين لحرب طويله الأمد، و لا خططوا أبدا لمثل هذه الحرب، كما أنهم لم يعتادوا حروبا كهذه و لا ألفوها، فمن الطبيعى- و الحاله هذه- أن يملوا حربا كهذه، و ينصرفوا عنها.

2- إن هذا الخندق قد استطاع أن يحفظ لهم وجودهم و كرامتهم، فلم يسجل عليهم عدوهم نصرا و قد كبت اللّه به عدوهم وردهم بغيظهم لم ينالوا شيئا مما كانوا يحلمون به، دون أن يكلف ذلک المسلمين خسائر تذكر، و حرم المشركين بذلک من إمكانيه إشراک أعداد ضخمه فى المواجهات مع المسلمين.

3- ثم وجد المسلمون أنفسهم بعد ذلک أمام فرص أكبر، و حظ أوفر من ذى قبل، و استمروا يواصلون جهدهم و جهادهم للحصول على المزيد من أسباب القوه، و المنعه، و العمل على إضعاف عدوهم و تقويض هذا التوافق فيما بين فئاته لصالح بقاء هذا الدين، و ترسيخ دعائمه و أركانه.

4- إنه (صلى اللّه عليه و آله) قد جمع بين أن خندق على المدينه و بين جعل جبل سلع خلف ظهر المسلمين- كما سنرى- فيكون بذلک قد استفاد من الموانع الطبيعيه، ثم أحدث مانعا مصطنعا من الجهه الأخرى، لتكتمل خطته بحرمان العدو من أيه فرصه للنيل من صمود المسلمين، أو إحداث أى إرباک، أو تشويش، أو خلخله، أو مناطق نفوذ و تسلل فى صفوفهم.

و أخيرا: نجد نصا عن سلمان الفارسى يصرح فيه بالمبررات لحفر الخندق، فهو يقول: (يا رسول اللّه، إن القليل لا يقاوم الكثير فى المطاوله.

قال: فما نصنع؟

قال: نحفر خندقا يكون بيننا و بينهم حجابا، فيمكنك منعهم فى المطاوله.

و لا يمكنهم أن يأتونا من كل وجه. فإنّا كنا معاشر العجم فى بلاد فارس إذا دهمنادهم من عدونا نحفر الخنادق، فيكون الحرب من مواضع معروفه.

فنزل جبرئيل (عليه السلام) على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فقال: أشار سلمان بصواب (1).

بين الأصاله و التجديد:

و آخر ما نقوله هنا: أن حفر الخندق قد أفهم المسلمين: أنه ليس من الضرورى أن يبقى الإنسان أسير الأفكار و العادات و الأساليب المتداوله فى المحيط الذى يعيش فيه، فإذا كان باستطاعته أن يبتكر أساليب، و يحدث وسائل جديده، تمكنه من تحقيق أهدافه على النحو الأفضل و الأمثل، فعليه أن يبادر إلى ذلک، و يكسر حاجز الإستغراب و الإستهجان و الرهبه، و يتحرر من عقده الحفاظ على القديم، أو على العاده و التراث لمجرد أنه قديم و تراث، و من موقع الجمود، و الخواء و التقوقع.

أما إذا كان هذا القديم يمثل الأصاله، و العمق و الانتماء، و يعيد للإنسان هويته الحقيقيه، و يحول بينه و بين التخلى عن خصائصه الإنسانيه8.

1- تفسير القمى ج 2 ص 177 و البحار ج 20 ص 218.

الأصيله، فذلک القدیم یکون هو الجدید النافع، فی مقابل کل ما هو غریب، أو یجر الإنسان إلی غربه حقیقیه، تبعده عن واقعه و تجرده من خصائصه الإنسانیه الأصیله، لیعیش فی الظلام و الضیاع حیث الشقاء و البلاء، و حیث الوحشه و الوحده و الغربه، بکل ما لهذه الکلمات من معنی؛ فالتجدید الإیجابی البناء هو الأصاله ذاتها.

أما التجدید الذی یفقد الإنسان أصالته، فهو الذی یمثل العوده إلی الوراء، و هو حقیقه التغرب و الإنحطاط، و السقوط و التراجع. و هو بالتالی الکارثه الحقیقیه و المدمره له إن فی الحاضر أو فی المستقبل.

أضف إلی ما تقدم: أن التعارف فیما بین الشعوب المختلفه حین ینتهی إلی توظیف حصیله تجاربها الحیاتیه لاستکمال سماتها الأصیله للحیاه بکل امتداداتها و علی مختلف المساحات فی الآفاق الرحبه، فإن هذا التعارف یصبح ضروره لا بد منها و لا غنی عنها لأیه أمه ترید لنفسها الخیر و السعاده و الفلاح. و ترید کذلک أن تستثمر ذلک کله فی خط التقوی و العمل الصالح. و فی صراط حصحصه الحق لیکون هو الملاذ، و الرجاء، فی کل شده و رخاء.

و قد قال تعالی: .. وَ جَعَلْناکُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَکْرَمَکُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاکُمْ .. (1).

أین کان الخندق و ما هی مواصفاته؟!

اشاره

قد تقدم: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قد رکب فرسا و خط لهم الخندقت.

1- الآیه 13 من سوره الحجرات.

و قد بينت النصوص التاريخيه لنا مواضع الخندق و خصوصياته و مواصفاته بشی ء من التفصيل، و نحن نذكر طائفه من هذه النصوص فنقول:

1- موضع الخندق:

قال الواقدی: (كان الخندق ما بين جبل بنی عبيد بخربی، إلی راتج.

قال: و هذا أثبت الأحاديث عندنا) (1).

و فی نص آخر: (من المذاد، إلی ذباب، إلی راتج) (2).

و عند القمی: (فأمر (صلی اللّه عليه و آله) بمسحه من ناحيه أحد إلی راتج) (3).

و فی نص أكثر تفصيلا: (حفر النبی (صلی اللّه عليه و آله) الخندق طولا، من أعلی وادی بطحان، غربی الوادی، مع الحره، إلی غربی مصلی العيد، ثم إلی مسجد الفتح، ثم إلی الجبلين الصغيرين، اللذين فی غربی الوادی. و مأخذه قول ابن النجار).

إلی أن قال: (و الحاصل: أن الخندق كان شامی المدينه، من طرف الحره).

1- المغازی للواقدی ج 2 ص 450- 452 و راجع: السيره الحلبيه ج 2 ص 312.
2- راجع: سبل الهدی و الرشاد ج 4 ص 515 و المغازی للواقدی ج 2 ص 445 و الثقات ج 1 ص 266.
3- تفسير القمی ج 2 ص 177 و بحار الأنوار ج 20 ص 218 و قال الطبرسی فی مجمع البيان ج 8 ص 342 و عنه فی بحار الأنوار ج 20 ص 203 (كان اسم الموضع الذی حفر فيه الخندق: المذاد).

الشرقيه، إلی طرف الغربيه) (1).

و روی بسند معتبر، عن عمرو بن عوف قال: (خط رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) الخندق عام الأحزاب من أجم الشيخين (السمر) طرف بنی حارثه، حتی بلغ المذاذ (المداحج)) (2).

و المذاد بطرف منازل بنی سلمه، مما يلی مسجد الفتح، و منازلهم فی جهه الحره الغربيه (3).

قال السمهودی: (سيأتی أن الشيخين أطمان شامی المدينه بالحره الشرقيه، أما المداحج فلا ذكر لها فی بقاع المدينه) (4).

و أقول: لعل كلمه (المداحج) تصحيف لكلمه (المذاد)، و لعل كلمه:

(السمر)، تصحيف لكلمه (الشيخين).

2- جعل الأبواب للخندق:

(و ذكروا: أن الخندق له أبواب، فلسنا ندری أين موضعها) (5).0.

1- وفاء الوفاء ج 4 ص 1204 و الفقره الأخيره ص 1206 أيضا و تاريخ الخميس ج 1 ص 481 و العباره الأخيره فی السيره النبويه لدحلان ج 2 ص 3.
2- راجع: تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 235 و دلائل النبوه للبيهقی ج 3 ص 418 و سبل الهدی و الرشاد ج 4 ص 515.
3- وفاء الوفاء ج 4 ص 1205.
4- المصدر السابق.
5- المغازی للواقدی ج 2 ص 452 و راجع: السيره الحلبيه ج 2 ص 312 و تاريخ اليعقوبی ج 2 ص 50.

و حسب نص آخر: (جعل له رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أبوابا، و جعل علی الأبواب حرسا) (1).

و لکن کعب بن مالک قد أشار إلی وجود خندقین، فهو یقول:

بباب خندقین کأن أسداشوابکهن یحمین العرینا (2)

و یقول ضرار بن الخطاب:

کأنهم إذا صالوا وصلناباباب خندقین مصافحونا (3) و قال الفرزدق:

بدر له شاهد و الشعب من أحدو الخندقان و یوم الفتح قد علموا (4)

و ذکر القمی: أن عدد الأبواب کان ثمانیه (5)

3- خصوصیات و مواصفات أخری:

(و الخندق فیه قناه، یأتی من عین قباء إلی النخل الذی بالسنح، حوالی مسجد الفتح.

و فی الخندق نخل أیضا. و انطمّ أکثره، و تهدمت حیطانه) (6).1.

1- المصادر السابقه، و سبل الهدی و الرشاد ج 4 ص 515.
2- سبل الهدی و الرشاد ج 4 ص 554 و السیره النبویه لابن هشام ج 3 ص 267 و وفاء الوفاء ج 4 ص 1206.
3- السیره النبویه لابن هشام ج 3 ص 266.
4- مناقب آل أبی طالب ج 4 ص 174.
5- تفسیر القمی ج 2 ص 179 و عنه فی بحار الأنوار ج 20 ص 220.
6- وفاء الوفاء ج 4 ص 1204 و تاریخ الخمیس ج 1 ص 481.

و ذكروا أيضا: أنه قد (بلغ طول الخندق نحوا من خمس آلاف ذراع و عرضه تسعه أذرع، و عمقه سبعه أذرع) (1).

الموقع الجغرافى للخندق:

و نحن إذا راجعنا الواقع الجغرافى للمدينه، فإنه يتضح: أن الخندق قد ضرب على المدينه فى مواقع من الجهه الغربيه و الشماليه أما الجهه الشرقيه و الجنوبيه فقد شبكت بالبنيان، و لم يخندق المسلمون عليها.

و لعل ذلک يرجع إلى أن المواقع التى تستوعب ألوف الفرسان، و تصلح أن تكون ساحه حرب و نزال هى المنطقه الواقعه بالقرب من ثنيات الوداع شمال غرب المدينه حتى تنتهى بجبل أحد. و هى منطقه واسعه و مسطحه و مكشوفه، و ليست فيها عراقيل مهمه، و هى المنطقه التى حفر الخندق فيها.

أما سائر المناطق حول المدينه فلم تكن تصح لذلک، و لا سيما بالنسبه لجيوش كبيره تعد بالألوف، من فرسان و رجاله، بالإضافه إلى ما يتبع هذه الجيوش من دواب و خيول تحمل أزوادهم و أمتعتهم، و تحمل الرجاله منهم أيضا فى سفرهم الطويل.

ذلک لأن سائر المناطق حول المدينه كان فيها من الجبال و الأوديه، و من التضاريس و الأشجار و الحجاره ما يحد من قدره تلک الجيوش الغازيه على الحركه الفاعله، و المؤثره، و يفقدها الكثير من الامتيازات الحربيه، و يحرمها من الاحتفاظ بزمام المبادره، و يفوّت عليها نصرا تطمع إلى تحقيقه.1.

1- الرسول العربى و فن الحرب لمصطفى طلاس ص 240 و 241 و السيره النبويه للندوى ص 281.

و یوضح ذلک: أنه کانت توجد فی الجهه الشرقیه حره واقم و فی الجهه الغربیه حره الوبره، و هی مناطق و عره فیها صخور برکانیه و تمثل حواجز طبیعیه، و کان فی جهه الجنوب أشجار النخیل و غیرها بالإضافه إلی الأبنیه المتشابکه، و کل ذلک لا یتیح لجیش المشرکین أن یقوم بنشاط فاعل و قوی ضد المسلمین.

و حیث إن بعض المواضع فی جهتی الشرق و الجنوب کان یمثل النقطه الأضعف من غیرها، الأمر الذی یحمل معه احتمالات حدوث تسلل تکتیکی للعدو، یهدف إلی إرباک الوضع العسکری و النفسی للمسلمین، فقد کان لا بد من سد تلک الثغره، و رفع النقص، و تفویت الفرصه علی العدو، حتی لا یضطر المسلمون لتوزیع قواهم و بعثرتها هنا و هناک بطریقه عشوائیه، أو من شأنها أن تضعف فیهم درجه الصمود و التصدی فی ساحه الصراع الحاسم فی میدان الکر و الفر الأول و الأساس.

فکان أن بادر المسلمون إلی تشبیک المدینه بالبنیان و ذلک فی مواقع الضعف المشار إلیها. و هذه الإجراءات کلها قد حالت دون استخدام قوات کبیره فی مهاجمه المدینه إلا من جهه الخندق، و هی قد أصبحت مشلوله بسبب حفر الخندق تجاه العدو فیها.

غیر أن هذا الذی ذکرناه: لا یعنی أن یمر القادم من مکه علی ثنیه الوداع، و هی الجهه الشمالیه للمدینه. فإن طریق المسافرین، الذین تضمهم فی الغالب قوافل صغیره محدوده العدد، لیس کطریق الجیوش الضخمه التی تضم ألوفا کثیره من الناس و من وسائل النقل المختلفه، حسبما ألمحنا إلیه.

و بذلک یتضح: أن من الممکن أن نتفهم أنه لا مانع من أن تأتی الجیوش إلی جهه ثنیه الوداع من جهه الشام، و لکن المسافرین یأتون من طریق آخر. و لا یمر القادم من مکه علی ثنیه الوداع و لا یراها، کما جاء فی النص التاریخی (1).

یقول مصطفی طلاس: (و بحفر الخندق استطاعت قیاده الجیش الإسلامی أن تعزل قوات العدو عن مکان التجمع الرئیسی للقوات المدافعه عن المدینه، و أن تحول بینها و بین اقتحام مداخل المدینه، لأن هذه المداخل أصبح من الممکن حراستها بعد حفر الخندق.

و قد أفادت قوات الثوره الإسلامیه من مناعه جبل سلع، الذی کان إلی یسارها و إلی الخلف، کما أفادت من و عوره حره الوبره لحمایه جناحها الأیسر، و من و عوره حره واقم لحمایه جناحها الأیمن، و من الحره الجنوبیه و جبل عسیر لحمایه المؤخره) (2).

تشبیک المدینه بالبنیان:

و کان سائر المدینه مشبکا بالبنیان، شبکوها من کل ناحیه، و هی کالحصن (3).

قال فی خلاصه الوفاء: (کان أحد جانبی المدینه عوره، و سائر جوانبها4.

1- راجع: وفاء الوفاء ج 4 ص 1172 و 1170 و زاد المعاد ج 3 ص 10 و التراتیب الإداریه ج 2 ص 130.
2- مصطفی طلاس: الرسول العربی و فن الحرب ص 234.
3- راجع: السیره الحلبیه ج 2 ص 315 و مغازی الواقدی ج 2 ص 450 و راجع ص 446 و وفاء الوفاء ج 4 ص 1205 و سبل الهدی و الرشاد ج 4 ص 524.

مشبكه بالبنيان و النخيل، لا يتمكن العدو منها) (1).

ثم إنه (صلى اللّه عليه و آله): (اختار ذلک الجانب المكشوف للخندق، و جعل معسكره تحت جبل سلع) (2).

و بذلک يكون (صلى اللّه عليه و آله): قد سد الثغرات التى يمكن للعدو أن يتسلل منها ليحدث إرباكا خطيرا فى معسكر المسلمين.

ثم جعل للخندق أبوابا، و جعل على الأبواب حرسا، بطريقه تمنع من التسلل، و من التواطؤ عليه كما سنرى.

ثم اختار الجانب المكشوف للخندق، و جعل معسكره تحت جبل سلع، مستفيدا منه كمانع طبيعى يصعب على العدو اجتيازه لمهاجمه المسلمين.

مده حفر الخندق:

و قال المؤرخون: (و جعل المسلمون يعملون مستعجلين، يبادرون قدوم العدو عليهم) (3).

الأقوال فى مده حفر الخندق و هى التاليه:2.

1- تاريخ الخميس ج 1 ص 481 و راجع: السيره الحلبيه ج 2 ص 315 و وفاء الوفاء ج 4 ص 1206.
2- تاريخ الخميس ج 1 ص 481 و السيره الحلبيه ج 2 ص 315.
3- السيره الحلبيه ج 2 ص 411. و المغازى للواقدى ج 2 ص 445 و راجع: الكامل فى التاريخ ج 2 ص 178. و راجع البدء و التاريخ ج 4 ص 217. و فتح البارى ج 2 ص 302.

كان حفر الخندق: سته أيام و حصنه (1).

و قيل: بضع عشر ليله (2).

و قيل: شهرا أو قريبا من شهر.

قال البعض: و هو أثبت (3).

و وقع عند موسى بن عقبه: أنهم أقاموا فى عمل الخندق قريبا من عشرين ليله (4).

و عند الواقدى: أربعا و عشرين (5).

و جزم النووى فى الروضه: أنهم حفروه فى خمسه عشر يوما (6).

و صرح القمى: بأنه (صلى اللّه عليه و آله) قد فرغ من حفر الخندق قبلق.

1- المغازى للواقدى ج 2 ص 454 و سيره مغلطاى ص 56 و الوفا ص 693 و تاريخ الخميس ج 1 ص 482 و حبيب السير ج 1 ص 360 و السيره النبويه لدحلان ج 2 ص 4 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 224 و نهايه الأرب ج 17 ص 170 و عيون الأثر ج 2 ص 57 و وفاء الوفاء ج 4 ص 1204 و 1208 و 1209 و 1205.
2- السيره الحلبيه ج 2 ص 314 و عيون الأثر ج 2 ص 57 و وفاء الوفاء ج 4 ص 1209.
3- المصدر السابق و وفاء الوفاء ج 4 ص 1209 عن الهدى لابن القيم و كذا فى المواهب اللدنيه ج 1 ص 111 و فتح البارى ج 7 ص 302.
4- المواهب اللدنيه ج 1 ص 112 و تاريخ الخميس ج 1 ص 482 و عنه و السيره النبويه لدحلان ج 2 ص 4 و راجع: السيره الحلبيه ج 2 ص 314 و وفاء الوفاء ج 4 ص 1208 راجع فتح البارى ج 7 ص 32.
5- المصادر السابقه و عيون الأثر ج 2 ص 57 و وفاء الوفاء ج 1 ص 1208 و 1209.
6- راجع: المصادر السابقه فى الهامش ما قبل السابق.

قدوم قريش و الأحزاب بثلاثه أيام (1).

و نقول:

إن الأرقام التى تقول: إنهم أقاموا يعملون فى الخندق عشرين يوما أو شهرا أو نحو ذلک، يبدو أنها بعيده عن الصواب، لأن المفروض أن ركب خزاعه قد خرج إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بعد أن فصلت قريش من مكه إلى المدينه، و بقى أربعا حتى وصل إليها، و أبلغ الرسول بالأمر ..

و لنفترض: أن مسير قريش إلى المدينه قد استغرق أربع أضعاف الأربعه أيام المذكوره، فتكون قد وصلت إلى المدينه خلال سته عشر يوما فمع حذف الأربعه أيام الأولى لمسيره ركب خزاعه فإنه يبقى اثنا عشر يوما تم حفر الخندق فيها، فكيف يقال: إن العمل فى الخندق قد استمر عشرين أو أربعا و عشرين أو ثلاثين يوما؟!

هذا .. و لكن يمكننا أن نخفى دهشتنا و إعجابنا بهذا الإنجاز الضخم و السريع جدا، مع ملاحظه ضعف الوسائل و الإمكانات المتوفره للعاملين فى حفر الخندق آنئذ، بالإضافه إلى وجود المثبطين عن العمل، كما سنرى.

فحيا اللّه هذه الهمم، و بورک لهم جهادهم المبارک و الرائد تحت قياده و فى طاعه رسول الإسلام الأعظم و الأكرم (صلى اللّه عليه و آله).

زمام المبادره بيد من؟!

و قد اتضح من خلال النصوص المتوفره لدينا: أن العدو و إن كان قد فرض1.

1- تفسير القمى ج 2 ص 179 و البحار ج 20 ص 221.

على النبى و على المسلمين معركه غير متكافئه من حيث العدد و العده، و اختار هو التوقيت لحشد جيوشه و تحزيب أحزابه.

و لكنه بمجرد وصوله إلى المدينه: فقد زمام المبادره ليصبح فى يد النبى و المسلمين بصوره نهائيه. فأصبح (صلى اللّه عليه و آله) يتحكم بمسار الحرب، و هو يفرض على عدوه الموقع الذى يريد، فى هذا المكان أو فى ذاک، و لا يملک عدوه أيه وسيله للتغيير فى المواقع و المواضع فلا يمكنه أن يجر المسلمين إلى هذا الموقع أو إلى ذلک الموقع.

كما أنه (صلى اللّه عليه و آله) أصبح يتحكم بالزمام و التوقيت للحرب، و لا يستطيع عدوه أن يهاجمه فى وقت لا يرغب هو بدخول الحرب فيه.

ثم إنه (صلى اللّه عليه و آله) قد أصبح قادرا على اختيار الوسيله الحربيه التى تلائمه، و تنسجم مع ظروفه و قد أسقط العتاد و العده الحربيه للعدو من الخيول و غيرها من الفاعليه المؤثره و أصبحت عبئا على العدو، لا بد أن يهيئ العدو لها ظروف بقائها و صيانتها من التلف فى مصابرته على الحصار الطويل، الذى كان يستنزف طاقته و صبره، حتى انتهى الأمر به إلى هزيمه مخزيه، كما سيتضح.

و هذه هى ثمره التخطيط الواعى و المسؤول، و ثمره الإدراک الواعى للواقع و للظروف المحيطه، التى كان لا بد من التعامل معها و التغلب على سلبياتها، و الاستفاده من إيجابياتها على النحو الأكمل و الأفضل و الأمثل.

ص: 215

الفصل الثالث: حفر الخندق: أحداث و دلالات

اشاره

شدائد و متاعب:

إن من الواضح: أن حفر خندق بهذا الحجم حول مدينه كبيره، ليس بالأمر السهل، و لا سيما بالنسبه لأناس لم يقوموا بعمل ضخم طيله حياتهم، خصوصا مع بدائيه الوسائل و محدوديتها، حتى اضطروا لاستعاره بعضها من يهود قريظه، كما سنرى. هذا بالإضافه إلى انقطاع المسلمين عن العمل فى سبيل لقمه العيش، فانقطعت موارد أرزاقهم فكان من الطبيعى أن يعانى المسلمون من هذا الأمر من متاعب كبيره، و شدائد لا تطاق، و ذلک من ناحيتين:

إحداهما: فى نفس هذا العمل الشاق و الكبير، و ما يحتاج لإنجازه فى فرصه محدوده و قصيره جدا، من جهد مضن لم يعتد هؤلاء الناس على أقل القليل منه، و لا واجهوا نظيره، و لو مره واحده طيله حياتهم.

الثانيه: فى الضائقه الماليه التى كانوا يعانون منها، التى تتجلى فيما يصفه لنا المؤرخون من حاله الضعف و الجهد، و الخصاصه و الجوع فى تلک الظروف بالذات ..

و قد يحاول البعض أن يقول: إن هذه الضائقه لم تنل جميع الناس آنئذ، لأن الناس- كما يروى الواقدى و المقريزى- قد كان كثير منهم فى وفره

معقوله فی تلک الفتره، لأن مجی ء الأحزاب کان بعد انتهاء موسم الحصاد، و قد أدخل الناس غلاتهم و أتبانهم، و لا یزال معظمها موجودا لدی أصحابها.

أضف إلی ذلک: أن بعض الروایات الآتیه التی تحکی لنا قصه جابر تقول: إن الذین احتاجوا للإصابه من طعام جابر کانوا ثلاث مائه، أی حوالی ثلث المشارکین فی حفر الخندق؛ فالباقون لم یکونوا بحاجه ماسه إلی طعام، أو لعل أکثرهم کان کذلک.

و نقول:

إن هذه المحاوله غیر کافیه لإثبات ذلک، إذ قد صرح المؤرخون: أن العام کان عام جدب، و لم یکن ثمه غلات فی مستوی یؤثر فی تغییر ظاهره الفقر و الخصاصه و الجوع، التی کانت مهیمنه علی عامه الناس آنئذ. و لو کان ثمه غلات بهذا الحجم لبادر أصحابها إلی تقدیمها طوعا إلی هؤلاء الناس. بل کان النبی (صلی اللّه علیه و آله) یأمرهم ببذلها لإخوانهم، و لا سیما فی ظروف الحرب هذه.

و لکنا قد رأیناهم: یتسابقون إلی دفع أذی الجوع عن شخص النبی الأکرم (صلی اللّه علیه و آله)، و یتسابقون إلی نیل برکاته و الفوز برضاه.

إلا أن ذلک: لا یمنع من أن یکون لدی المنافقین قسط من تلک الأموال، کانوا یضنون بها و یبخلون عن بذلها و من یبخل فإنما یبخل عن نفسه.

حفر الخندق فی روایات المؤرخین:

و نحن نذکر هنا: طائفه من النصوص التاریخیه المرتبطه بحفر الخندق،

متوخين فيها- قدر الإمكان- تبويبها و تقسيمها، حسبما يتهيأ لنا، ثم نعقب ذلک ببعض ما يرتبط بما أجمل منها أو أشکل، و من اللّه نستمد القوه و الحول فنقول:

المساحی و المکاتل:

و يقولون: إنه (صلی اللّه عليه و آله) قد استعار من بنی قريظه آله کثيره، من مساح و فؤوس و مکاتل، يحفرون بها الخندق، و هم يومئذ سلم للنبی (صلی اللّه عليه و آله) و يکرهون قدوم قريش (1). الصحيح من السيره النبی الأعظم، مرتضی العاملی ج 10 219 المساحی و المکاتل: ..... ص : 219 لا ندری مدی صحه هذا القول، بعد أن کان رسول اللّه- حسبما تقدم، حين الکلام حول إيمان أبی طالب- يدعو اللّه أن لا يجعل لکافر و لا لمشرک عنده يدا أو نعمه إلا أن يکون (صلی اللّه عليه و آله) قد قرر عليهم المعونه بهذا المقدار، إن دهمهم عدو، حسبما تقدم فی معاهدته (صلی اللّه عليه و آله) مع يهود المدينه. فلا تبقی لهم بذلک منه علی أحد، بل للّه المنه عليهم، و إنما يعملون بما أخذ عليهم العمل به.

تقسيم العمل فی الخندق:

قال الواقدی: (و کل بکل جانب من الخندق قوما يحفرونه فکان المهاجرون يحفرون من جانب راتج إلی ذباب، و کانت الأنصار تحفر من7.

1- راجع: المغازی للواقدی ج 2 ص 445 و تاريخ الخميس ج 1 ص 481 و السيره الحلبيه ج 2 ص 311 و سبل الهدی و الرشاد ج 4 ص 515 و الإمتاع ج 1 ص 220 و راجع وفاء الوفاء ج 4 ص 1207.

ذباب إلى جبل بنى عبيد).

و فى نص آخر: إلى خربى (1).

و فى نص آخر: و خندقت بنو عبد الأشهل عليها بما يلى راتج إلى خلفها، حتى جاء الخندق من وراء المسجد، و خندقت بنو دينار من عند خربى إلى موضع دار ابن أبى الجنوب اليوم (2).

و من جهه أخرى: فإنه (صلى اللّه عليه و آله) قطع الخندق أربعين ذراعا بين كل عشره (3).

و قال القمى: (جعل على كل عشرين خطوه، و ثلاثين خطوه قوم من المهاجرين و الأنصار يحفرونه) (4).

و فى نص آخر يقول: (و جعل لكل قبيله حدا يحفرون إليه) (5).0.

1- المغازى للواقدى ج 2 ص 446 و 450 و راجع: إمتاع الأسماع ج 1 ص 220 و حدائق الأنوار ج 2 ص 585 و راجع: السيره الحلبيه ج 2 ص 313 و وفاء الوفاء ج 4 ص 1205.
2- راجع: المغازى للواقدى ج 2 ص 450 و 451 و وفاء الوفاء ج 4 ص 1205.
3- راجع: تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 235 و البحار ج 20 ص 189 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 215 و مجمع البيان ج 2 ص 427 و 341 و بهجه المحافل ج 1 ص 263 و شرحه مطبوع بهامشه، و قال: رواه الطبرى و الطبرانى، و الحاكم، و تاريخ الخميس ج 1 ص 481 و الكامل فى التاريخ ج 2 ص 179 و الخرائج و الجرائح ج 1 ص 152 و دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 418 و فتح البارى ج 7 ص 305 و وفاء الوفاء ج 4 ص 1205 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 192.
4- تفسير القمى ج 2 ص 177 و عنه فى بحار الأنوار ج 20 ص 218.
5- تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 50.

لکن القطب الراوندی یقول: (قسمه بین المهاجرین و الأنصار بالذراع فجعل لکل عشره منهم عشره أذرع) (1).

النبی صلی اللّه علیه و آله یشارک فی حفر الخندق:

و قد شارک النبی (صلی اللّه علیه و آله) المسلمین فی حفر الخندق کما صرحت به النصوص التاریخه، و ذلک رغبه فی الأجر و لینشط المسلمین (2).

و قد أجهد المسلمون أنفسهم، و النبی (صلی اللّه علیه و آله) یکابد معهم (3) النصب و الجوع و قد استمرت هذه المشارکه حتی فرغ من حفر الخندق (4).

و کان (صلی اللّه علیه و آله) یضرب مره بالمعول، و مره یغرف بالمسحاه التراب، و مره یحمل التراب بالمکتل، قال أبو واقد: و لقد رأیته یوما بلغ منه، فجلس، ثم اتکأ علی حجر علی شقه الأیسر، فذهب به النوم، فرأیت أبا بکر0.

1- الخرائج و الجرائح ج 1 ص 152 و البحار ج 18 ص 32 عنه.
2- راجع ما یلی: المغازی للواقدی ج 2 ص 445 و تهذیب سیره ابن هشام ص 189 و السیره النبویه لابن هشام ج 3 ص 226. و راجع: البدایه و النهایه ج 4 ص 95 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 220 و تاریخ الأمم و الملوک ج 2 ص 234 و نهایه الأرب ج 17 ص 168 و عیون الأثر ج 2 ص 55 و 57 و دلائل النبوه للبیهقی ج 3 ص 399 و 409 و السیره النبویه لابن کثیر ج 3 ص 183 و وفاء الوفاء ج 4 ص 1407 و الإکتفاء ج 2 ص 159 و فتح الباری ج 7 ص 301.
3- بهجه المحافل ج 1 ص 263 و حدائق الأنوار ج 2 ص 585.
4- تاریخ الیعقوبی ج 2 ص 50.

و عمر واقفين على رأسه ينحيان الناس أن يمروا به فينبهوه، و أنا قريب منه، ففزع، و وثب فقال: إلا أفزعتمونى؟!

فأخذ الكرزن (الفأس) يضرب به، و إنه ليقول:

اللهم إن العيش عيش الآخرهفاغفر للأنصار و المهاجره

اللهم العن عضلا و القاره فهم كلفونى أنقل الحجاره (1) و كان (صلى اللّه عليه و آله) يحمل التراب على ظهره، أو على عاتقه (2) حتى إن التراب على ظهره و عكنه (3) و ربما كان يحفر معهم حتى يعيا، ثم يجلس حتى يستريح.

و جعل أصحابه يقولون: يا رسول اللّه، نحن نكفيک.

فيقول: أريد مشاركتكم فى الأجر (4).

و عن أم سلمه بسند صحيح- عند أحمد-: (كان النبى (صلى اللّه عليه و آله) يعاطيهم اللّبن يوم الخندق، و قد اغبر شعر صدره) (5).ح.

1- المغازى للواقدى ج 2 ص 453 و السيره الحلبيه ج 2 ص 312 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 225 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 518 و راجع المواهب اللدنيه ج 1 ص 111.
2- راجع: حدائق الأنوار ج 2 ص 585 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 221 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 516.
3- راجع: سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 515 و فى المغازى للواقدى ج 2 ص 449 عن أنس: على صدره و بين عكنه. (العكن: ما انطوى و تثنى من لحم البطن).
4- وفاء الوفاء ج 4 ص 1207 عن تفسير الثعلبى.
5- فتح البارى ج 7 ص 308 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 516 و عن أبى يعلى و أحمد برجال الصحيح.

و فى نص آخر ذكره البخارى و غيره: (رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عنى التراب جلده بطنه- و كان كثير الشعر- فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحه:

و اللّه لو لا اللّه ما اهتديناو لا تصدقنا و لا صلينا

فانزلن سكينه عليناو ثبت الأقدام إن لاقينا

إن الألى قد بغوا عليناإذا أرادوا فتنه أبينا ثم يمد بها صوته: أبينا، أبينا (1).

و قد سجل العسقلانى تحفظا هنا، فهو يقول: (ظاهر هذا أنه كان كثير شعر الصدر، و ليس كذلك فإن فى صفته (صلى اللّه عليه و آله) أنه كان دقيق المسربه، أى الشعر الذى فى الصدر إلى البطن. فيمكن أن يجمع أنه كان مع دقته كثيرا) (2).8.

1- راجع المصادر التاليه فى: السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 85 و البدايه و النهايه ج 4 ص 96 عن الصحيحين، و صحيح البخارى ج 3 ص 21 باب غزوه الخندق. و صحيح مسلم- الجهاد و السير، باب غزوه الأحزاب. و فتح البارى ج 6 ص 46 و ج 7 ص 308 و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص 245 و بهجه المحافل ج 1 ص 263 و المواهب اللدنيه ج 1 ص 111 و تاريخ الخميس ج 1 ص 481 و السيره النبويه لدحلان ج 2 ص 3 و السيره الحلبيه ج 2 ص 312 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 222 و 223 و تفسير القرآن العظيم ج 3 ص 579 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 517 و راجع: حدائق الأنوار ج 2 ص 585 و 586 و مجمع البيان ج 8 ص 341 و بحار الأنوار ج 20 ص 199 و نهايه الأرب ج 17 ص 169 و المغازى للواقدى ج 2 ص 449 و دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 413 و 414 و كنز العمال ج 10 ص 281 و الغدير ج 7 ص 206 عن ابن كثير و عن طبقات ابن سعد.

2- فتح البارى ج 7 ص 308.

و لكنه جمع غير ظاهر الوجه، بعد أن كان التعبير الوارد فى الروايه يأباه. و لكن المهم عند هؤلاء هو تصحيح روايه البخارى بأى ثمن.

و قد صرح القمى: بأن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) كان هو البادئ في حفر الخندق، فهو يقول: و أخذ معولا فحفر فى موضع المهاجرين بنفسه و أمير المؤمنين (عليه السلام) ينقل التراب من الحفره، حتى عرق رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و عيى، و قال:

لا عيش إلا عيش الآخرهاللهم اغفر للأنصار و المهاجره فلما نظر الناس إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يحفر اجتهدوا فى الحفر، و نقلوا التراب، فلما كان فى اليوم الثانى بكروا إلى الحفر، و قعد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى مسجد الفتح، فبينا المهاجرون و الأنصار يحفرون إذ عرض لهم الخ ..) (1).

على عليه السلام و شيعته أعظم الناس عناء:

قال القاضى النعمان: (و كان على صلوات اللّه عليه و شيعته أكثر الناس عناء، و فيه عملا. و كان فى ذلک من الأخبار ما يطول ذكره) (2).

و ثمه تفاصيل أخرى:

قد عرفنا فيما سبق: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كان هو البادئ فى حفر الخندق، و كان (صلى اللّه عليه و آله) يحفر، و على (عليه السلام) ينقل2.

1- تفسير القمى ج 2 ص 177 و 178 و بحار الأنوار ج 20 ص 218 عنه.
2- شرح الأخبار ج 1 ص 292.

التراب من الحفره، و قد استمرت مشاركه النبی (صلی اللّه علیه و آله) لهم فی العمل حتی انتهوا من الخندق.

و أنه (صلی اللّه علیه و آله) کان یضرب مره بالمعول، و مره یغرف التراب بالمسحاه، و مره یحمل التراب بالمکتل علی ظهره، أو علی عاتقه.

و کان (صلی اللّه علیه و آله) یعاطیهم اللّبن، الأمر الذی یدل علی أنه کان ثمه بناء فی الخندق.

أضف إلی ذلک أنهم یقولون:

إنهم کانوا یحملون المکاتل علی رؤوسهم، و إذا رجعوا بها جعلوا فیها الحجاره، یأتون بها من جبل سلع، یسطرونها مما یلیهم کأنها حبال التمر و کانت الحجاره من أعظم سلاحهم، یرمونهم بها.

و القوم یرتجزون، و رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یقول:

هذی الجمال لا جمال خیبرهذا أبر ربنا و أطهر (1) و ما کان فی المسلمین یومئذ أحد إلا یحفر فی الخندق، أو ینقل التراب و کان أبو بکر و عمر لا یتفرقان فی عمل، و لا مسیر و لا منزل، ینقلان التراب فی ثیابهما من العجله، لم یکن مکاتل لعجله المسلمین (2).

و قال جابر: و عمل الناس یومئذ کلهم، و النبی (صلی اللّه علیه و آله)،6.

1- المغازی للواقدی ج 2 ص 446 و راجع: الإمتاع ج 1 ص 220 و السیره الحلبیه ج 2 ص 312.
2- المغازی للواقدی ج 2 ص 449 و 448 و السیره الحلبیه ج 2 ص 313 و الإمتاع ج 1 ص 222، و سبل الهدی و الرشاد ج 4 ص 516.

و جعلت الأنصار ترتجز و تقول:

نحن الذين بايعوا محمداعلى الجهاد ما بقينا أبدا فقال النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و فى لفظ آخر: فيجيبهم:

اللهم لا خير إلا خير الآخرهفاغفر للأنصار و المهاجره (1) و كان من فرغ من المسلمين من حصته عاد إلى غيره فأعانه، حتى كمل الخندق (2).

و عن أنس قال: خرج رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إلى الخندق، فإذا المهاجرون و الأنصار يحفرون فى غداه بارده، و لم يكن لهم عبيد يعملون ذلک لهم، فلما رأى ما بهم من النصب و الجوع.

و فى نص آخر: فلما رآهم يحملون التراب على متونهم، و ما بهم من نصب و جوع، قال:

اللهم إن العيش عيش الآخرهفاغفر للأنصار و المهاجره فقالوا مجيبين له:6.

1- المغازى للوادى ج 2 ص 452 و 453 و راجع كنز العمال ج 10 ص 290 و السيره النبويه لدحلان ج 2 ص 3 و حدائق الأنوار ج 2 ص 585 و 586 و صحيح البخارى (المغازى) باب غزوه خيبر و صحيح مسلم، الجهاد و السير-باب غزوه الأحزاب و دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 410 و 411 و 412 و راجع: فتح البارى ج 7 ص 392 و عن مسلم باب غزوه الأحزاب و عن البخارى و غير ذلک.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 516.

نحن الذين بايعوا محمداعلى الجهاد ما بقينا أبدا (1) و بعد ما تقدم نقول:

عمل المنافقين فى الخندق:

اشاره

قالوا: و أبطأ عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و عن المسلمين فى عملهم ذاک رجال من المنافقين، و جعلوا يورون بالضعيف من العمل.

و حسب نص آخر: تخلف طائفه من المنافقين، يعتذرون بالضعف.

و تسلل عنه (صلى اللّه عليه و آله) جماعه من المنافقين إلى أهليهم بغير علم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فأنزل اللّه تعالى فى ذلک:

.. قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِواذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَهٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ.

ثم كان الرجل من المسلمين إذا نابته نائبه لا بد منها يستأذن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فيقضى حاجته، ثم يعود، فأنزل اللّه تعالى:

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِذا كانُوا مَعَهُ عَلى أَمْرٍ جامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَکَ أُولئِکَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ ..2.

1- السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 184 و البدايه و النهايه ج 4 ص 95 و 96 و بهجه المحافل ج 1 ص 263 و المواهب اللدنيه ج 1 ص 111 و تاريخ الخميس ج 1 ص 482 و السيره النبويه لدحلان ج 2 ص 3 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 516 و 517 و صحيح البخارى ج 3 ص 20 و دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 410 و 411 و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص 245 و عن فتح البارى ج 7 ص 392.

. و اللواذ: الإستتار بالشى ء عند الهرب (1).

و هناک الذين کانوا يتسللون زاعمين أن بيوتهم عوره- أی مکشوفه للغزاه، و معرّضه للإحتلال (2)- و ليس الأمر کذلک.

و لنا مع ما تقدم وقفات، نشير إليها فيما يلی من مطالب:

1- توزيع المهام علی العاملين:

و من الواضح: أن تحديد المسؤوليات، و تقسيم المهام علی العاملين من شأنه أن يرفع من درجه الإحساس بالمسؤوليه، الأمر الذی يفرض علی العاملين قدرا أکبر من الدقه و التحری، الذی ينعکس علی العمل إتقانا و تناسقا و جمالا.

هذا عدا عن أنه يذکی روح التنافس البنّاء و الهادف، الذی يؤدی إلی6.

1- راجع ما تقدم کلا أو بعضا، فی المصادر التاليه: السيره النبويه لابن هشام ج 3 ص 226 و 227 و الإکتفاء للکلاعی ج 2 ص 159 و 160 و الکامل فی تاريخ ج 2 ص 179 و 178 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 234 و السيره الحلبيه ج 2 ص 313 و 312 و نهايه الأرب ج 17 ص 168 و عيون الأثر ج 2 ص 55 و 56. و راجع: البدايه و النهايه ج 4 ص 95 و السيره النبويه لابن کثير ج 3 ص 183 و المواهب اللدنيه ج 1 ص 110 و راجع ص 112 و 113 و السيره النبويه لدحلان ج 2 ص 3 و الدر المنثور ج 5 ص 60 عن ابن إسحاق، و ابن المنذر، و البيهقی فی الدلائل و سبل الهدی و الرشاد ج 4 ص 522 و 523 و تهذيب سيره ابن هشام ج 3 ص 189 و دلائل النبوه للبيهقی ج 3 ص 409.
2- سيره المصطفی ص 496.

نشوء نوع من الرقابه العفويه، التى تنتهى إلى الانضباط، و إلى الإسراع فى الإنجاز.

و من جهه ثانيه: فإنه يقطع الطريق على أولئک الكسالى و الإتكاليين، ممن يضعف لديهم الشعور بالمسؤوليه، و يريدون أن يفيدوا و يستفيدوا من جهد الآخرين، دون أن يقدموا هم أنفسهم أى جهد، أو أن يبذلوا أى عناء. و منعهم من ثم من التواكل المؤدى إلى الفشل، و إلى التضييع و البلبله و الاختلاف.

و قد روى عن على عليه الصلاه و السلام: أنه كتب فى وصيته للإمام الحسن، صلوات اللّه و سلامه عليه: (و اجعل لكل إنسان من خدمک عملا تأخذه به، فإنه أحرى أن لا يتواكلوا فى خدمتک) (1).

كما أن عدم تحديد المسؤوليات يؤدى إلى تخلخل فى البنيه الداخليه، نتيجه للإحساس بالغبن لدى من تفرض عليه ظروف عمله أن يكون هو الذى يتحمل عب ء إنجاز ما فرّط الآخرون فى إنجازه. و عسى و لعل أن يتجه الفرقاء إلى إثاره الأسئله و الشكوک، ثم إلى التراشق بآلتهم لتبرير حاله الضعف القائمه بسبب ذلک.

و علينا بعد ذلک كله: أن نتوقع ظهور عوارض الخلل و الضعف فى أيه خطه ترسم و تعتمد، و تفقد الكثير من حيويتها و فاعليتها فى مجال التطبيق و التنفيذ.

كما أن توزيع الحصص على العاملين بهذه الطريقه يضمن تحقق المساواه3.

1- نهج البلاغه بشرح عبده، آخر وصيه الإمام الحسن رقم (31) ج 3 ص 63.

و العدل فی تحمل مشاق العمل، فلا یعمل هذا أکثر من ذاک. و إذا استطاع التفوق علی أقرانه فی العمل، فإن ذلک یظهر للآخرین و یتجلی امتیازه علی سائرهم، کما سنقرؤه بالنسبه لسلمان الفارسی، الذی ظهرت قوته فی العمل، فتنافس فیه المهاجرون و الأنصار.

أما المتواکل المتخاذل: فلا مجال للتستر علیه، إذا کان یرید أن یتوانی فی عمله و یتواکل فیه. و قد فضح القرآن الکریم المنافقین، الذین اتبعوا هذا السبیل کما تقدم.

هذا کله: بالإضافه إلی أن قسمه العمل علی النحو المتقدم من شأنها أن تؤثر فی زرع روح التفاؤل بإمکانیه إنجاز هذا العمل الضخم و تقلل من رهبته فی صدور العاملین، حینما تنحسر النظره إلی ذلک العمل الهائل لتصبح فی مدی أذرع یسیره یتعاون علی إنجاز العمل فیها عشره من المؤمنین.

2- النبی صلی اللّه علیه و آله و الشعر:

قد تقدم: بعض ما یدل علی أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) کان یتمثل ببعض الشعر، أو ینشد مع الصحابه ما ینشدون، و نزید هنا:

قال دحلان و غیره: عن سهل بن سعد: کنا مع النبی فی الخندق ننقل التراب علی أکتافنا، فقال (صلی اللّه علیه و آله):

اللهم لا عیش إلا عیش الآخرهفأکرم الأنصار و المهاجره و هو من کلام ابن رواحه، و أصله:

لا هم إن العیش عیش الآخره......

فنطق به النبی (صلی اللّه علیه و آله):

اللهم لا عيش الخ ....

لأنه يعسر عليه النطق بالشعر، و إن كان من قول غيره (1).

و عن أبى عثمان النهدى، أو سلمان: أنه (صلى اللّه عليه و آله) حين ضرب فى الخندق قال:

باسم الإله و به بديناو لو عبدنا غيره شقينا

يا حبذا ربا و حب دينا (2)......

قال دحلان: (و هو من كلام بعض أصحابه يتمثل به. أو من كلامه بناء على أن الرجز ليس بشعر. أو أن الشعر شرطه أن يكون مقصودا كونه شعرا موزونا. أما إذا خرج موزونا بلا قصد، فلا يسمى شعرا) (3).

و نقول:

إن بعض الناس حسبما تقدم، و كما هو مذكور فى كتب التفسير، فى3.

1- السيره النبويه لدحلان ج 2 ص 3 عن البخارى و السيره الحلبيه ج 2 ص 312 و راجع البدايه و النهايه ج 4 ص 96 عن البخارى و مسلم و الحديث فى نهايه الأرب أيضا ج 17 ص 169 و صحيح البخارى ج 3 ص 20 و فيه: فاغفر للمهاجرين و الأنصار.
2- المواهب اللدنيه ج 1 ص 111 و تاريخ الخميس ج 1 ص 481 و السيره النبويه لدحلان ج 2 ص 3 و السيره الحلبيه ج 2 ص 312 و الإمتاع ج 1 ص 221 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 517 و البدايه و النهايه ج 4 ص 96 و 97 و دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 414 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 186 و فتح البارى ج 7 ص 304.
3- السيره النبويه لدحلان ج 2 ص 3.

تفسير قوله تعالى: وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَ ما يَنْبَغِی لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ (1).

يريد أن يدّعى: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) غير قادر على التفوه بكلام موزون، أو أن الرجز ليس بشعر. أو ما إلى ذلک ..

و لكنها دعاوى ليست على درجه من القوه و الاستقامه، فإن المراد بالآيه الكريمه وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَ ما يَنْبَغِی لَهُ ..: أنه (صلى اللّه عليه و آله) ليس بشاعر، بمعنى أنه ليس لديه ملكه الشعر، لا أنه يعسر عليه التكلم بشعر غيره و النطق به.

و لا حاجه بعد هذا إلى دعوى: أن الرجز ليس بشعر، كما لا حاجه إلى اشتراط القصد أو عدمه فى إيراد الشعر الموزون. فإن النظر هو إلى ملكه الشعر الذى يتضمن الانسياق وراء الأوهام و التخيلات، و المبالغات، و التصويرات غير الواقعيه بالإضافه إلى الوزن و الموسيقى، وفقا لما أشار إليه تعالى بقوله: وَ الشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ، أَ لَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِی كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ، وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ (2)

3- دور عضل و القاره:

و قد ذكرت روايه أبى واقد: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قال:

اللهم العن عضلا و القارههم كلفونى أنقل الحجاره ء.

1- الآيه 69 من سوره يس.
2- الآيات 224- 226 من سوره الشعراء.

و ليس هذا الكلام واضح المأخذ و المغزى، إلا أن تكون هاتان القبيلتان:

عضل و القاره، قد قامتا بنشاط واسع فى تجزيب الأحزاب فاق نشاط اليهود و قريش حتى صح أن ينسب (صلى اللّه عليه و آله) إلى هاتين القبيلتين حتى نقل الحجاره للخندق.

و ليس فيما بأيدينا من نصوص ما يدل على ذلک أو يشير إليه من قريب و لا من بعيد.

4- الأمثوله المواساه:

و ما أروع هذا التنويع فى المهمات التى تصدى الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله) لها فى حفر الخندق، حيث لم يقتصر على نوع واحد من العمل فيه، بل شارک (صلى اللّه عليه و آله) كل العاملين فى أعمالهم و أذاق نفسه الشريفه مبلغ جهدهم، فصدق بذلک الخبر، و تجلت المواساه بأبهى صورها، و تجسدت الأمثوله الرائده بأروع و أدق و أصدق معانيها.

5- المتحذلقون الأغبياء:

و من الأمور التى تلفت النظر هنا: أن البعض يحاول أن يفرغ هذه التضحيه الرائعه، و الأمثوله الفريده للنبى الأكرم (صلى اللّه عليه و آله) من معناها و مغزاها، فيدّعى رجما بالغيب: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كان لا يرى الشده فى حمل الحجاره [1]، رغم صراحه روايه أبى واقد المتقدمه: أن أبا واقد رأى النبى (صلى اللّه عليه و آله) و قد بلغ منه، و على حد تعبير نص6.

1- الزهد و الرقائق ص 256.

آخر: (و هو (صلی اللّه علیه و آله) یکابد معهم)

و فی نص ثالث: و ربما کان یحفر حتی یعیا، ثم یجلس حتی یستریح.

و فی نص رابع: (حتی عرق رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و عیی).

و کل ذلک قد تقدم مع مصادره.

6- لا عیش إلا عیش الآخره:

و لا ننسی أن نلفت نظر القارئ هنا: إلی مضمون الشعر الذی کان یترنم به العاملون فی الخندق، و ما یتضمنه من ربط لهم بالآخره و بما یرجو المؤمنون تحقیقه من فوز و فلاح فیها.

کما أنه یحمل فی ثنایاه مقارنه عفویه فیما بین الدنیا و العیش فیها، و تفضیل عیش الآخره علیه. ثم یشارکهم النبی (صلی اللّه علیه و آله) فی تردید هذا الشعر، فتکون مشارکه للوجدان و للإحساس، و یتعمق لدی هذا الإنسان الکادح المجاهد الشعور باللّه سبحانه، و بألطافه و مواهبه، و ما أحوجهم فی هذا الظرف العصیب بالذات إلی إحساس کهذا.

7- الحماسه و المثابره:

و قد کان لمشارکه النبی (صلی اللّه علیه و آله) هذه تأثیر کبیر فی إثاره الحماسه لدی العاملین فی حفر الخندق. و قد أذکیت هذه الحماسه أیضا معرفتهم بتحرک الأعداء باتجاه المدینه، و إحساسهم بالخطر الذی یتهددهم.

8- الأسوه الحسنه:

لقد أجمع المؤرخون: علی أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قد شارک فی

حفر الخندق.

و تتفق هذه النصوص: على أنها كانت مشاركه فعاله و حقيقيه و جديه.

و ما نريد أن نلفت النظر إليه هنا هو:

ألف: إن هذه المشاركه لم تكن شكليه، و مجرد تمثيل، كما عهدناه و ألفناه من رؤساء الجمهوريات و الوزراء و كبار المسؤولين فى عصرنا الحاضر، حيث يضرب أحدهم بالمعول مثلا ضربات أمام الجماهير فى احتفال تكريمى ليظهر على شاشات التلفزيون، و على صفحات الجرائد فى استعراض إعلامى مزيف، يهدف إلى تكريس زعامته و نفوذه، و لا شى ء غير ذلک، ثم يتابع رقابته على العمل و العاملين من موقع الأمر، من قصره المنيف، أو من برجه العاجى الزاهر. فجاءت مشاركه النبى الأكرم (صلى اللّه عليه و آله) فى حفر الخندق بصيغه المعاناه الحقيقيه و الصادقه، التى تمثل الأسوه فى المعاناه الكادحه لا مجرد الرمز و المثال.

و لنسمع النشيد العفوى و الصادق:

لئن قعدنا و النبى يعمل لذاک منا العمل المضلل يقول البعض: (إن التاريخ لم يدون لنا غير حادثه مفرده عن شخصيه كان لها سلطان روحى و زمنى أيضا على أمه من الأمم. و مع ذلک فقد عملت مثل عامل عادى، و جنبا إلى جنب مع أتباعها فى ساعه الحرج الوطنى العظيم) (1).9.

1- المغازى للواقدى ج 2 ص 447 و راجع: الإمتاع ج 1 ص 221 و راجع: دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 399.

ب: إن مشاركته (صلى اللّه عليه و آله) فى حفر الخندق تجسد عمليا المساواه بين جميع فئات المجتمع، و تخرجها عن أن تكون مجرده شعار يراد له أن يبقى فى حدود إثاره المشاعر، فى النشاط الإعلامى الجماهيرى، دون أن يجاوز ذلک ليصبح حياه و حركه، نهجا و سلوکا.

فالمساواه فى نظر الإسلام نهج و سلوک، و خلق إسلامى و إنسانى رفيع و نبيل، تنطق من خلاله و على أساسه مثل و قيم فى جهات حياتيه شتى.

و لأجل ذلک: نجد النبى (صلى اللّه عليه و آله) يشارک أصحابه فى حفر الخندق مشارکه حقيقيه، فهو يتعب کما يتعبون، و يرتجز کما يرتجزون، و يجوع کما يجوعون، و يشارکهم حلو العيش و مره، و يشترک معهم فى تحمل المتاعب و مواجهه المصاعب و يکون أکثرهم عناء، و أعظمهم غناء.

ج: إن هذه المشارکه منه (صلى اللّه عليه و آله) لم تکن عن تواضع يريد من ورائه نيل رضاهم من خلال المواساه التى يتلمسونها فى مشارکته تلک. بل هى منطلقه بالإضافه إلى ذلک من قناعه راسخه بالقيم و المبادئ، و بالمثل الإسلاميه و الإنسانيه، التى تجعل ذلک عباده إلهيه، و عبوديه له سبحانه و تعالى، تلک العباده و العبوديه التى لا تستثنى و لا تجامل و لا تحابى أحدا أيا کان.

د: و من الواضح: أن ارتباط النبى (صلى اللّه عليه و آله) بالناس لم يکن من نوع الروابط التى تقوم بين الزعيم و بين قاعدته الجماهيريه، و لا کانت هى رابطه حاکم و رعيه، و إنما کانت رابطه الأبوه المسؤوله و الواعيه، التى يدفعها إحساسها الأبوى لتريد الخير لمن هم تحت تکفّلها من موقع الوعى و التدبير، لا من موقع العاطفه الهوجاء، و لا من منطلق التفکير المصلحى، الذى يريد أن يستفيد من ذلک لتکريس زعامته، أو کسب امتيازات

سياسيه، أو اجتماعيه أو غيرها.

و لأجل ذلک کانت مواساته (صلی اللّه علیه و آله) لأصحابه فی حالات الجوع، ثم مشارکته لهم فی تلبیته لدعوه جابر لتناول الطعام؛ رغم أن جابرا لم یجد فی بیته إلا ما یکفی بضعه أشخاص. و لکن الرسول الأکرم (صلی اللّه علیه و آله) قد دعا الجمیع و أطعم الجمیع.

منع حسان و کعب بن مالک من الشعر:

و قال المؤرخون أیضا: عن کعب بن مالک قال: جعلنا یوم الخندق نرتجز و نحفر، فعزم رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) علیّ أن لا أقول شیئا!

فقلت: هل عزم علی غیری؟!

قالوا: حسان بن ثابت.

قال: فعرفت أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) إنما نهانا لوجدنا له، و قلته علی غیرنا، فما تکلمت بحرف حتی فرغنا من الخندق.

و قال (صلی اللّه علیه و آله) یومئذ: لا یغضب أحد مما قال صاحبه، لا یرید بذلک سوءا إلا مما قال کعب و حسان فإنهما یجدان ذلک (1).

و عند البیهقی: نهاهما أن یقولا شیئا یحفظان به أحدا (2).

و کان جعیل بن سراقه رجلا صالحا، و کان دمیما قبیحا. و کان یعمل معهم فی الخندق، و کان (صلی اللّه علیه و آله) قد غیر اسمه یومئذ و سماه9.

1- المغازی للواقدی ج 2 ص 447 و راجع: الإمتاع ج 1 ص 221 و راجع: دلائل النبوه للبیهقی ج 3 ص 399.
2- دلائل النبوه للبیهقی ج 3 ص 399.

عمرا، فجعل المسلمون يرتجزون و يقولون:

سماه من بعد جعيل عمراو كان للبائس يوما ظهرا و جعل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لا يقول شيئا، بل يقفى معهم فقط، و يقول: عمرا، ظهرا [(1)].

قال الحلبى: (و سياق أسد الغابه يدل على أن هذا الذى غير رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) اسمه و سماه عمرا غير الجعيل المذكور) [(2)].

و نشير نحن هنا إلى ما يلى:

الكلمه المسؤوله و القرار الحاسم:

إن هذه النصوص التى ذكرناها: قد أظهرت أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد اتخذ قرارا حاسما يمنع حسان بن ثابت و كعب بن مالک من إنشاد أو قول شى ء حين حفر الخندق، و الذى يظهر لنا من ثنايا الكلمات هو: أن حسانا و كعب بن مالک لم يلتزما بالضوابط الأخلاقيه و الإسلاميه فيما قالاه و أنشداه، بل هما قد تجاوزا الحد، و أغضبا الآخرين، و يشير إلى ذلک:0.

1- راجع: سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 16 و المغازى للواقدى ج 2 ص 447 و 448 متنا و هامشا، و راجع: دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 409 و 410 و السيره النبويه لابن هشام ج 3 ص 227 و 228 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 234 و 235 و البدايه و النهايه ج 4 ص 95 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 183 و بهجه المحافل ج 1 ص 264 و السيره الحلبيه ج 2 ص 311 و 312 و الإمتاع ص 222 و أسد الغابه ج 1 ص 290 و قال: أخرجه أبو موسى و الإصابه ج 1 ص 240.
2- السيره الحلبيه ج 2 ص 512 و راجع: أسد الغابه ج 1 ص 290.

1- أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد اختص هذين الرجلين بالمنع، و لم يعزم على أحد غيرهما.

2- كما أن قوله (صلى اللّه عليه و آله) يومئذ: لا يغضب أحد مما قال صاحبه لا يريد بذلک سوءا الخ .. صريح فی أنه قد قيل ثمه ما يوجب الغضب، حتى احتاج الرسول الأكرم (صلى اللّه عليه و آله) للتدخل لتلطيف الأجواء، و سل الخيمه

3- و لعل قصه جعيل بن سراقه هی أحد الشواهد على هذا التعدی على الآخرين، حيث كان من الطبيعی أن ينزعج هذا الرجل، الذی وصف بالقبح و الدمامه من ارتجازهم الشعر فی حقه، و يعد ذلک نوعا من العبث و الاستهانه به، و الاحتقار له.

و من هنا: فإننا نشک كثيرا فی قولهم: إن النبی (صلى اللّه عليه و آله) جعل يقفی معهم، و يقول: عمرا، ظهرا ..

مع أننا نلاحظ على النص المذكور: أنه قد ألمح إلى أن سكوت النبی (صلى اللّه عليه و آله) عن إنشادهم الشعر فی حق جعيل كان ملفتا للنظر، حيث يقول النص: (فجعل رسول اللّه لا يقول شيئا، بل يقفی معهم فقط).

و بعد ما تقدم نقول: إننا نلمح فی النصوص المتقدمه محاوله للتحريف و التصرف فی النص بهدف التعتيم على حقيقه ما جرى؛ حيث حاول أن يصوّر لنا: أن منع حسان و كعب من قول شی ء إنما كان لأجل قدرتهما على قول الشعر، و قلته على غيرهم.

مع أن القضيه: ما كانت تتطلب الكثير من قول الشعر آنئذ، بل يكفی البيت أو البيتان ليرددهما الآخرون مده طويله، وفقا لما حفظه لنا التاريخ فی

هذه المناسبه، بالإضافه إلى أن الكثيرين كانوا يجيدون الشعر مثل كعب و حسان.

و لم يكن ثمه داع لتحاسد القوم فى أمر كهذا فى مناسبه كهذه، و لا كان اللازم هو أن يحسدوا حسانا و كعب بن مالک فى سائر المناسبات، و يمنعهما النبى (صلى اللّه عليه و آله) من هجاء المشركين، و من نظم الشعر فى كثير من المناسبات الأخرى.

و لم نجد فى ما بين أيدينا من نصوص تاريخيه أن حدث ما يشبه هذه القضيه فى أى مناسبات أخرى، لا مع النبى (صلى اللّه عليه و آله) و لا مع غيره.

و ذلک يجعلنا نطمئن إلى حدوث تجاوز منهما للحد أوجب أن يقف النبى الأكرم (صلى اللّه عليه و آله) منهما هذا الموقف الحازم و الحاسم.

فليتأمل فى تاريخ حياه هذين الرجلين، فقد يجد المتتبع فيها الكثير مما لا يحسن و لا يجمل، و قد تقدم فى أواخر الحديث عن غزوه بنى النضير شى ء غريب صدر من حسان، و ربما تأتى الإشاره لأشياء أخرى صدرت منه و من غيره. و اللّه هو المسدد و الهادى.

زيد بن ثابت:

(كان زيد بن ثابت ممن ينقل التراب، فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى حقه: أما إنه نعم الغلام، و غلبته عينه، فنام فى الخندق.

فأخذ عماره بن حزم سلاحه، و هو نائم.

فلما قام فزع على سلاحه، فقال له (صلى اللّه عليه و آله): يا بار، [يا أبا رقاد] قد نمت حتى ذهب سلاحک؟

ثم قال: من له علم بسلاح هذا الغلام؟!

فقال عماره: أنا يا رسول اللّه، هو عندى.

فقال: ردّه عليه و نهى أن يروع المسلم و يؤخذ متاعه لاعبا) (1).

و كان المسلمون قد انكشفوا يريدون يطيفون بالخندق و يحرسونه، و تركوا زيدا نائما و لا يشعرون به.

و نقول:

لا ندرى مدى صحه ما ينسب إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله): أنه قاله فى حق زيد بن ثابت، دون سائر من كانوا ينقلون التراب من شباب و غيرهم، من دون مبرر ظاهر، أو سبب معقول، أو فعل متميز من زيد على من سواه، يستدعى أن يخلع عليه النبى الأوسمه، و يخصه بالتقاريض و المدائح.

غير أننا نعلم: أن زيدا كان ممن تهتم السلطه بأمره، و تعمل على رفعه شأنه، و تخصيصه بكل غال و نفيس ما وجدت إلى ذلک سبيلا، لأنه كان من أعوانها بل من أركانها كما أشرنا إليه فى فصل تعليم زيد اللغه العبرانيه، فلا نعيد.

سلمان منا أهل البيت:

و يقولون: إن المسلمين جعلوا إذا رأوا فى الرجل فتورا ضحكوا منه.

و تنافس الناس يومئذ فى سلمان الفارسى و كان قويا عارفا بحفر الخنادق، فقال المهاجرون: سلمان منا ..

و قالت الأنصار: هو منا و نحن أحق به.8.

1- السيره الحلبيه ج 2 ص 213 و الإمتاع ج 1 ص 222 و الإصابه ترجمه زيد بن ثابت و المغازى للواقدى ج 2 ص 448.

فبلغ رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قولهم، فقال: (سلمان رجل منا أهل البيت) (1).

(و لقد كان يومئذ يعمل عمل عشره رجال، حتى عانه (أى أصابه بالعين) يومئذ قيس بن أبى صعصعه فلبط به (أى صرع و سقط إلى الأرض) فسألوا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فقال: مروه فليتوضأ له، و ليغتسل به، و يكفأ الإناء خلفه ففعل، فكأنما حل من عقال) (2).

و حسب نص آخر أوضح و أصرح: (روى أنه كان يعمل فى الخندق عمل الرجلين.

و فى روايه: كان يحفر كل يوم خمسه أذرع من الخندق، و عمقها أيضا خمسه أذرع، فعانه قيس بن صعصعه، فصرع و تعطل من العمل، فأخبر بذلك رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فأمر أن يتوضأ قيس لسلمان، و يجمع5.

1- المغازى للواقدى ج 1 ص 446 و راجع: الكامل فى التاريخ ج 2 ص 179 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 235 و شرح بهجه المحافل ج 1 ص 263 و سيره المصطفى ص 495 عن الطبرى و تاريخ الخميس ج 1 ص 482 السيره النبويه لدحلان ج 2 ص 3 و الإمتاع ج 1 ص 221 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 515 و البدايه و النهايه ج 4 ص 99 و مجمع البيان ج 2 ص 427 و ج 8 ص 341 و البحار ج 20 ص 189 و 198 و دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 400 و 418 و مستدرک الحاکم ج 3 ص 598 و وفاء الوفاء ج 4 ص 1205 و راجع ص 1207 و السيره النبويه لابن کثير ج 3 ص 192.
2- المغازى للواقدى ج 1 ص 447 و الإمتاع ج 1 ص 221 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 515.

وضوءه فى ظرف، و يغتسل سلمان بتلك الغساله و يكفأ الإناء خلف ظهره، ففعل، فنشط فى الحال كما ينشط البعير من العقال) (1).

و قصه التنافس فى سلمان و قول النبى (صلى اللّه عليه و آله): (سلمان منا أهل البيت) مذكوره فى العديد من المصادر، فلتراجع فى مظانها (2).

و نص آخر يقول: إنه حين حفر الخندق كان المسلمون ينشدون سوى سلمان، فرأى النبى (صلى اللّه عليه و آله) ذلک، فدعا اللّه تعالى: أن يطلق لسان سلمان، و لو ببيتين من الشعر، فأنشد سلمان ثلاثه أبيات هى:

ما لى لسان فأقول شعراأسأل ربى قوه و نصرا

على عدوى و عدو الطهرامحمد المختار حاز الفخرا

حتى أنال فى الجنان قصرامع كل حوراء تحاكى البدرا فضج المسلمون، و جعلت كل قبيله، تقول: (سلمان منا).8.

1- تاريخ الخميس ج 1 ص 482 و السيره الحلبيه ج 2 ص 313 و 314 و راجع: الإمتاع ج 1 ص 221 و المغازى للواقدى ج 2 ص 447.
2- الطبقات الكبرى لابن سعد ج 4 قسم 1 ص 59 و البدايه و النهايه ج 4 ص 99 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 192 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 235 و راجع: الكامل فى التاريخ ج 2 ص 179 و البحار ج 2 ص 189 عن مجمع البيان ج 2 ص 427 و السيره النبويه لدحلان ج 2 ص 3 و أسد الغابه ج 2 ص 331 و ذكر أخبار إصبهان ج 1 ص 54 و تهذيب تاريخ دمشق ج 6 ص 200 و نفس الرحمن ص 34 و 35 و مستدرک الحاكم ج 3 ص 598.

فقال النبى (صلى اللّه عليه و آله): (سلمان منا أهل البيت) (1).

و نقول:

إننا نشک فى صحه ذلک کله، و ذلک للأمور التاليه:

أولا: إنه عدا عما فى هذه الأبيات الأخيره من الهنات، لا نجد المبرر المذکور لدعاء النبى (صلى اللّه عليه و آله) لسلمان کافيا فى تبرير ذلک، لأن الذين کانوا ينشدون الشعر، ما کانوا ينشدون من نظمهم، بل کان الناظم واحدا من الناس، و الباقون يرددون المنظوم بطريقه معينه و وقع خاص يتناسب مع الحاله التى يعيشونها، و قد کان باستطاعه سلمان أن يردد ذلک النشيد مع المرددين، من دون حاجه إلى أن ينظم شعرا، کما صورته لنا الروايه.

و ثانيا: إن ما ذکروه فى سبب إطلاق هذه الکلمه النبويه الخالده فى حق سلمان: (سلمان منا أهل البيت) لا يعدو أن يکون أمرا عاديا بل و تافها.

لأن معناه: أن تکون قضيه الاستفاده من قوه سلمان البدنيه موضع تنافس الفرقاء، و قد حسم النبى (صلى اللّه عليه و آله) نزاعهم، بتحويل سلمان إلى القسم الذى کان يعمل هو (صلى اللّه عليه و آله) و أهل بيته فيه فکانت تلک الکلمه إيذانا بذلک.

و هذا معناه: أن تفقد هذه الکلمه قيمتها و أهميتها. و هکذا الحال بالنسبه لحکايه إطلاق لسان سلمان بالشعر، ثم تنافس الفرقاء فيه فجعله3.

1- راجع: المناقب لابن شهر آشوب ج 1 ص 85 و قاموس الرجال ج 4 ص 424 و الدرجات الرفيعه ص 218 و نفس الرحمن ص 43.

(صلی اللّه علیه و آله) جزءا من فئه تحسن التکلم بالعربیه، و تحب أن تکرمه و تشجعه، لأنه نطق بلغتها.

إذن .. فلم یکن هذا الوسام لسلمان قد استحقه لعلمه، أو لدینه أو لمواقفه، أو لغیر ذلک من أمور تدخل فی نطاق صفات و أعمال الخیر و الصلاح فیه.

و بعد هذا: فلا یبقی مبرر لما نلاحظه فی کلمات الأئمه (علیهم السلام) من ترکیز علی هذا الوسام، و تأکید لواقعیته و مصداقیته فیه رضوان اللّه تعالی علیه.

کما لا معنی لاستدلال ابن عربی علی عصمه سلمان بهذه الکلمه المأثوره عن النبی (صلی اللّه علیه و آله) فی حقه، باعتبار أن أهل البیت معصومون مطهرون، بنص آیه التطهیر (1).

الصحیح فی القضیه:

و لعل الصحیح فی القضیه، الذی ینسجم مع وقائع التاریخ و مع ما عهدناه من سیاسات انتهجها الحکام طیله عشرات السنین هو النص التالی:

(إن سلمان الفارسی رضی اللّه عنه دخل مجلس رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) ذات یوم، فعظموه، و قدموه، و صدروه، إجلالا لحقه، و إعظاما لشیبته، و اختصاصه بالمصطفی و آله.

فدخل عمر، فنظر إلیه فقال: من هذا العجمی المتصدر فیما بین العرب؟!إیه

1- راجع: سلمان الفارسی، للعلامه السبیتی ص 40 و نفس الرحمن ص 32 کلاهما عن الفتوحات المکیه

فصعد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) المنبر، فخطب، فقال: إن الناس من عهد آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط لا فضل للعربى على العجمى، و لا للأحمر على الأسود إلا بالتقوى. سلمان بحر لا ينزف، و كنز لا ينفد، سلمان منا أهل البيت) (1).

و هكذا يتضح: أن سلمان المحمدى قد تعرض لمحاوله تحقير و امتهان، من قبل رائد (التمييز العنصرى) بعد وفاه النبى (صلى اللّه عليه و آله) الذى شاع و ذاع عنه أنه لم يحب تزويج سلمان. و كان يكره الفرس و يمقتهم و قد حرمهم من أبسط الحقوق (2) فانتصر النبى (صلى اللّه عليه و آله) لسلمان، و أدان المنطق الجاهلى، و التمييز العرقى و العنصرى، بصوره صريحه، و قويه و قاطعه.

تقتلک الفئه الباغيه:

روى فى صحيح مسلم، عن أبى قتاده: (أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قال لعمار حين جعل يحفر الخندق، فجعل يمسح رأسه و يقول:

بؤس ابن سميه، تقتلک الفئه الباغيه) (3).2.

1- الإختصاص ص 341 و نفس الرحمن فى فضائل سلمان ص 29 و البحار ج 22 ص 348.

2- قد تكلمنا حول سياسات عمر تجاه غير العرب و مع سلمان فى كتابنا: سلمان الفارسى فى مواجهه التحدى فراجع.

3- تاريخ الخميس ج 1 ص 481 عن صحيح مسلم و راجع: السيره الحلبيه ج 2 ص 312.

لكن القمى قد فصل ذلك حيث قال: (قوله: يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا .. (1)، نزلت فى عثكن (عثمان) يوم الخندق. و ذلك أنه مر بعمار بن ياسر، و هو يحفر الخندق، و قد ارتفع الغبار من الحفر، فوضع كمه على أنفه و مر، فقال عمار:

لا يستوى من يبتنى المساجدايظل (فيصلى) فيها راكعا و ساجدا

كمن يمر بالغبار حائدايعرض عنه جاحدا معاندا فالتفت إليه عثكن، فقال: يا ابن السوداء إياى تعنى؟

ثم أتى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فقال له (أى عثمان): لم ندخل معك لتسبّ أعراضنا.

فقال له رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): قد أقلتك إسلامك فاذهب.

فأنزل اللّه: يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا .. الخ ..) (2).

و قد تقدم فى جزء سابق حين الحديث عن بناء مسجد المدينه: أن ذلك قد حصل فى تلك المناسبه فى قضيه حصلت بين عمار و عثمان.

و نقول:

إننا لا نريد أن ندخل فى موضوع تحقيق الحق فى كون ذلك قد حصل فى البناء الأول للمسجد أو الثانى، أو فى حفر الخندق، فإن تحقيق ذلك ليس له كبير أهميه ما دام أن أصل القصه، و كلمه الرسول الأكرم (صلى اللّه عليه و آله) مما لا شك فيه، و لا شبهه تعتريه، و قد أجمع عليه المحدثون3.

1- الآيه 17 من سوره الحجرات.
2- تفسير القمى ج 2 ص 322 و البحار ج 20 ص 243.

و المؤرخون، بل و المسلمون قاطبه و أصبح من المسلمات. غير أننا نذكّر القارئ هنا بأمر هام، و هو:

أن طريقه النبی (صلی اللّه علیه و آله) و الأئمه الأطهار (علیهم السلام) فی التربیه و التعلیم لها مرتکز أساس، و هو الإعتماد علی بلوره المعاییر و المنطلقات الأساسیه فی النهج الفکری و العقیدی للناس بصوره عامه، ثم تفویض أمر اختیار ما یتناسب مع تلک المعاییر، و یتطابق مع هاتیک الضوابط إلی الناس أنفسهم، فنجد الناس مثلا هم الذین یقومون بعملیه التعرف علی الإمام، بما لدیهم من ضوابط و معاییر یمارسون تطبیقها بأنفسهم، و توصلهم إلی الإمام الحق، بصوره قویمه و سلیمه، من دون حاجه إلی التنصیص علیه بالاسم، کما کان الحال حینما أوصی الإمام الصادق (علیه السلام) إلی خمسه أحدهم الإمام الکاظم (علیه السلام)، حیث عرف الشیعه أن الإمام لا یمکن أن یکون ذلک الحاکم الظالم، کما لا یمکن أن یکون هو زوجه الإمام، ثم لا یمکن أن یکون هو الولد الأکبر مع إشراک الأصغر فی الوصیه (1).

و الأمر فی قصه عمار أیضا من هذا القبیل، حیث قدم النبی الأکرم (صلی اللّه علیه و آله) للناس آنئذ ضابطه یعرفون بها فریق البغاه، و یمیزونه عن غیره، دون أن یصرح (صلی اللّه علیه و آله) بالاسم أو بالأسماء، الأمر الذی قد یحمل معه سلبیات کثیره و متنوعه بشکل أو بآخر ..

و من الواضح: أن لهذه التربیه الفکریه و لصیاغه الشخصیه الإسلامیه7.

1- راجع: البحار ج 47.

بهذه الطريقه آثارا إيجابيه كبيره و هامه جدا. و ذلک لما ينتج عنها من حصانه و مناعه لدى الإنسان المسلم فى مقابل محاولات الخداع و التضليل التى ربما يتعرض لها من قبل أهل الدعوات الفاسده و المشبوهه، و يصبح فى مأمن من الوقوع فى شراكهم التى ينصبونها له و لأمثاله ..

كما إنها تجعله قادرا على نقل المفاهيم التى يؤمن بها إلى الآخرين بالطريقه المنطقيه و المقبوله و المعقوله.

ثم هى تمكنه من أن ينأى بنفسه عن أن يكون من الهمج الرعاع الذين ينعقون مع كل ناعق، و يسيرون فى ركاب كل قبيل، دون وعى أو تأمل فى الأمور و فى عواقبها ..

أضف إلى ذلک: أنها تخرج الإنسان المسلم عن دائره التلقين الأعمى، ليصبح قادرا على التفاعل مع الفكره، أو مع أيه قضيه تعرض عليه، و لکن لا من موقع التأثر و الانفعال العاطفى أو اللاشعورى، بل من موقع التأمل و التروى و الوعى و الضبط و الانضباط بكل ما لهذه الكلمات من معنى دقيق، و عميق.

و هذا بحث هام و متشعب، يحتاج إلى توفر تام، من أجل حشد الشواهد و الدلائل الكثيره و المتنوعه للاستفاده منها كطريقه عمل و منهج حياه، و سبيل صلاح و إصلاح، إن شاء اللّه تعالى ..

ص: 252

الفصل الرابع: كرامات فی نطاق السیاسه الإلهیه

اشاره

مما سبق:

قد تحدثنا فی الجزء السابق، فی غزوه ذات الرقاع: عن معرفه الأنبیاء و الأوصیاء بلغات البشر، بل منطق الطیر و سائر الحیوانات.

و تحدثنا أیضا هناک: عن الکرامات التی نقلت عن نبینا الأکرم (صلی اللّه علیه و آله) و عن الأئمه الأطهار و عن الأنبیاء (علیهم السلام) السابقین و غیرهم، مما أشار القرآن إلی بعض منه أیضا.

و قد ذکرنا ثمه توضیحا لا غنی عن المراجعه إلیه، من أجل جعل الأمور فی نصابها فی نطاق فهم هذه الکرامات و المعجزات التی سجل لنا القرآن و التاریخ و الحدیث منها العشرات و المئات فی مختلف الشؤون و المجالات.

فنرجو من القارئ الکریم: أن لا ینسی مراجعه ما کتبناه هناک، و بدون ذلک، فإن فهم هذه القضایا لیس فقط سوف یکون ناقصا، و إنما قد یکون غیر واقعی و لا دقیق.

الکرامات و المعجزات فی الخندق:

لقد کان المسلمون یواجهون یوم الخندق أعظم تحد واجهوه سواء من حیث العدد، أو من حیث العده، بالإضافه إلی حاله الحصار التی یعانون منها.

ثم يتعاظم إحساسهم بالخطر الذى يتهددهم: و هم يجدون أمارات الغدر و الخيانه قد ظهرت، لدى أولئک الذين كان لهم معهم عهود و مواثيق، فلم تعد العهود قادره على إعطاء أدنى شعور بالأمن و السكون إليها. كما أن كل ما عمله النبى و المسلمون من إحسان، و ما اتخذوه من مواقف إنسانيه قد اتضح أنه لم يمنع من تلقوا ذلک الإحسان من أن يحالفوا العدو، و ينقلبوا على ما أحسن إليهم ليقابلوه بالإساءه، فيكتشف المسلمون أنهم مجموعه من الذئاب، و السباع الشرسه، التى تفقد كل المعانى الإنسانيه، و كل الشيم التى يعتز بها الإنسان العربى، و يفتخر بها.

ثم هناک وجود المنافقين فيما بين المسلمين، الذين كانوا ينخرون فى جسم الأمه، و يعملون على تمزيقها، و زرع الشكوک القاتله، و إيجاد الريب المهلک فيها.

فتأتى هذه الكرامات: لتكون صمام الأمان لهذه القلوب الخائفه، و المفجوعه، و ليربط اللّه بها على قلوبهم، و لتزيد فى يقينهم و بصيرتهم، و تشد من عزيمتهم.

قال الشيخ محمد أبى زهره: (إن الآيات الماديه قد تؤثر فى أولئک الماديين الحسيين، و خصوصا إذا كانت فى موطن الفزع، فإنها إذا جاءت من غير سبب يألفونه و يعرفونه، فإنها قد تأخذ عقولهم إلى التفكير السليم، و تخلعها من الوثنيه، إذ يدخل إليها نور الحق شيئا فشيئا، و النور كلما دخل أشرق، و إذا أشرق اتجهوا إلى الحق و طلبوه) (1).4.

1- خاتم النبيين ج 2 ص 944.

و يلاحظ هنا: أن بعض هذه الكرامات قد اقترن بإخبار النبى (صلى اللّه عليه و آله) للمسلمين بأن البلاد سوف تفتح عليهم حتى الإمبراطوريات العظمى التى كانت تحكم العالم آنئذ، و هما إمبرطوريتا الروم و فارس.

و إذا جاء الخبر من الصادق المصدق، الذى يعتقد المسلمون أنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى، فى حاله مواجهه الأخطار الكبرى و المصيريه، فإنه يكون أكثر رسوخا فى النفس، و أعظم أثرا فى إثاره الهمم و شحذ العزائم.

و نحن نشير هنا: إلى طائفه من هذه الكرامات، بقدر ما يفسح لنا به المجال، فنقول:

نبوءه صادقه للنبى صلى اللّه عليه و آله:

يقول المقريزى و غيره: (و ضرب بالكرزن، فصادفت حجرا، فصل الحجر (أى ترددت صوته فى صليل الفأس)، فضحك رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

فقيل: مم تضحك يا رسول اللّه؟!

قال: أضحك من قوم يؤتى بهم من المشرق فى الكبول (الكبل القيد العظيم)، يساقون إلى الجنه و هم كارهون) (1).

و الظاهر: أن هذا إشاره لأهل فارس.

و من الواضح: أن هذه البشاره منه (صلى اللّه عليه و آله) للمسلمين إنمار.

1- إمتاع الأسماع ج 1 ص 223 و المغازى للواقدى ج 2 ص 449 و كنز العمال ج 10 ص 285 عن ابن النجار.

يراد منها أن تعطيهم انطباعا بصوره عفويه و تلقائيه بأن هذه الدعوه مستمره و باقيه، فلا يهولنهم جمع قريش و الأحزاب لهم:

فما ذلک إلا: (سحابه صيف عن قليل تقشع).

كرامه أخرى لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:

عن جابر بن عبد اللّه قال: أصبح الناس كديه يوم الخندق، فضربوا فيها بمعاولهم حتى انكسرت، فدعوا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فدعا بماء فصبه عليها، فعادت كثيبا أهيل.

و فى نص آخر- ذكره البخارى و غيره-: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قام و بطنه معصوبه بحجر و لبثنا ثلاثه أيام لا نذوق ذواقا الخ .. (1).

و يبدو أن هذه قضيه أخرى غير قضيه سلمان الآتيه التى أخبر (صلى8.

1- راجع المصادر التاليه: المغازى للواقدى ج 2 ص 452 و صحيح البخارى ج 3 ص 21 و تاريخ ابن الوردى ج 1 ص 160 و السيره النبويه لابن هشام ج 3 ص 228 و الإكتفاء للكلاعى ج 2 ص 160 و إعلام الورى ص 90 و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص 234 و 246 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 186 و البدايه و النهايه ج 4 ص 97 و 98 عن ابن إسحاق، و أحمد، و البخارى و البيهقى، و إمتاع الأسماع ج 1 ص 224 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 519 و حدائق الأنوار ج 2 ص 591 و مجمع البيان ج 8 ص 341 و البحار ج 20 ص 198، و نهايه الأرب ج 17 ص 170 و دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 415 و 416 و 423 و دلائل النبوه لأبى نعيم ص 358 و المختصر فى أخبار البشر ج 1 ص 134 و عيون الأثر ج 2 ص 57 و المواهب اللدنيه ج 1 ص 111 و جوامع السيره النبويه ص 148.

اللّه علیه و آله) المسلمین فیها عن الفتوح التی یفتحها اللّه علیهم.

قصور الروم و فارس:

و من الأمور التی یذکرها المؤرخون هنا: قضیه الصخره التی واجهت المسلمین و هم یحفرون الخندق و کانت سببا فی أن یخبر النبی المسلمین بأخبار غیبیه تحققت فیما بعد.

و نحن نذکر النص التاریخی للروایه أولا، ثم نشیر إلی بعض ما یرتبط به، فنقول:

کان سلمان، و حذیفه و النعمان بن قرن، و عمرو بن عوف، و سته من الأنصار یعملون فی أربعین ذراعا فخرجت علیهم صخره کسرت المعول، فأعلموا النبی (صلی اللّه علیه و آله) بالأمر.

و فی نص آخر یقول فیه عمرو بن عوف: فحفرنا حتی إذا کنا بجب ذی باب [و الظاهر: أن الصحیح: تحت ذباب] (1) أخرج اللّه من باطن الخندق صخره مروه کسرت حدیدنا، و شقت علینا.

فطلبوا من سلمان أن یخبر النبی (صلی اللّه علیه و آله) بأمرها؛ فإما أن نعدل عنها، فإن المعدل قریب، و إما أن یأمرنا فیها بأمره، فإنا لا نحب أن نتجاوز خطه.

فرقی سلمان إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و هو ضارب علیه قبه2.

1- ذباب: جبل بجبانه المدینه. و هو الجبل الذی علیه مسجد الرایه. واسمه ذوناب أیضا. راجع: تاریخ الخمیس ج 1 ص 482.

ترکیه فأخبره فهبط مع سلمان و بطنه معصوب بحجر، و لبثوا ثلاثه أیام لا یذوقون ذواقا، و التسعه علی شفیر الخندق.

و فی نص آخر عن سلمان، قال: ضربت فی ناحیه من الخندق، فغلظت علیّ و رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قریب منی، فلما رآنی أضرب، و رأی شده المکان علیّ أخذ المعول، و ضربها به ضربه فصدعها، و برق منها برق أضاء منها بین لابتی المدینه، فکبر (صلی اللّه علیه و آله) تکبیره، و کبر المسلمون.

ثم ضربها ثانیه فکذلک، ثم الثالثه فکذلک أیضا، فصدعها.

فأخذ بید سلمان ورقی، فسأله سلمان عن الأمر الذی رآه ورآه المسلمون، و عن تکبیر النبی (صلی اللّه علیه و آله)، فأخبرهم (صلی اللّه علیه و آله): أنه بالبرقه الأولی أضاءت له قصور الحیره و مدائن کسری، و أخبره جبرئیل بأن أمته ظاهره علیها.

و فی الثانیه أضاءت له القصور الحمر من أرض الروم، و أخبره جبرئیل بأن أمته ظاهره علیها.

و فی الثالثه أضاءت له قصور صنعاء، و أخبره جبرئیل: بأن أمته ظاهره علیها فابشروا، فاستبشر المسلمون و قالوا:

الحمد للّه موعد صدق، وعدنا النصر بعد الحصر.

فقال المنافقون، و منهم معتب بن قشیر: ألا تعجبون من محمد؟! یمنیکم و یعدکم الباطل، و یخبرکم بأنه یبصر من یثرب قصور الحیره، و مدائن کسری، و أنها تفتح لکم، و أنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطیعون أن تبرزوا، فنزل القرآن: وَ إِذْ یَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ

مَرَضٌ ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً (1) الخ .. (2).د.

1- الآیه 12 من سوره الأحزاب.
2- للروایه نصوص مختلفه. فراجعها علی اختلافها فی المصادر التالیه: تاریخ الخمیس ج 1 ص 482 و 483 و راجع ص 484 و عیون الأثر ج 2 ص 58 و وفاء الوفاء ج 4 ص 1207 و فتح الباری ج 7 ص 350 و السیره النبویه لدحلان ج 2 ص 3 و 4 و 5 و الأمالی للشیخ الصدوق ص 258 و حبیب السیر ج 1 ص 360 و السیره الحلبیه ج 2 ص 313 و 314 و 318 و بحار الأنوار ج 20 ص 253 و 219 ص 189 و 190 و ج 18 ص 32 و مجمع البیان ج 2 ص 427 و 328 و ج 8 ص 341 و دلائل النبوه للبیهقی ج 3 ص 399 و 400 و راجع ص 417 و 419- 421 و الکامل فی التاریخ ج 2 ص 179 و تاریخ الأمم و الملوک ج 2 ص 235 و 236 و سبل الهدی و الرشاد ج 4 ص 519 و 520، عن أحمد، و الشیخین، و ابن سعد و ابن جریر، و ابن أبی حاتم، و أبی نعیم، و الطبرانی و البیهقی، و تاریخ ابن الوردی ج 1 ص 161 و السیره النبویه لابن هشام ج 3 ص 230 و 228 و حدائق الأنوار ج 1 ص 53 و الخصال ج 1 ص 162 و الإکتفاء للکلاعی ج 2 ص 162 و 160 و إعلام الوری ص 90 و کنز العمال ج 10 ص 281 و الروض الأنف ج 3 ص 277 و صحیح البخاری ج 3 ص 21 و الخصائص الکبری للسیوطی (ط الهند) ج 1 ص 228 و الوفاء ص 693 و تاریخ الإسلام للذهبی (المغازی) ص 246 و 234 و البدایه و النهایه ج 4 ص 99 و 97 و 98 و 100 و 101 و 102 و المختصر فی أخبار البشر ج 1 ص 135 و مستدرک الحاکم ج 3 ص 598 و السیره النبویه لابن کثیر ج 3 ص 191- 195 و المغازی للواقدی ج 2 ص 452 و المواهب اللدنیه ج 1 ص 111- 112 و دلائل النبوه لأبی نعیم ص 432 و عن سنن النسائی ج 2 ص 65 و عن ابن إسحاق و راجع: تاریخ الیعقوبی ج 2 ص 51 و شرح بهجه المحافل ج 1 ص 265 و تفسیر القمی ج 2 ص 178 و الخرایج و الجرایح ج 1 ص 152 و فیه أن المسلمین هم الذین رأوا تلک البلاد.

و قیل: إن قائل ذلک هو عبد اللّه بن أبی بن سلول (1).

و فی نص آخر: أن المنافقین قد قالوا ذلک عند مجی ء الأحزاب (2).

و هذا هو ما نرجحه، لأن سیاق الآیات إنما یناسب حاله الشده التی عانی منها المسلمون بعد مجی ء الأحزاب، و حدوث الحصار کما سنوضحه إن شاء اللّه تعالی.

و یظهر من نص للطبرانی: أن هذه القضیه قد حدثت بعد قصه دعوه جابر للنبی (صلی اللّه علیه و آله) و أهل الخندق للطعام (3) کما سیأتی.

و صرح القمی: بأن هذه القضیه قد کانت فی الیوم الثانی من بدء حفر الخندق (4).

و ذکر نص آخر: أنه (صلی اللّه علیه و آله) (جعل یصف لسلمان أماکن فارس، و یقول سلمان: صدقت یا رسول اللّه، هذه صفتها، أشهد أنک رسول اللّه.

ثم قال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): هذه فتوح یفتحها اللّه بعدی یا سلمان) (5).

و عن أبی عبد اللّه جعفر بن محمد الصادق (علیه السلام): لما حفر0.

1- السیره النبویه لدحلان ج 2 ص 5.
2- السیره النبویه لابن کثیر ج 3 ص 192.
3- راجع: السیره النبویه لابن کثیر ج 3 ص 194 و البدایه و النهایه ج 4 ص 101.
4- تفسیر القمی ج 2 ص 178 و بحار الأنوار ج 20 ص 219 عنه.
5- السیره الحلبیه ج 2 ص 314 و المغازی للواقدی ج 2 ص 450 و سبل الهدی و الرشاد ج 4 ص 520.

رسول اللّه الخندق مروا بكديه، فتناول رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) المعول من يد أمير المؤمنين (عليه السلام)، أو من يد سلمان، فضرب بها ضربه، فتفرق بثلاث فرق.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): لقد فتح اللّه علىّ فى ضربتى هذه كنوز كسرى و قيصر.

فقال أحدهما لصاحبه: يعدنا كنوز كسرى و قيصر، و ما يقدر أحدنا يخرج يتخلى (1).

و المراد بأحدهما و صاحبه: هو أبو بكر و عمر، و لم يذكر اسميهما صراحه تقيه.

و نقول:

لكن هذه الروايه: تخالف ما تقدم عن ابن الوردى و زينى و دحلان، من أن الذى قال ذلك: هو معتب بن قشير، أو عبد اللّه بن أبى.

نص آخر يخالف ما سبق:

و يقولون أيضا: كان عمر بن الخطاب يضرب يومئذ بالمعول فصادف حجرا صلدا، فأخذ (صلى اللّه عليه و آله) منه المعول، و هو عند جبل بنى عبيد فضربه، فذهبت أولها برقه إلى اليمن، ثم ضرب أخرى فذهبت برقه إلى الشام، ثم ضرب ثالثه فذهبت برقه نحو المشرق، و كسر الحجر عند الثالثه.ى.

1- بحار الأنوار ج 20 ص 270 و 271 عن الكافى.

فكان عمر بن الخطاب يقول: و الذى بعثه بالحق، لصار كأنه سهله (رمل ليس بالدقاق).

و كان كلما ضرب ضربه يتبعه سلمان ببصره، فيبصر عند كل ضربه برقه، فسأله عن ذلک، فأخبره (صلى اللّه عليه و آله): أنه رأى فى الأولى قصور الشام، و فى الثانيه قصور اليمن، و فى الثالثه قصر كسرى الأبيض بالمدائن. و جعل يصفه لسلمان؛ فصدقه سلمان، و شهد له بالرساله.

فقال (صلى اللّه عليه و آله): هذه فتوح يفتحها اللّه عليكم بعدى يا سلمان لتفتحن الشام، و يهرب هرقل إلى أقصى مملكته، و تظهرون على الشام فلا ينازعكم أحد و لتفتحن اليمن، و ليفتحن هذا المشرق، و يقتل كسرى بعده.

قال سلمان: فكل هذا قد رأيت (1).

و نقول:

إن هذا النص- كما ترى- يخالف جميع النصوص الأخرى الوارده فى كتب الصحاح، و المسانيد، و فى كتب التاريخ، التى سجلت لنا هذا الحدث الهام.

حيث إنه يذكر: أن عمر بن الخطاب هو الذى صادف الحجر الصلد، الذى ضربه النبى (صلى اللّه عليه و آله)، فبرقت البرقات الثلاث.

مع أن النصوص التى أوردتها سائر المصادر المعتبره بالأسانيد الموثوقه: قد8.

1- المغازى للواقدى ج 2 ص 450 و 449 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 223 و اشار إليه فى سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 519 و 520 عن الواقدى و وفاء الوفاء ج 4 ص 1208.

نصت على أن القضيه بجميع فصولها و خصوصياتها، و جزئياتها قد كانت مع سلمان الفارسى.

بل قد ذكر النص الذى أوردناه أولا: أسماء ثلاثه ليس عمر بن الخطاب أحدهم. ثم صرح بأن السته الباقين جميعهم من الأنصار.

بل إن نفس هذا النص الذى ذكرناه آنفا، و الذى أراد حشر اسم الخليفه الثانى فى هذه القضيه، قد عاد و التزم جانب سلمان، بمجرد أن أخذ النبى (صلى اللّه عليه و آله) المعول ليضرب به ذلک الحجر و لم يعد لعمر فيه أى دور يذكر.

و کل ذلک يعطينا: أن ذكر اسم الخليفه الثانى هنا قد جاء سهوا من الراوى، و لعل ثمه حاجه فى النفس قضيت.

القياده الحازمه، و الإنضباط أساس النجاح:

و بعد، فإن سيطره القياده النبويه الشريفه على الموقف و إشرافه (صلى اللّه عليه و آله) على كل تحرک و تصرف، و استتباب حاله الانضباط التام لدى الفئات التى كانت تعمل معه و تحت قيادته، له تأثير كبير فى حسم الموقف، وفقا لما ترسمه القياده و يحقق أهدافها.

و قد تجلت الهيمنه القياديه للرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله) فى أكثر من مجال فى غزوه الأحزاب.

و قد قرأنا آنفا: أنهم حين ظهرت الكديه و الصخره، قالوا: إنهم ما كانوا يتجاوزون ما خطه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أبدا، رغم أن المعدل قريب.

و تقدم أيضا: أن أحدا لم يكن يترک موضعه و عمله لحاجه يريدها إلا أن يأذن له النبی الأکرم (صلی اللّه علیه و آله). و هذا هو ما طالب به أمير المؤمنين (عليه السلام) بعض أصحابه فی صفين، حين قال له: طاعه إمامک أوجب عليک من مبارزه عدوک، و نجد أمثال هذه الکلمه فی مغزاها و مرماها الکثير فی مختلف المواضع و المواقع.

و هذا الانضباط هو الضمانه للنجاح فی أيه خطه ترسم، إذ إن القبول بالانسياق وراء الاجتهادات المختلفه يفقد القياده الثقه بإمکانيه تحقيق أيه خطه تضعها للمواجهه، ثم هو يفسح المجال لتمرير بعض الخدع التی تفيد الأعداء، و تهيئ لهم الظرف الملائم لتسديد ضرباتهم الموجعه، و الخطيره فی أحيان کثيره.

أضف إلی ذلک: ما يمکن أن ينشأ عن ذلک من منافسات ثم من نزاعات، إلی أن ينتهی الأمر إلی التراشق بالتهم و تصدع الصف الواحد، الذی يفترض أن يکون کالبنيان المرصوص.

و لم ينس المسلمون بعد، ما أصابهم فی حرب أحد حيث تسبب الرماه و الذين ترکوا مراکزهم علی ثغره الجبل بکارثه حقيقيه منی بها المسلمون کما سبق بيانه.

و مهما يکن من أمر: فإن الانضباط فی غزوه الأحزاب، و التقيد بأوامر النبی الأعظم (صلی اللّه علیه و آله) قد هيأ الفرصه لتحقيق النجاح الکبير الذی غير مسار تاريخ المواجهه مع المشرکين، حتی قال النبی (صلی اللّه علیه و آله): الآن نغزوهم و لا يغزوننا کما سيأتی ذلک مع مصادره فی الفصل الأخير من هذا الباب إن شاء اللّه.

نقول هذا رغم أننا نجد المنافقين: يحاولون التملص من تحمل مسؤولياتهم، و يختلقون الذرائع و الحجج المختلفه لذلک، و لکن ذلک کان يتم وفقا لقوانين الانضباط أيضا، فقد کانوا يورون بالضعيف من العمل، و کانوا يستأذنون لحاجات وهميه، و ما إلى ذلک، و لکنه کله کان تحت سمع و بصر القياده و فى نطاق علمها، و سيطرتها على الموقف کما هو معلوم.

مدائن کسرى و قصور الروم و صنعاء:

إننا حين نقرأ هذه القضيه نشعر: أن المسلمين کانوا يواجهون أکبر تجمع لقوى الشرک، و يتهيأون للدفاع عن وجودهم و حياتهم و هم يشعرون بعظيم الخطر الداهم، و تختلف فى نفوسهم عوامل اليأس تاره، و عوامل الرجاء تاره أخرى.

و لعل المنافقين، و من وراءهم اليهود، قد أسهموا بتضعيف عوامل الرجاء بما أشاعوه و أذاعوه مما يؤکد و يقوى حاله التشاؤم إلى درجه اليأس لدى الکثيرين ممن لم ترسخ لهم بعد قدم فى الإيمان و التسليم، و التوکل.

فتأتى قصه رؤيه قصور الحيره و الروم و صنعاء، و مدائن کسرى حينما ضرب النبى (صلى اللّه عليه و آله) تلک الصخره المستعصيه فى الخندق ضربات ثلاثا- تأتى- لتعيد للمسلمين ثقتهم بأنفسهم و بربهم، و تطلعاتهم و نظراتهم القويه و الثاقبه للمستقبل، و يبتعد حينئذ تلقائيا شبح الخوف المذل و الاستسلام الخانع لعوامل اليأس، التى لو تمکنت و ترسخت فيهم لجرتهم إلى مزالق الذل، و لکان ذلک سببا فى ذهاب ريحهم و سقوطهم فى حمأه الهوان، و البوار.

إذ إن الحادثه قد استنبطت: أن ما هم فيه ما هو إلا (سحابه صيف عن قريب تقشع) و أنهم سيخرجون من هذه الضائقه التى يواجهونها مرفوعى الرأس، ليواصلوا مسيرتهم الظافره من نصر إلى نصر، و من فتح إلى فتح، حتى ينتهى بهم الأمر إلى فتح الفتوح، حيث تفتح لهم البلاد، و تدخل العباد فى دينهم أفواجا، و يملكون كنوز كسرى و قيصر، حسبما أخبرهم به الرسول (صلى اللّه عليه و آله) منذ فجر دعوته فى مكه.

و مما يدخل فى هذا السياق: ما روى من أنه (صلى اللّه عليه و آله) قال يوم الخندق لأصحابه: لئن أمسيتم قليلا، لتكثرن، و إن أمسيتم ضعفاء لتشرقن، حتى تصيروا نجوما يهتدى بكم، و بواحد منكم (1).

الأمل بالنصر:

و ذلک كله يوضح لنا: سر اطمئنان المؤمنين بنصر اللّه لما رأوا الأحزاب و قد أحاطوا بالمدينه، و ضيقوا عليها الخناق، فلم ينهزموا أمام كل تلک الحشود، و ما وهنوا لما أصابهم، بل واجهوا ذلک بكل صلابه عزم، و بكل تصميم قاهر، تحدث اللّه عنه سبحانه حينما قال:

وَ لَمَّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزابَ قالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ صَدَقَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ ما زادَهُمْ إِلَّا إِيماناً وَ تَسْلِيماً (2)) (3).

أما المنافقون، فاتخذوا ما أخبر به النبى (صلى اللّه عليه و آله) ذريعه5.

1- الخرائج و الجرائح ج 1 ص 66.
2- الآيه 22 من سوره الأحزاب.
3- فتح البارى ج 7 ص 305.

للمزيد من السخريه، و التندر و الاستهزاء، الذى يعبر عن انهزامهم النفسى و الروحى أمام القوى الغازيه قال تعالى: وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً (1).

كرم و كرامه:

و قضيه وليمه جابر فى الخندق تروى بنصوص مختلفه نلخصها فيما يلى:

قال جابر: رأيت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يحفر، و رأيته خميصا و رأيت بين عكنه الغبار؛ فاستأذن من النبى (صلى اللّه عليه و آله) أن يذهب إلى بيته، فأذن له فعاد إلى امرأته- و اسمها سهيله بنت مسعود الأنصاريه- فاتفق معها على أن يصلحا ما عندهما، و هو مد من شعير، و عناق (شاه) أو شويهه غير سمينه. ثم يدعو النبى (صلى اللّه عليه و آله) للطعام.

فذهب ليدعوه مع رجل أو رجلين؛ فسأله النبى (صلى اللّه عليه و آله) عما عنده فأخبره؛ فقال (صلى اللّه عليه و آله): كثير طيب.

ثم دعا أهل الخندق جميعا، و قال لهم: إن جابرا قد صنع لهم سورا؛ فأقبلوا معه.

قال جابر: فقلت: و اللّه إنها الفضيحه.

فأتيت المرأه فأخبرتها (أى بأنه (صلى اللّه عليه و آله) قد جاءها بالجند أجمعين، أو قد جاءک رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و أصحابه أجمعون).

فقالت: أنت دعوتهم، أو هو دعاهم؟ب.

1- الآيه 12 من سوره الأحزاب.

فقلت: بل هو دعاهم.

قالت: دعهم، هو أعلم.

و فی نص آخر: أنها سألته إن کان رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قد سأله عما عنده.

فأجابها بالإیجاب، فقالت له ذلک.

و ذکرت نصوص أخری: أنه (صلی اللّه علیه و آله) أقبل و أمر أصحابه، فکانوا فرقا عشره عشره، ثم قال اغرفوا و غطوا البرمه، و أخرجوا من التنور الخبز ثم غطوه. ففعلوا، فجعلوا یغرفون، ثم یغطون البرمه، ثم یفتحونها فلا یرون أنها نقصت شیئا، و یخرجون الخبز من التنور، ثم یغطونه فما یرونه ینقص شیئا؛ فأکل الجمیع حتی شبعوا.

و قال (صلی اللّه علیه و آله): کلوا و اهدوا، فإن الناس أصابتهم مجاعه شدیده فأکلنا و أهدینا.

و فی نص آخر: فلم نزل نأکل و نهدی یومنا ذلک أجمع، فلما خرج رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) ذهب ذلک.

و لهذه الروایه: نصوص تختلف من حیث التفصیل و الإختصار، لم نر حاجه إلی إیرادها، و یمکن لمن یرید ذلک أن یراجع المصادر التی فی الهامش.(1)-3

1- راجع النصوص المختلفه لهذه القضیه فی: المغازی للواقدی ج 2 ص 452 و السیره النبویه لابن کثیر ج 3 ص 186- 190 و تفسیر القمی ج 2 ص 178 و 179 و بحار الأنوار ج 20 ص 219 و 220 و 198 و 199 و ج 18 ص 26 ج 7 و ص 32 حدیث 25 و دلائل النبوه للبیهقی ج 3 ص 416 و 415 و 427 و مستدرک الحاکم ج 3-

و قد صرحت بعض المصادر: بأن الذين أكلوا عند جابر كانوا ألف رجل، و هم جميع أهل الخندق.

و قيل: كانوا ثلاث مئه، و قيل: ثمان مئه، و قيل: تسع مئه (1).

و فی بعض النصوص: حتی شبع المسلمون کلهم.2.

1- البدایه و النهایه ج 4 ص 98 و السیره النبویه لابن کثیر ج 3 ص 188 و 189 و 190 عن البخاری و ابن أبی شیبه و سبل الهدی و الرشاد ج 4 ص 521 و 564 و دلائل النبوه لأبی نعیم ص 360 و الشفاء ج 1 ص 291 و دلائل النبوه للبیهقی ج 3 ص 424 و 426 و عن فتح الباری ج 7 ص 395، و راجع: تاریخ ابن الوردی ج 1 ص 161 و السیره النبویه لابن هشام ج 3 ص 229 و الإکتفاء للکلاعی ج 2 ص 161 و إعلام الوری ص 90 و السیره الحلبیه ج 2 ص 233 و تاریخ الإسلام للذهبی (المغازی) ص 234 و 235 و المختصر فی أخبار البشر ج 1 ص 134 و 135 و عیون الأثر ج 2 ص 57 و 58 و السیره النبویه لدحلان ج 2 ص 4 و حدائق الأنوار ج 1 ص 53 و 212 و ج 2 ص 592.

زاد ابن شهر آشوب: فلم يكن موضع للجلوس، فكان يشير إلى الحائط، و الحائط يبعد، حتى تمكنوا، فجعل يطعمهم بنفسه (1).

و فى نص آخر: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قال: هل دللتم على رجل يطعمنا أكله؟

فدلوه على رجل، فذهب إلى بيته، و لكنه كان فى الخندق يعالج نصيبه، فأرسلت إليه امرأته، فأقبل يسعى، فذبح لهم جديا كان عنده فأكل منه عشره، ثم ذهبوا، و جاء عشره آخرون فأكلوا.

(ثم قام (صلى اللّه عليه و آله) و دعا لربه البيت، و سمت عليها، و على أهل بيتها) (2).

قضيه أخرى فيها كرامه لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:

و أرسلت أم متعب (أو أم عامر) الأشهليه بقعبه فيها حيس (3) إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و هو فى قبته مع أم سلمه، فأكلت حاجتها، ثم خرج بالقعبه فنادى مناديه: هلم إلى عشائه، فأكل أهل الخندق حتيت.

1- دلائل النبوه لأبى نعيم ص 360 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 188 و راجع: الخرائج و الجرائح ج 1 ص 154 و 155 و البحار ج 18 ص 32 حديث 25 و المناقب لابن شهراشوب ج 1 ص 103.
2- السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 193 و 194 و البدايه و النهايه ج 4 ص 101 و 100 عن الطبرانى، و راجع: فتح البارى ج 7 ص 305.
3- الحيس: طعام متخذ من التمر و السمن، و الدقيق و الفتيت.

نهلوا، و هی کما هی [(1)].

کرامه أخری للنبی صلی اللّه علیه و آله:

و بعث أبو طلحه إنسانا بأقراص من الشعیر تحت إبطه، ففتها (صلی اللّه علیه و آله) و أطعم منها ثمانین [(2)].

یطعم الجیش کله حفنه من تمر:

و مما ذکره فی هذا السیاق: أن ابنه بشیر بن سعد [(3)] جاءت بحفنه من تمر إلی أبیها و خالها عبد اللّه بن رواحه؛ فرآها رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و هی تلتمس أباها و خالها، فأخذ ذلک منها فی کفه فما ملأتها، ثم أمر بثوب فبسط له، ثم دحا بالتمر علیه، فتبدد فوق الثوب.

ثم أمر جعال بن سراقه، فصرخ فی أهل الخندق: أن هلم إلی الغداء؛ فاجتمعوا، فجعلوا یأکلون منها، و جعل یزید، حتی صدر أهل الخندق عنه، و أنه لیسقط من أطراف الثوب [(4)].ه-

---

1- إمتاع الأسماع ج 1 ص 235 و سبل الهدی و الرشاد ج 4 ص 522 عن ابن عساکر، و المغازی للواقدی ج 2 ص 477 و السیره الحلبیه ج 2 ص 330.

2- حدائق الأنوار ج 2 ص 592 و سنن الدارمی ج 1 ص 21 و 22 (المقدمه).

3- هی أخت النعمان بن بشیر.

4- راجع: السیره النبویه لابن هشام ج 3 ص 228 و 229 و سبل الهدی و الرشاد ج 4 ص 521 و 522 عن أبی نعیم، و ابن إسحاق و الإکتفاء للکلاعی ج 2 ص 160 و 161 و تاریخ ابن الوردی ج 1 ص 160 و 161 و تاریخ الإسلام للذهبی (المغازی) ص 235، و السیره النبویه لابن کثیر ج 3 ص 190 و 191 و البدایه-

كرامه أخرى لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:

عن معاويه بن الحكم قال: لما أجرى أخى على بن الحكم فرسه فدق جدار الخندق ساقه، فأتينا به إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) على فرسه، فقال: بسم اللّه، و مسح ساقه، فما نزل عنها حتى برئ (1).

بين نظرتين:

ألف: و يلفت نظرنا فى قصه جابر: أن جابرا قد تصرف وفق ما وجد أنه متوفر لديه من معطيات ماديه، حيث رأى أن ما عنده لا يكفى إلا لعدد يسير من الأشخاص، و لكن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لم يكن ليجعل نفسه أسيره للأسباب الماديه فى حدودها الظاهره.

بل تجاوز ذلک ليتعامل مع مسبب الأسباب، و مفيض الوجود مباشره، و هو اللّه سبحانه، و لم يكن اللّه ليبخل على نبيه (صلى اللّه عليه و آله) فى وقت يحتاج فيه هؤلاء الناس إلى الشعور برعايه اللّه سبحانه لهم.

و حتى مع إغماض النظر عن ذلک كله، فى الأسوه و القدره، لم يكنى.

1- سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 522 عن الطبرانى، و أبى القاسم البغوى.

ليميز نفسه عن الناس، بل هو سوف يواسيهم بنفسه فيما قل و كثر، و فيما صغر و كبر. و ذلک هو ما تمليه عليه التعاليم و المبادئ التى جاء بها من عند اللّه جل و علا.

و الذى يستأثر بإعجابنا العميق هو تلک اللفته الواعيه من زوجه جابر، و التى تظهر لنا أيضا مدى إيمان هذه المرأه و مدى تسليمها لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله). كما أنها تحكى لنا طبيعه و نوعيه و سنخ اعتقادها بهذا الرسول الكريم و العظيم.

و ذلک حينما أخرجت زوجها جابرا من حيرته المحرجه بسؤالها له: إن كان النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد علم بمقدار الطعام المتوفر عندهم، فأجابها بالإيجاب، فقالت: اللّه و رسوله أعلم.

و من يدرى فلعل النبى الأكرم (صلى اللّه عليه و آله) قد عرف أن هذا الإخلاص من جابر و زوجته، ثم الإيثار منه (صلى اللّه عليه و آله)، و حبه لأصحابه، و إقدامه على تقسيم هذا القليل من الطعام معهم، ثم إخلاص صحابته الأخيار فى دفاعهم عن أنفسهم، و عن كرامتهم، و شرفهم و دينهم، و نبيهم، و هذه المتاعب الكبيره، و المصاعب الخطيره التى تواجههم، بالإضافه إلى أن اللّه سبحانه لن يخيب نبيه و وليه و صفيه،

نعم .. إن ذلک كله إذا اقترن بأن اللطف الإلهى لا بد أن يظهر فى هذه الفتره العصيبه بالذات ليطمئن المؤمنون إلى نصر اللّه سبحانه، فإن زياده الطعام الذى قدمه جابر، حتى ليأكل المسلمون كلهم حاجتهم منه، تصبح أمرا مقبولا و معقولا، و فى محله ..

التزوير الرخيص:

زعم الشعرانى: (أنه شاهد شيخه الشيخ محمد الشنّاوى، و قد جاء من الريف، و معه نحو خمسين رجلا، و نزل بزاويه شيخه الشيخ محمد السروى، فتسامع مجاورو الجامع الأزهر بمجيئه، فأتوا لزيارته، فامتلأت الزاويه، و فرشوا الحصر فى الزقاق.

ثم قال لنقيب شيخه: هل عندک طبيخ؟!

قال: نعم، الطبيخ الذى أفعله لى و لزوجتى.

و قال له: لا تغرف شيئا حتى أحضر.

ثم غطى الشيخ الدست بردائه، و أخذ المغرفه، و صار يغرف إلى أن كفى من فى الزاويه، و من فى الزقاق. و هذا شى ء رأيته بعينى) (1).

و نحن إذا قارنّا بين هذا الكلام و بين قضيه وليمه جابر، فإننا نجد أن هذا النص أراد أن يعطى الشناوى نفس الكرامه التى ثبتت لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) حين استجاب لدعوه ذلک الرجل الصالح (رحمه اللّه).

و الذى يستوقفنا هنا: ثقه الشنّاوى بحصول الكرامه له، و كأنه يمارس عملا عاديا لا يشک فى انتهائه إلى النتيجه التى يريدها. تماما كما كان الحال بالنسبه للنبى (صلى اللّه عليه و آله) فى الخندق.

و ليت شعرى لماذا لم يشتهر أمر الشنّاوى فى الآفاق، و تسير به الركبان من بلد إلى بلد، و يصبح قبره كقبر النبى (صلى اللّه عليه و آله) فى المدينه المنوره تشد إليه الرحال، و تقصده النساء و الرجال من أقصى بلاد المعموره؟1.

1- السيره الحلبيه ج 2 ص 331.

مع أننا نجدهم يقصدون زياره قبور أناس صالحين لم تظهر لهم حتى و لو كرامه واحده من هذا القبيل!!

الجهد، و الضعف و الجوع:

اشاره

قد تحدثت النصوص التى سلفت فى هذا الفصل، و فى غيره من الفصول، عن المعاناه التى كان يتعرض لها المسلمون بسبب شحه الأقوات فى تلك السنه بالذات حيث: (كان المسلمون قد أصابهم مجاعه شديده، و كان أهلوهم يبعثون إليهم بما قدروا عليه) (1).

و ذكر نص آخر: أن حفر الخندق كان فى زمان عسيره، و عام مجاعه حتى أن الأصحاب كانوا يشدون على بطونهم الحجر من الجهد و الضعف الذى بهم من الجوع، و يقول البخارى: إنهم لبثوا ثلاثه أيام لا يذوقون ذواقا، و كذا النبى (صلى اللّه عليه و آله) (2).

و فى نص آخر: (يأتون بمل ء كفى شعير، فيصنع لهم بإهاله سنخه توضع بين يدى القوم، و القوم جياع، و هى بشعه فى الحلق، و لها ريح منتن) (3).7.

1- إمتاع الأسماع ج 1 ص 235 و المغازى للواقدى ج 2 ص 476.
2- راجع مصادر حديث جابر الذى أوردناه فى فقره: كرم و كرامه. و راجع أيضا: السيره الحلبيه ج 2 ص 329 و تاريخ الخميس ج 1 ص 482.
3- راجع: السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 184 و البدايه و النهايه ج 4 ص 96 عن البخارى، و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص 245 و صحيح البخارى ج 3 ص 20 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 517 و دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 412 و عن فتح البارى ج 7 ص 397.

و یقول أبو طلحه: (شکونا إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) الجوع، و رفعنا عن بطوننا عن حجر، حجر، فرفع رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) عن بطنه حجرین) (1).

و یقول نص آخر: (و کانوا فی قر شدید و جوع) (2).

و عن علی أمیر المؤمنین (علیه السلام)، قال: (کنا مع النبی (صلی اللّه علیه و آله) فی حفر الخندق إذ جاءته فاطمه، و معها کسره خبز، فدفعتها إلی النبی (صلی اللّه علیه و آله) و قال النبی علیه و علی آله الصلاه و السلام: ما هذه الکسره؟!

قالت: قرصا خبزتها للحسن و الحسین، جئتک منه بهذه الکسره.

فقال النبی (صلی اللّه علیه و آله): أما إنه أول طعام دخل فم أبیک منذ ثلاث (3).

و لنا هنا وقفات:

الأولی: النبی صلی اللّه علیه و آله وصوم الوصال:

لقد ذکروا: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) نهی عن صوم الوصال، فقالوا له: ما لک تواصل یا رسول اللّه؟!

قال: إنی لست مثلکم، إنی أبیت یطعمنی ربی و یسقینی.2.

1- السیره النبویه للندوی ص 282 عن الترمذی.
2- سبل الهدی و الرشاد ج 4 ص 529.
3- عیون أخبار الرضا ج 2 ص 40 و ذخائر العقبی ص 47 و بحار الأنوار ج 20 ص 245 و صحیفه الإمام الرضا (علیه السلام) ط دار الأضواء ص 71 و 72.

قال ابن حبان: و يستدرک بهذا الحديث على بطلان ما ورد: أنه (صلى اللّه عليه و آله)، كان يضع الحجر على بطنه، لأنه كان يطعم و يسقى من ربه إذا واصل. فكيف يترک جائعا مع عدم الوصال، حتى يحتاج إلى ربط الحجر على بطنه؟!

قال: و إنما لفظ الحديث: الحجز، بالزاى، و هو طرف الإزار. فصحفوا، و زادوا لفظ الجوع.

و أجيب: بأنه (لا منافاه، كان (صلى اللّه عليه و آله) يطعم و يسقى إذا واصل فى الصوم، أى يصير كالطاعم و الساقى، تكرمه له. و لا يحصل له ذلک دائما، بل يحصل له الجوع فى بعض الأحايين، على وجه الابتلاء الذى يحصل للأنبياء، عليهم الصلاه و السلام، تعظيما لثوابهم) (1).

أضف إلى ذلک: أن توجه ابن حبان هذا، و دعواه تصحيف كلمه الحجز بالحجر لا تتلاءم مع ما تقدم عن على (عليه السلام)، و لا مع ما تقدم عن جابر فى قصه اندفاعه لتهيئه طعام للنبى (صلى اللّه عليه و آله) لما رآه خميصا، و لا مع ما ذكر فى قصه سلمان حينما طلب من النبى (صلى اللّه عليه و آله) أن يعالج الصخره.

الثانيه: العزم و الثبات:

و يلفت النظر هنا: أنه رغم كل ما كان يعانيه المسلمون من جهد و ضعف و جوع، و برد- كما يقولون- فإن ذلک لم ينل من عزمهم، و لم يؤثر9.

1- السيره الحلبيه ج 2 ص 329.

على إرادتهم، و لا هزمهم روحيا. بل استمروا فى تصميمهم على تنفيذ قرارهم بالمواجهه، و لم يحملهم ذلک على الدخول فى أى مساومه، و تقديم أيه تنازلات.

و لا شک: فى أن للعامل الإيمانى دوره الحساس فى هذا المجال، و لعل العامل الأهم هنا: هو توفر القياده الحكيمه و الواعيه و الحازمه، المرتبطه باللّه سبحانه، المتمثله بشخصيه النبى الأكرم (صلى اللّه عليه و آله).

الثالثه: الخصاصه و الجوع:

قد تعودنا من أولئک الذين يتعاقبون على كراسى الحكم: أن يكونوا من أصحاب الأموال الطائله، و أهل الثراء الفاحش، مع السعى الحثيث منهم للتمتع بمباهج الحياه، و التقلب فى ملذاتها، و اهتمام ظاهر بما فيها من زينه، و بهارج، فى حين تكون شعوبهم تعانى من النصب و الحرمان، و من الحاجه و الخصاصه بدرجه قبيحه و مزريه.

إن لم نقل: إن الكثيرين من هؤلاء الحكام هم الذين يمتصون دماء شعوبهم، و يعبثون بمقدراتها، و يختلسون كل ما قدروا عليه من أموالها.

أما نبينا الأكرم (صلى اللّه عليه و آله): فإنه على عكس ذلک تماما، فها هو فى أيام الخندق يربط الحجر، و لا يستأثر نفسه بشى ء من حطام الدنيا.

بل إنه حتى حينما يرغب أحدهم فى استضافته على الشى ء القليل جدا فى هذا الظرف العصيب بالذات، لا يرضى (صلى اللّه عليه و آله) إلا أن يشاركه المسلمون جميعا في ضيافته تلک، فيبارک اللّه سبحانه فى ذلک الطعام، و تكون الكرامه من اللّه سبحانه لرسوله الأكرم (صلى اللّه عليه و آله).

ثم نجد عليا أمير المؤمنين (عليه السلام) خير من يتأسى برسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و يسير على نهجه، و ينسج على منواله. فإنه رغم أنه كان قد أنشأ- بكديده، و بعرق جبينه- الكثير من الضياع و البساتين، لكنه لم يكن يستفيد منها بتحسين وضعه المعيشى، و لا أحدثت تغييرا فى حياته الخاصه، بل كان يتصدق بها و يوزعها على الفقراء و المحتاجين، و قد أوقف عامتها على جهات البر المختلفه، ثم لم يزل يلبس الخشن، و يأكل الجشب إلى أن توفاه اللّه سبحانه.

و حسبک ما کتبه لعثمان بن حنيف: يلومه على حضوره وليمه دعى إليها:

قال (عليه السلام): (ألا و إن لكل مأموم إماما يقتدى به، و يستضى ء بنور علمه، ألا و إن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، و من طعمه بقرصيه، ألا و إنكم لا تقدرون على ذلک، و لكن أعينونى بورع، و اجتهاد، و عفه و سداد. فواللّه ما كنزت من دنياكم تبرا، و لا ادخرت من غنائمها وفرا، و لا أعددت لبالى ثوبى طمرا، و لا حزت من أرضها شبرا، و لا أخذت منه إلا كقوت أتان دبره، و لهى فى عينى أوهى و أهون من غصه مقره) (1).

إلى أن قال: (و لو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، و لباب هذا القمح، و نسائج هذا القز. و لكن هيهات أن يغلبنى هواى، و يقودنى جشعى إلى تخير الأطعمه، و لعل بالحجاز أو اليمامه من لا طمع له فى القرص، و لا عهد له بالشبع.

أو أبيت مبطانا و حولى بطون غرثى، و أكباد حرى، أو أكون كما قال القائل:ه.

1- الأتان الدبره: التى عقر ظهرها فقل أكلها. مقره: مره.

و حسبک داء أن تبیت ببطنهو حولک أکباد تحن إلی القد أأقنع من نفسی بأن یقال: هذا أمیر المؤمنین و لا أشارکهم فی مکاره الدهر، أو أکون أسوه لهم فی جشوبه العیش؟ فما خلقت لیشغلنی أکل الطیبات، کالبهیمه المربوطه، همها علفها، أو المرسله، شغلها تقممها (1)، تکترش (2) من أعلافها، و تلهو عما یراد بها).

إلی أن قال: (و کأنی بقائلکم یقول: إذا کان هذا قوت ابن أبی طالب، فقد قعد به الضعف علی قتال الأقران، و منازله الشجعان. ألا و إن الشجره البریه أصلب عودا، و الروائح الخضره أرق جلودا، و النباتات العذیه (3) أقوی وقودا، الخ..) (4).8.

1- التقمم: التقاط القمامه.

2- تکترش: تملأ کرشها.

3- العذی: الزرع لا یسقیه إلا ماء المطر.

4- نهج البلاغه (تحقیق صبحی الصالح، ط سنه 1387 ه. ق) ص 417 و 418.

الفصل الخامس: جيش المسلمين و جيش المشركين فى المواجهه

اشاره

الإعداد و الإستعداد:

قال البلاذرى: (بلغ رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) الخبر، فندب المسلمين إلى قتال الأحزاب، و خرج فارتاد لعسكر المسلمين) (1). و كان خروجه بعد أن استخلف على المدينه ابن أم مكتوم (2).

و حسب نص الصالحى الشامى: (ركب فرسا و معه عده من المهاجرين و الأنصار فارتاد موضعا، و كان أعجب المنازل إليه أن يجعل سلعا الجبل خلف ظهره، و يخندق الخ..) (3).5.

1- أنساب الأشراف ج 1 ص 343.
2- راجع: الثقات ج 1 ص 266 و التنبيه و الإشراف ص 216 و زاد المعاد ج 2 ص 117 و جوامع السيره النبويه ص 149 و السيره النبويه لابن هشام ج 3 ص 231 و العبر ج 2 ق 2 ص 29 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 197 و البدايه و النهايه ج 4 ص 103 و 102 و تاريخ الخميس ج 1 ص 481 و السيره النبويه لدحلان ج 2 ص 4 و السيره الحلبيه ج 2 ص 315 و 314 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 216 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 523 و نهايه الأرب ج 17 ص 168 و المغازى للواقدى ج 2 ص 441 و عيون الأثر ج 2 ص 57.
3- سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 414 و 415.

و كان خروجه (صلى اللّه عليه و آله) لثمان خلون من ذى القعده، أو شوال، حسبما تقدم، و يقال: إن خروجه (صلى اللّه عليه و آله) كان فى يوم الإثنين (1).

و اختار (صلى اللّه عليه و آله) ذلک الموضع المکشوف للخندق، و جعل معسکره تحت جبل سلع (2) أو سفح سلع، أو سطح سلع، أو جعل سلعا وراء ظهره، و الخندق بينه و بين القوم (3).

يقول البعض: (فلو أن العدو عبر الخندق لقدمت سلع للمدافعين8.

1- راجع: نهايه الأرب ج 17 ص 170 و غير ذلک من المصادر السابقه و اللاحقه

2- تاريخ الخميس ج 1 ص 481 السيره الحلبيه ج 2 ص 315.

3- راجع المصادر المتقدمه فى الهوامش السابقه، و فى: البداء و التاريخ ج 4 ص 217 و وفاء الوفاء ج 1 ص 301 و 300 و ج 4 ص 1204 و المغازى للواقدى ج 2 ص 454 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 ق 2 ص 29 و السيره النبويه لابن هشام ج 3 ص 231 و زاد المعاد ج 2 ص 117 و الکامل فى التاريخ ج 2 ص 180 و الإکتفاء للکلاعى ج 2 ص 162 و 163، و أنساب الأشراف ج 1 ص 343 و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص 236 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 237 و جوامع السيره النبويه ص 149 و فتح البارى ج 7 ص 307 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 415 و 514 و 523 و تهذيب سيره ابن هشام ص 190 و دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 428 و بهجه المحافل ج 1 ص 264 و المواهب اللدنيه ج 1 ص 112 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 125 و البدايه و النهايه ج 4 ص 102 و مجمع البيان ج 8 ص 342 و بحار الأنوار ج 20 ص 200 و نهايه الأرب ج 17 ص 168 و سعد السعود ص 138.

نفس المزايا التى حصلوا عليها فى أحد) (1).

و يستفاد مما تقدم: أن موقعهم كان عند سلع من جهه الشام و المغرب (2).

مقر القياده:

(و ضربت له (صلى اللّه عليه و آله) قبه من أديم أحمر، على القرن فى موضع مسجد الفتح) (3).

و تقدم فى الفصل السابق، حين الكلام عن قصور الروم و فارس: أنها قبه تركيه.

مقر القياده: ..... ص : 285 (4) و نسجل هنا:

ألف: إنه يستفاد من هذا و مما تقدم- مع أن بعض النصوص ذكرت: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) جعل معسكره سطح (أو سفح) سلع-: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد اختار من السفح موضعا مشرفا، و مرتفعا نسبيا يمكنه من مراقبه الوضع بدقه، ثم المبادره إلى اتخاذ القرار اللازم فى الموضع المناسب.

ب: إنه إذا كان المشركون إنما يفكرون بالدنيا، و يرون العزه بما4.

1- محمد فى المدينه ص 56.
2- وفاء الوفاء ج 4 ص 1200.
3- و راجع أيضا: تاريخ الخميس ج 1 ص 481.
4- المغازى للواقدى ج 2 ص 454 و 457 و راجع: السيره الحلبيه ج 2 ص 314 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 524.

يحصلون عليه من حطامها، فإن رؤيتهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى مكان مشرف عليهم، و هو فى قبه ذات لون متميز من أدم أحمر، سيكون مغيظا لهم، و سيزيد من حسرتهم و حنقهم، حين يرغمون على التراجع، و هم يجرون أذيال الخيبه و الخسران، و قد خلفوا وراءهم قتلى من رؤسائهم و أبطالهم، كما سنرى.

عرض النبى صلى اللّه عليه و آله الخارجين إلى الحرب:

ثم عرض (صلى اللّه عليه و آله): الجيش، و هو يحفر الخندق.

فعن أبى واقد الليثى قال: (رأيت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يعرض الغلمان، و هو يحفر الخندق، فأجاز من أجاز، ورد من رد.

و كان الغلمان يعملون مع الذين لم يبلغوا و لم يجزهم، و لكن لما لحم الأمر، أمر من لم يبلغ أن يرجع إلى أهله، إلى الآطام مع الذرارى.

إلى أن قال: فكان ممن أجاز رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يومئذ ابن عمر و هو ابن خمس عشره، و زيد بن ثابت و هو ابن خمس عشره، و البراء بن عازب و هو ابن خمس عشره (1)، و أبا سعيد الخدرى و لم يردهم.

و يقال: إنه أجازهم قبل ذلک) (2).

قال العسقلانى: (عرض الجيش اختبار أحوالهم قبل مباشره القتال5.

1- راجع: المغازى للواقدى ج 2 ص 453 و أنساب الأشراف ج 1 ص 343 و 344 و راجع تاريخ الخميس ج 1 ص 481 و السيره النبويه لدحلان ج 2 ص 314 و 315 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 224 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 523.
2- أنساب الأشراف ج 1 ص 344 و راجع: السيره الحلبيه ج 2 ص 315.

للنظر فی هیبتهم و ترتیب منازلهم و غیر ذلک) (1).

و مهما یکن من أمر فقد أصبحت المدینه بسبب حفر الخندق کالحصن، حسبما تقدم (2).

النساء و الأطفال فی الآطام:

و یذکر المؤرخون کافه تقریبا، و هم یتحدثون عن غزوه الخندق: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قد جعل النساء و الصبیان فی الآطام (3).

قال الواقدی: (و رفع النساء و الصبیان فی الآطام، و رفعت بنو حارثه الذراری فی أطمهم، و کان أطما منیعا. و کانت عائشه یومئذ فیه.

و رفع بنو عمرو بن عوف النساء و الذریه فی الآطام، و خندق بعضهم حول الآطام بقباء، و حصن بنو عمرو بن عوف و لفها، و خطمه، و بنو أمیه، و وائل، و واقف فکان ذراریهم فی آطامهم) (4).

الحرس علی أبواب الخندق:

و یذکر المؤرخون: أنهم بعد أن حفروا الخندق، و حصنوه (جعل له رسول1.

1- فتح الباری ج 7 ص 302.
2- إمتاع الأسماع ج 1 ص 223 و راجع أواخر الفصل الثانی، حین الکلام عن تشبیک المدینه بالبنیان.
3- قد ذکرت ذلک مختلف المصادر التی تقدمت فی هذا الفصل، فمن أرادها فلیراجعها.
4- المغازی ج 1 ص 451.

اللّه أبوابا (1) و جعل على الأبواب حرسا، من كل قبيله رجلا، و عليهم الزبير بن العوام، و أمره إن رأى قتالا أن يقاتل) (2).

و فى نص آخر: (و جعل على كل باب رجلا من المهاجرين، و رجلا من الأنصار مع جماعه يحفظونه) (3).

و تقدم: أن أبواب الخندق كانت ثمانيه.

تركيبه الحرس مثار تساؤل:

و أما لماذا اختار النبى الأكرم (صلى اللّه عليه و آله) أن تكون تركيبه الحرس على أبواب الخندق بهذا الشكل، فربما يكون السر فيه: هو أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد أراد أن يقطع الطريق على أى تفكير تآمرى، من خلال اتصالات سريه فيما بين المشركين و المنافقين أو غيرهم، للتواطؤ على المسلمين. و لو عن طريق الإغراء بالمال، أو الاحتيال، أو التغفيل، حيث يتمكنون من إحداث ثغره أو أكثر، من شأنها أن تعرض المسلمين للخطر الكبير.

و حين يكون الحرس من كل قبيله رجلا، فإن الرقابه على بعضهم البعض تصبح طبيعيه، و لن يعود من السهل فتح علاقه مشبوهه مع أى0.

1- راجع: مغازى الواقدى ج 2 ص 452 و 450 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 515 و تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 50، و راجع: السيره الحلبيه ج 2 ص 312 و السيره النبويه لابن هشام ج 3 ص 267 و وفاء الوفاء ج 4 ص 1206.
2- تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 50.
3- تفسير القمى ج 2 ص 179 و بحار الأنوار ج 20 ص 220.

منهم، و یصبح احتمال تواطؤهم أبعد، و اتفاقهم علی الخیانه یکون أصعب و أعقد.

و یلفت نظرنا هنا: ذلک النص الذی بیّن فیه اهتمام النبی (صلی اللّه علیه و آله) بمشارکه الأنصار للمهاجرین فی هذا الأمر.

و نحن نعلم: أن إمکانیه اختراق مشرکی أهل مکه للمهاجرین أسهل و أیسر، لأنهم إخوانهم و أبناؤهم، و لم نزل نجد فی المهاجرین من یحابی قومه و یهتم بعدم إلحاق المزید من الأذی بهم بدءا من حرب بدر، حسبما أوضحناه هناک فی قضیه فداء الأسری.

بل لقد وجدنا حتی زوجه النبی (صلی اللّه علیه و آله) تخرج عن وقارها، و تندفع لتحرض علی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) فی بدر، فراجع ما ذکرناه هناک أیضا عن سوده بنت زمعه.

و تجد فی کتابنا هذا، و فی کتاب (الغدیر و المعارضون) شواهد کثیره غزیره و مثیره عن مواقف قریش من النبی (صلی اللّه علیه و آله) و أهل بیته. و لا نری حاجه لإعاده التذکیر بها هنا.

الذراری و النساء فی الآطام:

و إن جعل النساء و الذراری فی مواضع حصینه، و تجمیعهم فی أماکن معینه یعتبر إجراء حکیما، لأنه یوفر علی المسلمین معاناه حاله التوزع فی الاهتمامات، و انتشارها، و یرکزها فی نقطه أو نقاط محدده یمکن الترکیز علیها فی الرعایه الأمنیه، و تسهیل تقدیم المعونه الفاعله و المؤثره و السریعه، وفق خطه مرسومه فی الوقت المناسب لو فرض تعرضها لأی خطر من قبل الأعداء.

ثم هی تمکن هؤلاء الضعفاء من أن یفیدوا من مناعه تلک الآطام للدفع عن أنفسهم بدلا من بیوت واهنه لا تساعد علی حمایتهم، و لا تدفع عنهم فی شی ء.

و بذلک لم یعد النساء و الأطفال منتشرین علی مساحات واسعه، بصوره تجعلهم هدفا سهلا لکل عابث، و عرضه لأطماع الأعداء و السفهاء، الأمر الذی یوجب إرباکا نفسیا لدی القوی التی یفترض فیها أن تصب کل اهتماماتها علی نقطه واحده، و واحده فقط، و هی دفع العدو، و إبطال کیده، و إلحاق الهزیمه المخزیه به.

و قد یمکن للعدو- لو لم تجعل الذراری و النساء فی الآطام- أن یستفید من الوضع القائم، فیعتدی أو یتظاهر بالاعتداء علی المواقع المختلفه المنتشره علی مساحه المدینه بأکملها، و ذلک بهدف زعزعه حاله الاتحاد و الانسجام لدی الجیش الإسلامی، لیتمکن من إنزال ضربته القاصمه فی الوقت المناسب.

و قد کان بنو قریظه یعرفون تفاصیل مسالک المدینه، لأنهم من أهلها، فقیامهم بأی تسلل إلیها سوف یربک الوضع فی ساحه القتال بصوره کبیره و خطیره.

و قد کان المسلمون یعرفون ذلک، فکانوا یعیشون حاله القلق لو لا هذا الإجراء الذی اتخذه النبی (صلی اللّه علیه و آله).

و مما زاد فی الربط علی القلوب، و تهدئه المشاعر، و استقرار الحاله النفسیه: أنه (صلی اللّه علیه و آله) قد جعل حراسا یطوفون فی المدینه، حتی أصبح واضحا لیهود بنی قریظه و لغیرهم: أن أی تحرک سوف ینتهی بنکسه

خطیره لهم.

و قد کان فی التجربه التی قام بها بعضهم للوصول إلی حصن حسان الذی کانت فیه النساء، و انتهت بقتل ذلک الرجل علی ید زینب بنت جحش عبره لهم و بلاغ.

عقد الألویه للحرب:

أما بالنسبه لعقد ألویه الحرب، فإننا نقول:

ألف: بالنسبه للمشرکین، فالمؤرخون یقولون: إنهم عقدوا لواءهم فی دار الندوه، و حمله عثمان بن أبی طلحه، و قائد القوم أبو سفیان (1).

ثم وافی المشرکون المدینه، فأنکروا أمر الخندق، و قالوا: ما کانت العرب تعرف هذا (2).

ب: بالنسبه للمسلمین، یقول المؤرخون: (و کان لواء المهاجرین بید زید بن حارثه، و لواء الأنصار بید سعد بن عباده، و کان (صلی اللّه علیه0.

1- السیره النبویه لدحلان ج 2 ص 2 و راجع: تاریخ الخمیس ج 1 ص 480 و السیره الحلبیه ج 2 ص 311 و الإمتاع ج 1 ص 218 و عیون الأثر ج 2 ص 56 و سبل الهدی و الرشاد ج 4 ص 513.
2- تاریخ الیعقوبی ج 2 ص 50 و السیره النبویه لدحلان ج 2 ص 5 و راجع: تاریخ الخمیس ج 1 ص 484 و السیره الحلبیه ج 2 ص 315 و سبل الهدی و الرشاد ج 4 ص 530، و المغازی للواقدی ج 2 ص 470 و تفسیر القمی ج 2 ص 182 و بحار الأنوار ج 2 ص 224 و نهایه الأرب ج 17 ص 173 و الإرشاد للمفید ص 52 و کشف الغمه للأربلی ج 1 ص 202 و إعلام الوری (ط دار المعرفه) ص 100.

و آله) يبعث الحرس على المدينه، خوفا على الذرارى من بنى قريظه) (1).

و نقول:

إننا لا نهتم لتحريفات المؤرخين هذه، حيث نراهم يتجاهلون الحقيقه الدامغه إرضاء لأسيادهم، و انسياقا مع أهوائهم و عصبياتهم و تعصباتهم البغيضه.

فها هم يهملون هنا ذكر صاحب الرايه العظمى للجيش كله و صاحب لواء رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى كل مشهد، و هو على أمير المؤمنين (عليه السلام) مع تصريحهم باسم حامل لواء المهاجرين، و حامل لواء الأنصار.

و نقول هنا:

1- إنه قد تقدم فى حرب أحد فى فصل: قبل نشوب الحرب، و فى بدر أيضا، طائفه من النصوص التى تضافرت و تواترت فى كتب السيره و التاريخ و الحديث بالأسانيد الصحيحه و الموثوقه: أن عليا (عليه السلام) هو صاحب لواء ورايه النبى (صلى اللّه عليه و آله) فى كل مشهد، و تقدم أن ذلک من فضائله و خصائصه التى اشتهر بها. و هذه حقيقه مؤلمه لمبغضى و شانئى علىّ (عليه السلام) و لأجل ذلک فهم يحاولون تجاهلها، و الدس الرخيص للتشکيک بها، و لو وسعهم الجهر بإنكارها لبادروا إلى ذلک.8.

1- المواهب اللدنيه ج 1 ص 112 و تاريخ الخميس ج 1 ص 483 و راجع ص 481 و السيره النبويه لدحلان ج 2 ص 4 و السيره الحلبيه ج 2 ص 315 و راجع: إمتاع الأسماع ج 1 ص 225 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 524، و نهايه الأرب ج 17 ص 170 و عيون الأثر ج 2 ص 58.

2- و قد ورد فى احتجاج الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) على معاويه و ابن العاص، و الوليد الفاسق قوله: (ثم لقيكم يوم أحد، و يوم الأحزاب و معه رايه رسول اللّه و معک و مع أبيک رايه الشرک) (1).

3- روى الحكم بن عتيبه عن مقسم عن ابن عباس، قال: (كانت رايه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) مع على (عليه السلام) فى المواقف كلها:

يوم بدر، و يوم أحد، و يوم حنين، و يوم الأحزاب، و يوم فتح مكه. و كانت رايه الأنصار مع سعد بن عباده فى المواطن كلها، و يوم فتح مكه، ورايه المهاجرين مع على (عليه السلام) (2).

و هذا يدل على أن قولهم: كانت رايه المهاجرين يوم الأحزاب مع زيد بن حارثه غير صحيح.

شعار الحرب:

و يقول المؤرخون: كان شعار المهاجرين أيام الخندق: (يا خيل اللّه) (3).

و قالوا أيضا: كان شعار أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يوم1.

1- كفايه الطالب ص 336 و شرح نهج البلاغه للمعتزلى ج 6 ص 289 و الغدير ج 10 ص 168 عنه و جمهره الخطب ج 2 ص 23.
2- إعلام الورى (ط دار المعرفه) ص 191.
3- إمتاع الأسماع ج 1 ص 230 و المغازى للواقدى ج 2 ص 466 و تاريخ الخميس ج 1 ص 485 و راجع: السيره النبويه لدحلان ج 2 ص 8 و السيره الحلبيه ج 2 ص 321.

الخندق و بنی قریظه: حم، لا ینصرون [(1)].

و نقول:

لقد رأینا: أن شعار المسلمین فی حروبهم مع أعدائهم، سواء فی زمن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أو فی زمن علی (علیه السلام) فی حروبه مع البغاه هو: (حم، لا ینصرون)، و کذا عباره: (یا منصور أمت).

و هاتان الکلمتان لهما دلالاتهما و إیحاءاتهما فی ظرف کهذا حیث إنهما تزرعان الطموح إلی النصر فی قلب و روح المقاتل المسلم فیزداد جرأه علی القتال و إقداما علی التضحیه، و یتذرع بالصبر الجمیل علی ما یواجهه من مکاره یترقب الفرج و الفوز بعدها بمزید من الطمأنینه و الثقه و یکون تحرکه فی ساحه القتال و الحاله هذه تحرک الواثق، الذی یرید من خلال تفعیل طاقاته القتالیه بحکمه و حنکه و تعقل أن یتجاوز هذا الواقع، الذی یری فیهه.

1- تاریخ الخمیس ج 1 ص 483 عن ابن هشام و ص 485 و سبل الهدی و الرشاد ج 4 ص 524 و الکافی ج 5 ص 47 و نهایه الأرب ج 17 ص 178 و المغازی للواقدی ج 2 ص 474 و عیون الأثر ج 2 ص 62 عن ابن هشام، و السیره النبویه لابن هشام ج 3 ص 237 و تهذیب سیره ابن هشام ص 194 و السیره النبویه لدحلان ج 2 ص 8 و زاد المعاد ج 2 ص 118 و بهجه المحافل و شرحه ج 1 ص 271 و 272 عن الترمذی، و أبی داود و الوسائل ج 11 ص 105 و الکافی ج 5 ص 46 و 47 و کنز العمال ج 10 ص 291 و جوامع السیره النبویه ص 150 و الإکتفاء للکلاعی ج 2 ص 169 و السیره الحلبیه ج 2 ص 321 و قال: (لعل المراد بالمسلمین الأنصار، فلا یخالف ما فی الإمتاع، و کان شعار المهاجرین: یا خیل اللّه). و نقول: إن هذا التوجیه لا یمکن المساعده علیه.

وضعا إستثنائيا و نشازا، لا تساعد على استمراره عوامل طبيعيه و مقبوله.

ثم إن هذا الشعار، حين يبدأ بواحده من مفردات الحروف المقطعه التى اختص بها القرآن، فإنه يكون قد أوحى مسبقا لهذا الإنسان المؤمن بصدق هذا الوعد الإلهى، الذى يتلفظ به هو نفسه و يطلقه شعارا له فى هذا الوقت بالذات الذى يحتاج إليه عمليا. فهو شعار يتجه نحو الواقع ليتجسد حقيقه ملموسه له، و يساهم هو فى صنعها و فى بلورتها.

و الأمر الملفت للنظر هنا: أن يكون هذا اليقين قد أيقظته فى نفسه كلمه حم، التى هى رمز التحدى الفكرى كما تقدم فى الجزء الثانى من هذا الكتاب مفصلا و قد اقترن هذا التحدى الفكرى بالتحدى بالعنف و القتال، كنتيجه طبيعيه لعجز قوى الشرک، و هزيمتها المخزيه و النكراء فى مجال الفكر و المثل و القيم.

و أما بالنسبه للمشركين، فالأمر سيكون على عكس ذلک تماما، فإنهم حين يسمعون هذه الكلمه (حم، لا ينصرون) لسوف يتمثلون حاله العجز و السقوط و الهزيمه بكل أنحائها، و بكل مجالاتها، و لسوف تزرع هذه الكلمه اليأس و الفشل فى نفوسهم، فإنها كانت رمز التحدى القرآنى لهم و لكل من هو على شاكلتهم، بالإضافه إلى إيحاءات أخرى- ألمحنا إليها فيما سبق- كانت إيجابيه بالنسبه لقوى الإيمان و لسوف تكون معكوسه و سلبيه بالنسبه لقوى الشرک و الطغيان.

فليتأمل المتأمل فيما ذكرناه، و ليتدبره كيف يتحول إلى الضد من ذلک على قوى الشرک، حتى لا نضطر إلى إعاده تفصيليه له.

غير أننا نلمّح هنا إلى نقطه واحده نضيفها إلى ما سبق، و هى: أن هذا

الشعار يقول: (لا ينصرون) بصيغه المبنى للمجهول و لم يقل: (لا ينتصرون) ففيه إلماح إلى أن المشركين لا يملكون معطيات النصر فى أنفسهم فلا بد أن ينتظروا النصر من غيرهم، و ليس ثمه ناصر لهم و لا معين، فهزيمتهم حتميه لفقدهم مقومات النصر من الجهتين. فالمشرک يرى العجز و الفشل الفکرى و العقيدى بکلمه حم. کما أنه يتمثل الخواء من أى من القدرات و الطاقات التى تخوله أن يصنع نصرا. فهو مهزوم فى الحالتين، و المؤمن يأتيه النصر من اللّه، و هو على يقين من هذا النصر. فاجتمع على قوى الشرک عاملان من عوامل الضعف و لقوى الإيمان عاملان من عوامل القوه.

هذا عدا عن أن الصيغه صيغه إخبار، تعطى: مزيدا من الثقه بتحقق ذلک، حتى کأنه أمر واقع و ملموس، يصح الإخبار عنه بهذه الدرجه من الجزم و الثبات و الطمأنينه.

و لسوف يتيقن المشرکون صدق هذا الوعد، ما دام أنه هدى قرآنى استقر فى نفوسهم: إنهم أعجز و أصغر من أن يشککوا فى أى من آياته و حقائقه.

و هذا درس نافع نستفيده من هذا الشعار. نسأل اللّه التوفيق للتوفر على دراسه هذا الموضوع بصوره أتم و أوفى، و أوضح و أجلى و أصفى، و هو الموفق و الهادى إلى سواء السبيل.

عده و عدد المسلمين:

هذا و قد اختلفت کلمات المؤرخين فى عده و عدد الجيش الإسلامى الذى واجه الأحزاب فى حرب الخندق.

فأما بالنسبه للعده، فقد ذکر ابن سعد: (أنه کان مع المسلمين سته

و ثلاثون فرسا) (1) و أما بالنسبه إلى العدد فنشير إلى الأقوال التاليه:

1- قيل كان المسلمون سبع مئه، و هو قول ابن إسحاق (2).

و قد حكم البعض على ابن إسحاق بأنه: (و هم فى ذلک) و غلط. و زعم ابن القيم: أن منشأ الغلط هو ارتكاز عدد من خرج معه (صلى اللّه عليه و آله) فى أحد (3).

2- قيل: كانوا ألفا أو نحوها، و هو صريح روايه البخارى و مسلم عن جابر. و صرح به قتاده أيضا (4).

3- و قيل: تسع مئه أضاف ابن خلدون قوله: (و هو راجل بلا شک).

و قال ابن حزم: (و هو الصحيح الذى لا شک فيه، و الأول و هم) (5).9.

1- المواهب اللدنيه ج 1 ص 110 و تاريخ الخميس ج 1 ص 480 عن ابن سعد، و السيره النبويه لدحلان ج 2 ص 2 و المغازى للواقدى ج 2 ص 457.
2- تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 50 و السيره الحلبيه ج 2 ص 314 عن ابن إسحاق. و راجع: إمتاع الأسماع ج 1 ص 224 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 524 و راجع ص 565 و تفسير القمى ج 2 ص 177 و البحار ج 20 ص 218 عنه و زاد المعاد ج 2 ص 117.
3- السيره الحلبيه ج 2 ص 314 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 524 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 224 و زاد المعاد ج 2 ص 117.
4- راجع: وفاء الوفاء ج 1 ص 301 و فتح البارى ج 7 ص 301 و تاريخ الخميس ج 1 ص 480 و السيره النبويه لدحلان ج 2 ص 2 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 565 و حدائق الأنوار ج 1 ص 212 و دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 394.
5- راجع: العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 قسم 2 ص 29 و راجع: إمتاع الأسماع ج 1 ص 225 و جوامع السيره النبويه ص 149.

يريد بالأول: القول بأنهم كانوا ألفا.

4- و ذهب أكثر المؤرخين إلى أنهم كانوا ثلاثه آلاف أو نحوها (1).

و نقول:

ألف: إننا نحتمل قويا: أن يكون القول الثالث هو نفس قول ابن إسحاق، لكن النساخ صحّفوا سبعمئه بتسعمئه، لتقارب رسم الخط فى الكلمتين، و عدم8.

1- إمتاع الأسماع ج 1 ص 224 و 225 و مجمع البيان ج 8 ص 342 و البحار ج 20 ص 200 عنه، و راجع هذا القول فى المصادر التاليه: سيره مغلطاى ص 56 و التنبيه و الإشراف ص 216 و وفاء الوفاء ج 1 ص 301 و ج 4 ص 1204 عن المطرى عن ابن إسحاق و الثقات ج 1 ص 266 و الكامل فى التاريخ ج 2 ص 180 و السيره النبويه لابن هشام ج 3 ص 231 و الإكتفاء للكلاعى ج 2 ص 162 و الوفاء ص 693 و مناقب آل أبى طالب ج 1 ص 197 و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ج 2 ص 233 و 236 و تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 236 و 237 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 قسم 2 ص 29 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 197 و البدايه و النهايه ج 4 ص 102 و المواهب اللدنيه ج 1 ص 110 و 112 و تاريخ الخميس ج 1 ص 480 و 481 و 483 و بهجه المحافل ج 1 ص 264 و السيره الحلبيه ج 2 ص 314 و السيره النبويه لدحلان ج 2 ص 2 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 524 و 565 و كشف الغمه للأربلى ج 1 ص 197 و شرح النهج للمعتزلى (منشورات دار مكتبه الحياه) ج 4 ص 267 و البحار ج 20 ص 272 عن المناقب و نهايه الأرب ج 17 ص 168 و عيون الأثر ج 2 ص 57 و 58 و التهذيب سيره ابن هشام ص 190 و دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 428 و البدء و التاريخ ج 4 ص 217 و مختصر التاريخ ص 43 و حبيب السير ج 1 ص 359 و جوامع السيره النبويه ص 149 و فتح البارى ج 7 ص 301 و 307 و سعد السعود ص 138.

وجود النقط فی السابق، و ما أكثر ما يقع الاشتباه و الاختلاف بین سبع و تسع، من أجل ذلک.

ب: إننا نرجح قول ابن إسحاق، و إن حکم علیه البعض، کالحلبی و غیره، بأنه قد وهم أو غلط فی ذلک.

و لو تنزلنا عن ذلک، فإننا نأخذ بالقول الثانی، أما القول بأنهم کانوا ثلاثه آلاف، فلا مجال للاعتماد علیه، و ذلک للأمور التالیه:

1- ما تقدم فی قصه إطعام جابر لأهل الخندق جمیعا و کانوا سبع مئه رجل، أو ثمان مئه، أو ألف رجل. فراجع حدیث جابر المتقدم فی الفصل السابق، و راجع المصادر التی أشیر إلیها فی الهامش هناک.

2- روی عن الإمام الصادق (علیه السلام): أنه (صلی اللّه علیه و آله) شهد الخندق فی تسع مئه رجل (1). و یحتمل أن تکون کلمه تسع تصحیفا لکلمه سبع أیضا.

3- روی: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قال: اکتبوا لی من تلفظ بالإسلام. فکتب حذیفه بن الیمان له ألفا و خمس مئه رجل.

و فی نص آخر: و نحن ما بین الست مئه إلی السبع مئه.

قال الدمامینی: قیل: کان هذا عام الحدیبیه (2).

و یری البعض: أن المسلمین کانوا فی أحد بعد رجوع المنافقین سبع مئه9.

1- الکافی ج 5 ص 46 و الوسائل ج 11 ص 105.
2- راجع: صحیح البخاری ج 2 ص 116 و صحیح مسلم ج 1 ص 91 و مسند أحمد ج 5 ص 384 و سنن ابن ماجه ج 2 ص 1337 و التراتیب الإداریه ج 1 ص 220 و 223 و ج 2 ص 251 و 252 و عن المصنف لابن أبی شیبه ج 15 ص 69.

رجل، و بين أحد و الخندق سنه أو أكثر بقليل، و يبعد أن يزيد المسلمون خلال سنه واحده هذه الزياده الكبيره، بحيث يصلون إلى ثلاثه آلاف (1).

و ما جرى فى الخندق يوضح: أن عدد سكان المدينه لا يصل إلى الخمسه آلاف نسمه بما فى ذلک الأطفال و النساء.

عدد المشركين:

و وافى المشركون المدينه، و أحاطوا بها من جميع جهاتها و اشتد الحصار على المسلمين (2). و قد اختلفت الأقوال فى عدد المشركين، و ذلک على النحو التالى:

1- قال المسعودى: (سارت إليه قريش، و غطفان، و سليم، و أسد، و أشجع، و قريظه، و نضير، و غيرهم من اليهود، فكان عده الجميع أربعه و عشرين ألفا، منها قريش و أتباعها أربعه آلاف) (3).

2- و قال ابن شهر آشوب: (كانوا ثمانيه عشر ألف رجل) (4).

3- و قال ابن الديبع: كانوا أحد عشر ألفا (5).

و ذكر فى موضع آخر: أنهم كانوا عشره آلاف. و لعله حين عد معهم8.

1- الرسول العربى و فن الحرب، هامش ص 238.
2- راجع: حدائق الأنوار ج 2 ص 587.
3- التنبيه و الإشراف ص 216.
4- مناقب آل أبى طالب ج 1 ص 197 و البحار ج 20 ص 272 عنه.
5- حدائق الأنوار ج 1 ص 52 و يفهم ذلک من الزمخشرى فى الكشاف ج 3 ص 526 و عنه فى سعد السعود ص 138.

بنى قريظه ذكر الرقم الأول، و حين غض النظر عنه عدهم عشره آلاف.

4- إن عدد جيش المشركين بجميع فئاته كان عشره آلاف: قريش و كانوا أربعه آلاف، و من أجابهم من بنى سليم، و أسلم، و أشجع، و بنى مره، و كنانه، و فزاره، و غطفان (1).

5- إنهم كانوا مع يهود بنى قريظه و النضير زهاء اثنى عشر ألفا (2).

6- و لكننا نجد آخرين من المؤرخين يتحدثون عن هذا الأمر بطريقه تؤيد أحد القولين الأولين، فقد قال ابن الوردى و غيره:

(أقبلت قريش فى أحابيشها، و من تبعها من كنانه فى عشره آلاف، و أقبلت غطفان و من تبعها من أهل نجد) ثم ذكر انضمام بنى قريظه4.

1- تاريخ الخميس ج 1 ص 480 و وفاء الوفاء ج 1 ص 301 عن ابن إسحاق و المغازى للواقدى ج 2 ص 444 و 445 و تفسير القمى ج 2 ص 177 و 176 و عيون الأثر ج 2 ص 57 و زاد المعاد ج 2 ص 117 و بحار الأنوار ج 20 ص 217 و نهايه الأرب ج 17 ص 168 و البدء و التاريخ ج 4 ص 217 و سيره مغلطاى ص 56. و راجع: الوفاء ص 693 و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص 233 و 236 و دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 428 و راجع: العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 ق 2 ص 29 و فتح البارى ج 7 ص 301 و 307 و المواهب اللدنيه ج 1 ص 110 و السيره النبويه لدحلان ج 2 ص 2 و 4 و بهجه المحافل ج 1 ص 264 و السيره الحلبيه ج 2 ص 311 و حدائق الأنوار ج 2 ص 587 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 514 و منها ج السنه ج 4 ص 170.
2- تاريخ الخميس ج 1 ص 484.

إليهم (1).

7- ثم هناک من يقول: إن عدد جيش الأحزاب کان أربعه آلاف فقط (2).

و لا نشک فی أن هذا القول ناظر إلی حشود قريش، أو أن بعض المؤرخين رآهم يذکرون أن عدد الجمع القريشی کان هذا المقدار فتوهم أنه يقصد بيان عدد الجيش کله.

عده جيش الشرک:

و أما بالنسبه لعده أهل الشرک، فقد قال المسعودی: إنه کان (معهم ثلاثه.

1- تاريخ ابن الوردی ج 1 ص 161 و کشف الغمه للأربلی ج 1 ص 197 و الکامل فی التاريخ ج 2 ص 180 و المختصر فی أخبار البشر ج 1 ص 135 و راجع المصادر التاليه: الإکتفاء للکلاعی ج 2 ص 162 و السيره النبويه لابن هشام ج 3 ص 230 و 231 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 236 و 237 و السيره النبويه لابن کثير ج 3 ص 197 و البدايه و النهايه ج 4 ص 102 والبدء و التاريخ ج 4 ص 217 و تاريخ الخميس ج 1 ص 483 و المواهب اللدنيه ج 1 ص 112 و مختصر التاريخ ص 43 و جوامع السيره النبويه ص 149 و فتح الباری ج 7 ص 307 و مجمع البيان ج 8 ص 341 و 342 و البحار ج 20 ص 200 و تهذيب سيره ابن هشام ص 190 و وفاء الوفاء ج 1 ص 301.

2- راجع هذا القيل فی: وفاء الوفاء ج 1 ص 301 و فتح الباری ج 7 ص 301 و السيره الحلبيه ج 2 ص 310 و 311 و تاريخ الخميس ج 1 ص 480 و السيره النبويه لدحلان ج 2 ص 2 و دلائل النبوه للبيهقی ج 2 ص 394 عن قتاده.

مئه فرس، و ألف و أربع مئه بعير، و قائدهم أبو سفيان صخر بن حرب) (1).

و ذكر آخرون: أنه كان معهم ألف و خمس مئه بعير، و ثلاث مئه فرس (2).

و ذكر الديار بكرى: أنهم كانوا أربعه آلاف معهم ثلاث مئه فرس و ألف بعير، و عند غيره: ألف و خمس مئه بعير (3).

و يظهر من المقريزى: أنه كان مع المشركين بالإضافه إلى ألف و خمس مئه بعير: ثلاث مئه فرس مع قريش، و ثلاث مئه أخرى مع غطفان (4).

و فى كلام حيى بن أخطب لكعب بن أسد: (و الخيل ألف فرس و سلاح كثير) (5).

و صرح النويرى: أن غطفان و فزاره كان معهما ألف بعير (6).

و من الواضح: أن لا مجال لتحديد الرقم الحقيقى لذلك كله و لا لغيره.

لكن مما لا شك فيه: أن هذا العرض للنصوص و الأقوال يوضح مدى التفاوت فيما بين عده و عدد المسلمين، و أعدائهم من الأحزاب الذين7.

1- التنبيه و الإشراف ص 216.
2- السيره الحلبيه ج 2 ص 310 و 311 و السيره النبويه لدحلان ج 2 ص 2 و الإمتاع ج 1 ص 218 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 513 و نهايه الأرب ج 17 ص 167 و حبيب السير ج 1 ص 359.
3- تاريخ الخميس ج 1 ص 480 و عيون الأثر ج 2 ص 56 و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص 233 و لم يذكر عدد الإبل.
4- إمتاع الأسماع ج 1 ص 218 و 219.
5- المغازى للواقدى ج 2 ص 455.
6- نهايه الأرب ج 17 ص 167.

جاؤوا من كل حدب و صوب.

معنويات جيش الشرک:

و قد كان من الواضح: أن تفوق المشركين فى العدد و العده، ثم ما كان من تحالفهم مع بنى قريظه الذين كانوا فى الجهه الأخرى للمدينه،

أضف إلى ذلک: هذا الإجماع الحاصل من مختلف القبائل العربيه،

و كذلک بسبب الإعلام المسموم الذى أعقب حرب أحد، و صوّر لأهل الشرک أنهم قد حققوا فيها نصرا كبيرا،

و بسبب الحقد الذى يتغلغل فى نفوس الكثيرين منهم على الإسلام و المسلمين،

نعم .. إنه بسبب ذلک كله، و سواه مما لم نذكره، كان جيش الشرک يعيش فى بدايات حصاره للمسلمين حاله من الانتعاش الروحى، و الشعور بالقوه و التفوق، و بإمكانيه تحقيق بعض ما كانوا يصبون إليه.

و لكن الأمر لم يدم على هذا الحال طويلا فقد تبخرت الآمال و حل محلها الشعور بالخيبه، و تلاشت حاله الانتعاش، لتخلفها حاله التململ و الشعور بالضيق.

حتى إذا جاءت ضربه على القاصمه لجيش الشرک، تبدل كل شى ء ليواجه هذا الجيش حاله من الرعب و الخوف، و تصبح تلک الكثره في العدد و فى العده عبئا ثقيلا، و مصدر متاعب لذلک الجيش بالذات. فقد أصبحت العده من أفراس و من وسائل نقل- أبعره- بسبب طول المده، و بسبب الجدب أمرا يحسن التخلص، أو على الأقل يحسن التخفيف منه و تحجيمه.

كما إن إجماع القبائل لم ينجح فى توحيد القياده لهم، و لا استطاع أن يحجب الروح القبليه، و يمنعها من الهيمنه على مسيره التحرک، حتى فى مواقع القتال.

فكانت كثره هذا الجيش تستبطن التمزق، و كان تكثّر الانتماءات فى الولاء و الطاعه، يحمل معه بذور الفساد و الإفساد، و الخلاف و الشقاق لأتفه الأسباب.

أضف إلى ما تقدم: أن الإعلام المزور و المسموم قد أوجب انتفاخا كاذبا، و أذكى توقعات كبيره، يعلم قاده الأحزاب أنفسهم أنهم أعجز عن أن ينالوها، أو أن يحققوا أدناها.

و بعد ما تقدم: فهل يمكن لجيش كهذا أن يقوم بتجربه حربيه ضد المسلمين، مع أنه لا يمكن ضمان نتائجها، لا سيما بعد أن عرف و رأى ميدانيا أن الأمور قد أصبحت على غايه من التعقيد و الخطوره، و لم يكن قد حسب لكل هذه المستجدات أى حساب؟

و بعد كل ما تقدم: فإن علينا أن لا ننسى أن تلک القبائل كانت تفتقر إلى ترسيخ عامل الثقه فيما بينها. و لم تكن ثمه ضمانات حقيقيه لوفاء بنى قريظه للمشركين، و لا العكس، مع علمهم: أن الذى يجمع كل هذه المتفرقات هو الخوف من التفرق، و ليس شيئا غير ذلک ..

جيش أهل الإيمان:

و أما بالنسبه لجيش أهل الإيمان فإن الأمر يختلف تماما، فهو يرى أن وجوده معرض للاستئصال و الفناء، و لا بد له من الدفاع، و لن يجد ملجأ له

إلا بذل الجهد، و إلا الجهاد من أجل البقاء.

كما أن هذا الجيش ينطلق فى حركته و فى جهاده من قاعده إيمانيه تجمع بين متفرقاته، و تؤلف بين مختلفاته.

و هو و إن كان قد تعرض- فى بادئ الأمر- لهزه من نوع ما حين صار المنافقون و ضعفاء الإيمان يتسللون و يتركون مواضعهم بأعذار مختلفه، و لكن حزم القياده، و هيمنتها، و حسن تدبيرها لم يفسح المجال للتأثر بالشائعات، و استطاعت هذه القياده، حين فضحت أمر هؤلاء المنافقين بالوحى القرآنى، و حين ظهرت الكرامات الباهره على يدها، و أطلقت البشارات بالنصر الأكيد، استطاعت أن تعيد للجو الإيمانى صفاءه و نقاءه، و تحصنه من كل ما من شأنه أن يشيع روح التخاذل، و يزرع اليأس و الخوف فى نفوس المخلصين و المؤمنين، و قطعت الطريق على أى كان، من أن يتخذ موقفا، أو يتصرف تصرفا من شأنه أن يعطى للعدو أيه فرصه من أى نوع كانت.

الغطرسه القرشيه:

و عن على (عليه السلام) قوله: (فقدمت قريش، فأقامت على الخندق محاصره لنا، ترى فى أنفسها القوه و فينا الضعف، ترعد و تبرق، و رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يدعوها إلى اللّه عزوجل، و يناشدها بالقرابه و الرحم، فتأبى، و لا يزيدها ذلك إلا عتوا) (1).4

1- الخصال ج 2 ص 68، باب السبعه، و البحار ج 20 ص 244.

و نقول:

ليس غريبا على قريش هذا العتو، و هذه الغطرسه، ما دامت تقيس الأمور بمقاييس ماديه، و ترى القوه فى أنفسها، و الضعف فى المسلمين، الذين جاءت لاستئصالهم، و إباده خضرائهم، و لكن هذا العتو و تلك الغطرسه سرعان ما تلاشت، ليحل محلها الضعف و الخنوع، و الخيبه القاتله، كما سنرى.

و ليس غريبا أيضا: أن نجد النبى (صلى اللّه عليه و آله) و من موقع الشعور بالمسؤوليه يعتمد الأسلوب الإنسانى، و يستثير العاطفه الناشئه عن صلات القربى و لحمه النسب، و التى تكون لها هيمنه حقيقيه على الإنسان و لا بد أن تجتاح هزاتها الجامحه كل كيانه، و كل وجوده. ثم هو (صلى اللّه عليه و آله) يقرن ذلك بالدعوه إلى اللّه عز و جل، الذى هو مصدر الخير و القوه و البركات.

رساله تهديد من أبى سفيان:

و يقال: إن أبا سفيان كتب إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله) مهددا إياه بما جمعه من الأحزاب لقتاله، و لعله قد كتب هذا الكتاب بعد وصوله إلى المدينه و حصول المواجهه، و الكتاب هو:

أما بعد .. فإنک قد قتلت أبطالنا، و أيتمت الأطفال، و أرملت النساء، و الآن قد اجتمعت القبائل و العشائر يطلبون قتالک، و قلع آثارک و قد جئنا إليک نريد نصف نخل المدينه، فإن أجبتنا إلى ذلک و إلا أبشر بخراب الديار، و قلع الآثار.

تجاوبت القبائل من نزارلنصر اللات فی بیت الحرام

و أقبلت الضراغم من قریش علی خیل مسومه ضرام فرد علیه النبی (صلی اللّه علیه و آله) بالرساله التالیه:

بسم اللّه الرحمن الرحیم، و صل کتاب أهل الشرک و النفاق، و الکفر و الشقاق، و فهمت مقالتکم، فواللّه، ما لکم عندی إلا أطراف الرماح، و شفار الصفاح. فارجعوا ویلکم عن عباده الأصنام، و أبشروا بضرب الحسام، و بفلق الهام، و خراب الدیار، و قلع الآثار، و السلام علی من اتبع الهدی) (1).

قال الشیخ محمد أبی زهره: (و نشک فی نسبه هذا الکتاب إلی النبی (صلی اللّه علیه و آله) لما فیه من السجع) (2).

و لا نری: أن السجع فی الکتاب یبرر الشک فیه، فإن خطب الزهراء، و خطب علی (علیهما السلام) لم تخل من ذلک، کما یظهر لمن راجعها.1.

1- خاتم النبیین ج 2 ص 920 و 921 عن کتاب السیره لابن جریر الطبری
2- خاتم النبیین ص 921.

ص: 310

الفصل السادس: غدر بنى قريظه

اشاره

بنو قريظه ينقضون العهد:

يقول المؤرخون: إن بنى قريظه كانوا أصحاب حصون بالمدينه و موضعهم من المدينه على قدر ميلين، و هو الموضع الذى يسمى: بئر بنى المطلب، و عددهم سبع مئه مقاتل (1).

و صاحب عقدهم و عهدهم كعب بن أسد القرظى، و كان وادع رسول اللّه على قومه و عاهده.

و كان حيى بن أخطب سيد بنى النضير، يقول لقريش فى مسيره معهم:

إن قومى بنى قريظه معكم، و هم أهل حلقه وافره، و هم سبع مئه مقاتل و خمسون مقاتلا.

فلما دنوا قال له أبو سفيان: ائت قومك حتى ينقضوا العهد الذى بينهم و بين محمد (2).

فلما جاء حيى إلى بنى قريظه كرهوا دخوله إلى دارهم، فكان أول من لقيه غزال بن سموأل، فقال له حيى: قد جئتك بما تستريح به من محمد.4

1- تفسير القمى ج 2 ص 177 و البحار ج 2 ص 217 عنه.
2- السيره الحلبيه ج 2 ص 315 و 316 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 225 و المغازى للواقدى ج 2 ص 454.

هذه قريش قد حلت وادى العقيق، و غطفان بالزغابه.

قال غزال: جئتنا- و اللّه- بذل الدهر.

قال حيى: لا تقل هذا.

ثم توجه إلى باب كعب بن أسد فدق عليه (1)، فأغلق كعب دونه باب الحصن، و قال: بينى و بين محمد عقد، و لن أنقض ما بينى و بينه.

و فى نص آخر: (لم أر منه إلا وفاء و صدقا).

زاد الواقدى: (و اللّه، ما أخفر لنا ذمه، و لا هتک لنا سترا، و لقد أحسن جوارنا).

و عند البيهقى: (لم أر رجلا أصدق و لا أوفى من محمد و أصحابه، و اللّه، ما أكرهنا على دين، و لا غصبنا مالا الخ ..).

فقال حيى: افتح الباب أكلمک.

فقال كعب: ما أنا بفاعل.

فقال: و اللّه، إن أغلقت دونى الباب إلا على جشيشتک (2) أن آكل معک منها.

فأحفظه حتى فتح له، فقال: ويحک يا كعب (جئتک بعز الدهر، و ببحر طام) جئتک بقريش على قادتها و سادتها، حتى أنختهم بالمدينه، و جئتک بغطفان على قادتها و سادتها، و قد عاهدونى ألا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا و من معه. فتأبّى كعب، و قال: جئتنى بذل الدهر، بجهام هراق ماؤها.

1- المغازى للواقدى ج 2 ص 455.
2- الجشيشه هى: البر يطحن غليظا.

و برعد و ببرق ليس فيه شى ء.

زاد الواقدى قوله: (و أنا فى بحر لجى لا أقدر على أن أريم داري، و مالى معى و الصبيان و النساء) فدعنى و محمدا، و ما أنا عليه، فلم أر منه إلا وفاء و صدقا.

فلم يزل يفتله فى الذروه و فى الغارب، حتى أعطاه عهدا من اللّه و ميثاقا أن يكون معه، على أنه إن رجعت تلك الجموع خائبه و لم يقتلوا محمدا: أن يرجع معه إلى حصنه، يصيبه ما أصابه. و نقض كعب ما بينه و بين رسول اللّه، و برئ مما كان عليه له (1).7.

1- راجع: تجارب الأمم ج 1 ص 149 و المغازى للواقدى ج 2 ص 455 و 456 و تاريخ ابن الوردى ج 1 ص 161 و بهجه المحافل ج 1 ص 265 و شرح بهجه المحافل ج 1 ص 265 و المواهب اللدنيه ج 1 ص 112 و تاريخ الخميس ج 1 ص 483 و 484 و زاد المعاد ج 2 ص 117 و حبيب السير ج 1 ص 360 و جوامع السيره النبويه ص 149 و السيره النبويه لابن هشام ج 3 ص 231 و 232 و تهذيب سيره ابن هشام ج 3 ص 190 و 191 و السيره النبويه لدحلان ج 2 ص 4 و السيره الحلبيه ج 2 ص 316 و 315 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 226 و دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 400 و 401 و 428 و 329 و راجع: وفاء الوفاء ج 1 ص 303 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 526 و 527 و مجمع البيان ج 8 ص 342 و البحار ج 20 ص 200 و 201 و 221 و 223 و نهايه الأرب ج 17 ص 170 و 171 و عيون الأثر ج 2 ص 59 و الكامل فى التاريخ ج 2 ص 180 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 237 و البدايه و النهايه ج 4 ص 103 و راجع: تفسير القمى ج 2 ص 179 و 181 و الإكتفاء ج 2 من 163 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 198 و 199 و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص 236 و 237.

(و مزقوا الصحيفه التى كان فيها العقد، و جمع رؤساء قومه و هم:

الزبير بن مطا (باطا)، و شاس (نباش) بن قيس، و عزال بن ميمون (سموأل)، و عقبه بن زيد (و كعب بن زيد) و أعلمهم بما صنع من نقض العهد، و شق الكتاب الذى كتبه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فلحم الأمر لما أراد اللّه من هلاكهم. و كان حيى بن أخطب فى اليهود يشبه بأبى جهل فى قريش).

و عند القمى: غزال بن شمول و ياسر بن قيس، و رفاعه بن زيد، و الزبير بن باطا (1).

و قال البعض: إن الزبير بن باطا كان شيخا كبيرا، مجربا، قد ذهب بصره، و قد قال لهم: إنه قرأ التوراه، و وجد فيها: أنه يبعث نبى فى آخر الزمان فى مكه، و يهاجر إلى المدينه، و ذكر لهم صفته.

فادّعى حيى بن أخطب: أن هذا النبى هو من بنى إسرائيل و هذا من العرب. و لا يكون بنو إسرائيل أتباعا لولد إسماعيل أبدا لأن اللّه قد فضلهم على الناس جميعا، ثم ادّعى أن محمدا (صلى اللّه عليه و آله) ساحر، و لم يزل حتى أقنعهم بنقض العهد، فنقضوه (2).

و يقول نص آخر: (و وعظهم عمرو بن سعدى، و خوفهم سوء فعالهم،ه.

1- السيره الحلبيه ج 2 ص 316 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 226 و تفسير القمى ج 2 ص 180 و بحار الأنوار ج 20 ص 221 و 222 عنه. و راجع: المغازى للواقدى ج 2 ص 456 و 457.
2- راجع: تفسير القمى ج 2 ص 180 و 81 و بحار الأنوار ج 20 ص 222 و 223 عنه.

و ذكرهم ميثاق رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و عهده، و قال لهم: إن لم تنصروه، فاتركوه و عدوه، فأبوا، و خرج إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من بنى قريظه بنو سعنه: أسد، و أسيد و ثعلبه، فكانوا معه، و أسلموا.

و أمر كعب بن أسد حيى بن أخطب: أن يأخذ لهم من قريش، و غطفان رهائن تكون عندهم) (1)، (لئلا ينالهم ضيم، إن هم رجعوا و لم يناجزوا محمدا، قالوا: و تكون الرهائن تسعين رجلا من أشرافهم: فنازلهم حيى على ذلك، فعند ذلك نقضوا العهد، و مزقوا الصحيفه التى فيها العقد، إلا بنى سعنه) (2).

لا بد من التثبت:

(و بلغ رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ذلك فغمه غما شديدا، و فزع أصحابه) (3)، و يقال: إن الذى أبلغ النبى ذلك هو عمر بن الخطاب، فاشتد الأمر على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و شق عليه ذلك (4)، فقال: حسبنا اللّه، و نعم الوكيل.

فبعث سعد بن معاذ، و سعد بن عباده، و خوات بن جبير، و عبد اللّه بن رواحه.7.

1- سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 527 و البدايه و النهايه ج 4 ص 103 و راجع ص 13 و دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 401.
2- البدايه و النهايه ج 4 ص 103.
3- تفسير القمى ج 2 ص 181 و بحار الأنوار ج 20 ص 223 عنه.
4- السيره الحلبيه ج 2 ص 316. و راجع: إمتاع الأسماع ج 1 ص 227 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 527 و المغازى للواقدى ج 2 ص 457.

و بعض النصوص: (لم تذكر الأخيرين و ذكرت بدلهما أسيد بن حضير) (1) يستخبرون الأمر، فوجدوهم مكاشفين بالغدر، و النيل من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فشاتمهم سعد بن معاذ و كانوا أحلافه، و انصرفوا.

و كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قد أمرهم إن وجدوا الغدر حقا أن يخبروه تعريضا، لئلا يفتوا فى أعضاد الناس، فلما جاؤوا إليه قالوا: يا رسول اللّه، عضل و القاره. يريدون غدرهم بأصحاب الرجيع) (2).9.

1- السيره الحلبيه ج 2 ص 316 و راجع: إمتاع الأسماع ج 1 ص 227 و المغازى للواقدى ج 2 ص 458 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 527 و تفسير القمى ج 2 ص 181 و بحار الأنوار ج 20 ص 223 عنه، و فيهما: (فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لسعد بن معاذ، و أسيد بن حصين، و كانا من الأوس. و كانت بنو قريظه حلفاء للأوس)، و الظاهر: أن كلمه (حصين) هى تصحيف: حضير. و ذلک كثير.
2- العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 ق 2 ص 29 و 30 و راجع المصادر التاليه: بهجه المحافل ج 1 ص 265 و المواهب اللدنيه ج 1 ص 112 و تاريخ الخميس ج 1 ص 484 و السيره النبويه لدحلان ج 2 ص 5 و زاد المعاد ج 2 ص 117 و جوامع السيره النبويه ص 149 و الإكتفاء للكلاعى ج 2 ص 164 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 199 و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص 237 و عيون الأثر ج 2 ص 59 و السيره النبويه لابن هشام ج 3 ص 232 و 233 و السيره الحلبيه ج 2 ص 316 و 317 و إمتاع الاسماع ج 1 ص 227 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 527 و تهذيب سيره ابن هشام ص 191 و 192 و دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 429 و 430 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 238 و البدايه و النهايه ج 4 ص 103 و 104 و تفسير القمى ج 20 ص 181 و بحار الأنوار ج 20 ص 223 و 201 و مجمع البيان ج 8 ص 342 و المغازى للواقدى ج 2 ص 458 و 459.

و قال ابن إسحاق و آخرون: (إن الذی شاتمهم هو سعد بن عباده.

و کان رجلا فیه حده، فقال ابن معاذ: دع عنک مشاتمتهم، فما بیننا و بینهم أربی من المشاتمه) (1).

و الذی شاتم ابن عباده هو نباش بن قیس (2).

و قال أسید بن حضیر لکعب: (أتسب سیدک یا عدو اللّه؟! ما أنت له بکفؤ یا بن الیهودیه، و لتولینّ قریش إن شاء اللّه منهزمین، و تترکک فی عقر دارک، فنسیر إلیک، فننزلک من جحرک هذا علی حکمنا) (3).

و قال موسی بن عقبه: (فدخلوا معهم حصنهم، فدعوهم إلی الموادعه و تجدید الحلف، فقالوا: الآن و قد کسر جناحنا و أخرجهم؟ (یریدون بنی النضیر). و نالوا من رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) فجعل سعد بن عباده یشاتمهم فأغضبوه فقال له سعد بن معاذ: إنا و اللّه ما جئنا لهذا، و لما بیننا أکبر من المشاتمه.

ثم ناداهم سعد فقال: إنکم قد علمتم الذی بیننا و بینکم یا بنی قریظه،8.

1- راجع: شرح بهجه المحافل ج 1 ص 265 عن البغوی، و تاریخ الخمیس ج 1 ص 484 و عیون الأثر ج 2 ص 59 و السیره الحلبیه ج 2 ص 316 و 317 عن الشیخین و سبل الهدی و الرشاد ج 4 ص 527 و مجمع البیان ج 8 ص 342 و بحار الأنوار ج 20 ص 201 و المغازی للواقدی ج 2 ص 458. و نقل فی البدایه و النهایه ج 4 ص 104 عن ابن إسحاق عکس ذلک.
2- راجع: سبل الهدی و الرشاد ج 4 ص 227 عن ابن عقبه، و الواقدی، و ابن عائذ، و ابن سعد.
3- سبل الهدی و الرشاد ج 4 ص 527 و 528 و المغازی للواقدی ج 2 ص 458.

و أنا خائف عليكم مثل يوم بنى النضير، أو أمرّ منه.

فقالوا: أكلت ... (1) أبيک.

فقال: غير هذا من القول كان أجمل بكم و أحسن).

إلى أن قال: (فأمرهم بكتمان خبرهم) (2).

و عند القمى: أنه لما رجع سعد بن معاذ و أسيد إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله) و أخبراه بنقض قريظه، قال (صلى اللّه عليه و آله): (لعناء، نحن أمرناهم بذلک)، و ذلک أنه كان على عهد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) عيون لقريش يتجسسون خبره (3).

و فى نص آخر: أنهم لما قالوا للنبى (صلى اللّه عليه و آله): عضل و القاره، قال (صلى اللّه عليه و آله): (اللّه أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين) (4).

أو قال: (أبشروا بنصر اللّه و عونه) (5).9

1- كلمه يستقبح التصريح بها.
2- البدايه و النهايه ج 4 ص 104 و دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 403.
3- تفسير القمى ج 2 ص 181 و البحار ج 20 ص 223 عنه.
4- راجع: تاريخ الخميس ج 1 ص 484 و السيره الحلبيه ج 2 ص 317 و السيره النبويه لدحلان ج 2 ص 5 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 238 و البدايه و النهايه ج 4 ص 104 و مجمع البيان ج 8 ص 342 و بحار الأنوار ج 20 ص 201 و عيون الأثر ج 2 ص 6 و زاد المعاد ج 2 ص 118 و الإكتفاء للكلاعى ج 2 ص 164 و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص 237.
5- إمتاع الأسماع ج 1 ص 227 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 528 و المغازى للواقدى ج 2 ص 459.

زاد البعض قوله: (إنى لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق، و آخذ المفتاح و ليهلكن كسرى و قيصر، و لتنفقن أموالهم فى سبيل اللّه. يقول ذلک حين رأى ما بالمسلمين من الكرب، ثم تقنع الخ ..) (1).

و يقول الحلبى إنه قال: (نصره اللّه و عونه، و تقنع بثوبه و اضطجع، و مكث طويلا، فاشتد على الناس البلاء و الخوف حين رأوه (صلى اللّه عليه و آله) اضطجع، ثم رفع رأسه و قال: أبشروا بفتح اللّه و نصره) (2).

ثم إنه قد بقيت لنا مع النص المتقدم وقفات.

و نحن نلخصها فى المطالب التاليه:

النزعه العنصريه لدى اليهود:

أول ما يستوقفنا هنا: الطريقه التى أحبط بها حيى مقاله الزبير بن باطا حول نبى تحدثت عنه التوراه، يبعث فى مكه، و يهاجر إلى المدينه.

فإنه ضرب على الوتر الحساس لدى اليهود، حين طرح لهم مقوله: أن هذا النبى لا بد أن يكون إسرائيليا، مستندا إلى مقوله ترتكز على النزعه العنصريه لدى اليهود، حيث قال لهم: لا يكون بنو إسرائيل أتباعا لولد إسماعيل الخ ..

و قد أشرنا إلى هذا الموضوع بصوره أوسع فى كتابنا: (سلمان الفارسى0.

1- سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 528.
2- السيره الحلبيه ج 2 ص 317 و راجع: سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 528 و البدايه و النهايه ج 4 ص 104 و المغازى للواقدى ج 2 ص 459 دلائل النبوه للبيهقى ج 3 ص 403 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 199 و 200.

فی مواجهه التحدی).

وفاء الیهود:

و قد اتضح أیضا: أن الیهودی حین یلتزم بعهده، فإنه لا ینطلق فی ذلک من شهامه، و لا کرامه و لا نبل، و لا لأجل أنه یلتزم بشرف الکلمه .. و إنما لأنه یری أن نقضه له سوف یلحق به ضررا من نوع ما؛ فإذا اطمأن إلی عدم وجود ضرر فی ذلک فإنه یبادر إلیه، دونما وازع أو رادع.

و قد رأینا: أن کعب بن أسد ینقض العهد حین تخیل أنه سیحقق ما یتمناه من استئصال محمد (صلی اللّه علیه و آله) و من معه، واقتنع بأن القوه التی حشدتها الأحزاب کافیه فی تحقیق هذه الأمنیه، و أن المستقبل الرغید و السعید سیکون بانتظاره، و أصبح علی الأبواب.

طریقه حیی للتأثیر علی کعب بن أسد:

ویلفت نظرنا هنا: الطریقه التی أثار فیها حیی بن أخطب حفیظه کعب بن أسد حتی فتح له، حیث اتهمه بأنه لا یفتح له خوفا من أن یأکل من طعامه؛ ففتح له حینئذ الباب، الذی کان باب الخزی و الخسران، و الذل الأبدی، و البوار فی الدنیا و الآخره.

و لکن کعبا هذا: رغم اعترافه بأنه لم یر من النبی (صلی اللّه علیه و آله) إلا الوفاء و الصدق، و غیر ذلک فإنه ینقض العهد معه، حبا للدنیا، و طمعا بها فکان له الدمار و الهلاک.

و حسبک بهذا دلاله علی تفاهه تفکیر هؤلاء الناس، و سفاهه عقولهم، و تناقضهم السافر فی مواقفهم.

دوافع نقض العهد:

أما ما قدمه من امتیاز لکعب بن أسد و لبنی قریظه لیثیر شهیتهم لنقض العهد، و الدخول معهم فی حرب محمد فهو استئصال محمد و من معه.

و قد اشترط کعب لنفسه إن لم یتحقق هذا الهدف أن یواجه حیی بن أخطب معه کل السلبیات التی تنشأ عن عدم استئصال محمد و من معه، حیث شرط علیه أن یدخل معه حصنه، و یصیبه ما أصابه فقبل حیی بن أخطب ذلک.

و ذلک یوضح لنا: صوابیه القرار الذی اتخذه الرسول (صلی اللّه علیه و آله) بتنفیذ حکم سعد بن معاذ فی بنی قریظه، و هو الحکم الذی أعطاه بنو قریظه أنفسهم موافقتهم المسبقه علیه، بل هم الذین اقترحوا تحکیم سعد بن معاذ فیهم.

و سیأتی بحث هذا الموضوع فی غزوه بنی قریظه إن شاء اللّه تعالی.

جهام بلا ماء:

و لم یکن کعب بن أسد یری فی کل تلک الجموع قدره علی تحقیق الهدف الذی تسعی له، أو یشفی الغلیل، و ما هی إلا رعد و برق فارغ، و سراب خادع.

و لعل مما ساعد علی تکوّن تلک النظره لدیه هو ما جری فی حرب بدر و أحد، و قینقاع، و النضیر، و غیرها. مع رؤیته وجود فرق کبیر فیما بین قدرات المسلمین فی السابق و فی اللاحق. فقد تنامت قدراتهم، و اتسع نفوذهم، و تأکدت هیمنتهم علی المنطقه بأسرها. کما أن الخطه التی اتبعها رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) فی مواجهه الأحزاب قد کانت علی مرأی

و مسمع من بنى قريظه، و هم يعرفون: أنها خطه ناجحه إلى حد كبير، و لا يمكن اختراقها، و تحقيق فجوه فيها بسهوله.

الشعور بالذنب و الخيانه:

و إذا كان كعب يعترف بوفاء و صدق محمد، و بسائر المواقف النبيله و الإنسانيه لنبى الإسلام، فإنه يكون قد اعترف ضمنا بالخيانه و بالغدر، فهل كان حقا قد شعر بالذنب و بتأنيب الضمير؟!

لو كان قد شعر بذلک حقا لبدرت منه بادره تراجع أو ندم و لكن اللّه لا يوفق كل ظلوم كفار، و لن يكون لغادر فلاح، و لا لخائن نجاح. و المصير الذى انتهى إليه بنو قريظه خير شاهد على ذلک.

عده مبعوثين لمهمه واحده:

لقد رأينا فيما سبق: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد أرسل أكثر من شخص واحد لكشف خبر بنى قريظه. و لعل ذلک يرجع إلى أن الجماعه تكون فى مناسبات مشحونه بالتوتر أكثر تدبرا للأمور فى المواقع التى تشهد تصعيدا خطيرا، و على درجه كبيره من الحساسيه. و يمكن لبعضهم أن يستعين بالبعض الآخر، و يسدده و يعضده، لو كان ثمه ما يقتضى اتخاذ موقف أو القيام بمبادره من نوع ما.

كما أن ذلک يجعل الخبر الذى يأتى به هؤلاء، ليتخذ على أساسه قرارات فى غايه الخطوره، ترتبط بمستقبل و مصير أمه من الناس، يجعله أكثر دقه، و وضوحا، و أبعد عن اللبس، و عن احتمالات تدخل الأهواء فى صياغته و فى أدائه. بالإضافه إلى أنه يقطع العذر لمن يريد أن يغدر و يمكر، ثم يجنب

نفسه عواقب هذا الغدر و المكر، حتى تلوح له بوادر فشله، و خيبته. إذ لا بد أن يحيق به مكره السيئ، و لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

و الملفت للنظر هنا بالذات: أنه (صلى اللّه عليه و آله) لا يختار لهذه المهمه أناسا عاديين، بل يختار لها الرؤساء و الكبراء الذين يحترمهم رؤساء بنى قريظه. و قد اختار (صلى اللّه عليه و آله) أن يكونوا جميعا من الأنصار، و فيهم خصوص سعد بن معاذ، سيد الأوس، و سعد بن عباده سيد الخزرج، لكى يلمس اليهود وجود التفاهم و الانسجام الكامل، و العميق و الراسخ فيما بين هاتين القبيلتين، اللتين لهما تاريخ طويل من الصراع. ثم ليستمعوا من هذين الزعيمين، و خصوصا من سعد بن معاذ، ما يزيل لهم كل شبهه و يدفع أى لبس أو تشكيك فى حقيقه موقفهما.

مع ملاحظه: أن بين بنى قريظه و بين الأوس حلف و عهد، يلزمهم الوفاء به. ثم إن هذه البادره منه (صلى اللّه عليه و آله) ما هى إلا تعبير لهم عن حسن النيه، و تدخل فى سياق تهيئه الأجواء لهم ليعودوا عن قرارهم الخيانى، إذا كانوا يطمعون بوفاء سعد و قبيلته لهم، و هم الذين يفترض بهم أن يعيشوا معهم بعد رحيل الأحزاب، و عليهم أن يفكروا بأن لا يحرقوا السفن وراءهم، فإن ذلك سوف يحرمهم من السلامه فى نهايه المطاف.

طريقه الرمز فى نقل المعلومات الحساسه:

و قد طلب (صلى اللّه عليه و آله) من رسله إلى بنى قريظه: أن يستعملوا طريقه الرمز فى تأديه المعلومات إليه، إذا كانت تلك المعلومات ذات طابع خاص يميزها بالخطوره و الحساسيه، و كان للجهر بها أثر سلبى على المعنويات.

كما أن ذلک يفرض أن يكون الذين يتم اختيارهم لمهمات من هذا القبيل لديهم المؤهلات الكافيه لاختيار أسلوب الرمز المناسب مع قدرتهم على تصنيف المعلومات نفسها وفقا للخطه التى ترسمها القياده.

البشائر النبويه بالنصر:

و حين بلغ النبى (صلى اللّه عليه و آله) خبر نقض بنى قريظه للعهد، الذى من شأنه أن يهد العزائم، و يثير حاله من الهلع فى صفوف أهل الإسلام فإنه يعلن بالتكبير، الذى يؤذن بالغلبه و الفلاح و النجاح، ثم يبشرهم بالنصر الأكيد الساحق، و بالسيطره على العالم بأسره.

و لكنه (صلى اللّه عليه و آله) لم يذكر لهم مضمون البشاره إلا بعد أن اضطجع و تقنع بثوبه، و طال انتظارهم له، واشتد عليهم البلاء و الخوف فجاءت البشاره لتبخر ذلک الخوف، و تكشف البلاء، و ليفهمهم أن كلامه هذا ليس لمجرد التطمين و رفع المعنويات.

حده سعد بن عباده:

و قد أشرنا فيما سبق: إلى أن وصفهم لسعد بن عباده بالحده ليس له ما يبرره، و يبدو أن ذلک من تزييفات الحاقدين على سعد، لإقدامه على طلب الخلافه فى يوم السقيفه، و هو ذنب يصعب أن يغفره له الآخرون، و إن كان أبو بكر قد استطاع بما لديه من حنكه و دهاء أن يقلب الأمور رأسا على عقب، و يفوز هو بالأمر كما يعلمون.

كما أن سعدا هو والد قيس نصير علىّ و الحسن، و المجاهد بين أيديهما فى سبيل اللّه.

أسید بن حضیر:

و قد ذکر أسید بن حضیر فیما سبق کبدیل عن بعض الشخصیات التی أرسلها النبی (صلی اللّه علیه و آله) لکشف خبر بنی قریظه ثم أعطوه دورا هاما جدا، و هو أنه قد أخبر بنی قریظه بتفاصیل ما سوف یجری لهم، و قد تحقق ما قال حرفا فحرفا، و کأنه یقرؤه فی کتاب.

و نحن لا نصدق کل ذلک عن أسید، الذی کان یحظی بعنایه خاصه من قبل بعض التیارات؛ لأنه کان قریب أبی بکر، و کان له دور هام فی توطید أمر أبی بکر فی یوم السقیفه، و کان أحد المهاجمین لبیت فاطمه (علیها السلام) و کان للسلطه اهتمام ظاهر به، و سعی لتسطیر الفضائل و الکرامات له، و منحه الأوسمه، بسبب و بلا سبب [1].

فضیله مکذوبه للزبیر:

عن عبد اللّه بن الزبیر، قال: کنت یوم الأحزاب، أنا و عمر بن أبی سلمه مع النساء فی أطم حسان، فنظرت، فإذا الزبیر علی فرسه یختلف إلی بنی قریظه مرتین أو ثلاثا، فلما رجعت قلت: یا أبت رأیتک تختلف!

قال: رأیتنی یا بنی؟!

قلت: نعم.

قال: کان رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قال: من یأت قریظه، فیأتینی بخبرهم؟!ه.

1- راجع کتابنا (حدیث الإفک)- فصل: الفضائل و السیاسه.

فانطلقت، فلما رجعت جمع لی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أبویه، فقال: (فداک أبی و أمی) (1).

و فی روایه أخری: أن عمر بن الخطاب لما أخبر النبی (صلی اللّه علیه و آله) بنقض بنی قریظه للعهد، قال (صلی اللّه علیه و آله): من نبعث یعلم لنا علمهم؟!

فقال عمر: الزبیر بن العوام.

فکان أول من بعث رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) من الناس، الزبیر بن العوام، فقال: اذهب إلی بنی قریظه، فذهب الزبیر فنظر، ثم رجع، فقال: یا رسول اللّه، رأیتهم یصلحون حصونهم، و یدربون طرقهم، و قد جمعوا ماشیتهم.

فذلک حین قال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): إن لکل نبی حواریا و حواریی الزبیر ابن عمتی.ر.

1- المواهب اللدنیه ج 1 ص 112 و السیره الحلبیه ج 2 ص 217 و راجع ص 327 و 328 کلاهما عن الشیخین. و قال الترمذی: حدیث حسن و التاریخ الکبیر للبخاری ج 6 ص 139. و قول الزبیر الأخیر: موجود فی السیره النبویه لدحلان ج 2 ص 5 و 10 و کذا فی سبل الهدی و الرشاد ج 4 ص 562 لکنه لم یصرح ببنی قریظه و حدائق الأنوار ج 2 ص 590 عن الصحیحین، و لیس فیهما تصریح ببنی قریظه أیضا. و فیه: أنه لما قال له الزبیر: أنا. قال: إن لکل نبی حواری و إن حواریی الزبیر، و راجع: صحیح البخاری کتاب أصحاب النبی، باب مناقب الزبیر.

ثم تذكر القصه إرسال السعدين إلى بنى قريظه (1).

و نقول:

إن هذه الروايه لا تصح، و ذلک للأمور التاليه:

أولا: إنها تخالف سائر الروايات و تناقضها؛ لأنها مجمعه على أن السعدين هما اللذان جاءا بخبر نقض بنى قريظه للعهد.

و حاول البعض توجيه ذلک، و رفع التنافى فقال: (لا منافاه بين إرسال الزبير و إرسال هؤلاء، لاحتمال أنهم أرسلوا دفعه، أو بعد إرساله، و خص هؤلاء القوم بالإرسال لأنهم حلفاؤهم، فيحتمل أن يرجعوا إلى العهد بعد نقضه حياء من حلفائهم، فغلبت عليهم الشقوه) (2).

و قال الحلبى: (و لعل هذا- أى إرسال السعدين و من معهما- كان بعد إرسال الزبير إليهم ليأتى بخبرهم، هل نقضوا العهد استثباتا للأمر) (3).

و نقول:

إن احتمال إرسال الزبير بعد تلک الجماعه ليس له ما يبرره، إذ إن إخبار هؤلاء الكبار كان يكفى فى ثبوت هذا الأمر لديه (صلى اللّه عليه و آله).

و أما إرسال الزبير قبلهم، فهو أيضا فى غير محله، إذا كان (صلى اللّه عليه و آله) عازما من أول الأمر على إرسال تلک الجماعه، إذ إن إرساله لا يفيد شيئا فى حصول اليقين له (صلى اللّه عليه و آله)، أما مجرد الاحتمال فقد7.

1- المغازى للواقدى ج 2 ص 457 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 227.
2- السيره النبويه لدحلان ج 2 ص 5.
3- السيره الحلبيه ج 2 ص 317.

حصل بإخبار عمر له أولا حسبما تقدم.

ثانيا: أضف إلى ما تقدم: أننا لم نفهم السر فى أن الزبير حين أرسله النبى (صلى اللّه عليه و آله) ليأتيه بخبرهم، قد تردد إليهم مرتين أو ثلاثا، ألم تكن المره الأولى كافيه لوقوفه على حقيقيه أمرهم؟! و لماذا الترديد بين المرتين و الثلاث، فهل نسى ولده عبد اللّه عدد المرات التى رصدها و سأل أباه عنها؟!

ثالثا: إننا لم نعرف وجه تسميه الأطم ب (أطم حسان)، مع أن النساء كن فى أطم بنى حارثه، إلا أن يكون قد أراد الإشاره إلى أن جبن حسان قد تجلى فى هذا الأطم بالذات، ثم اشتهر به بسبب ذلک، و لكن ذلک- على كل حال- يحتاج إلى إثبات.

رابعا: قال ابن عبد البر: (ثبت عن الزبير أنه قال: جمع لى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أبويه مرتين: يوم أحد، و يوم بنى قريظه، فقال: (ارم فداک أبى و أمى).

فقال: و لعل ذلک كان فى أحد: (إن لكل نبى حواريا، و إن حواريى الزبير الخ..) (1).

خامسا: إن ابن الزبير كان يوم الخندق طفلا صغيرا، لا يعقل مثل هذه الأمور، فلا يصح أن يسأل أباه هذا السؤال، ثم يجيبه أبوه بذلک الجواب الذى لا يدرک مغزاه إلا ذو الحجى، و لا يخاطب به طفلا صغيرا، عمره على أبعد الأقوال أربع سنوات، أو سنتان و نصف سنه- كما هو قول الأكثر-7.

1- السيره الحلبيه ج 2 ص 317.

فضلا عن القول الذی یذکر: أنه ولد فی أحد، أو فی الخندق بالذات، و لتوضیح ذلک نقول:

رغم أنهم یقولون: إن ابن الزبیر کان أول مولود فی الإسلام من المهاجرین (1)، مع وضوح خطأ الرازی فی قوله: إنه أول مولود ولد فی الإسلام (2)- رغم ذلک- فإنهم قد اختلفوا فی تاریخ ولادته، علی النحو التالی:

1- فریق یقول: إن أسماء حملت بعبد اللّه فی مکه، و خرجت مهاجره إلی المدینه، فلما دخلت المدینه نزلت قباء، فولدته بقباء (3).

2- و بعضهم أطلق القول فی ولادته، فقال: ولد عام الهجره، أو ما7.

1- السیره النبویه لابن کثیر ج 2 ص 231 و الإستیعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج 2 ص 301 و 302 و تهذیب الأسماء ج 1 ص 266 و سیر أعلام النبلاء ج 3 ص 363 و 365 و مستدرک الحاکم ج 3 ص 548 و تلخیصه للذهبی (مطبوع بهامشه) و تاریخ الصحابه ص 150 و تهذیب الکمال ج 14 ص 509 و راجع: أسد الغابه ج 3 ص 161 و مختصر تاریخ دمشق ج 12 ص 170 و 171 و 172 و البدایه و النهایه ج 3 ص 230 و السیره الحلبیه ج 2 ص 89 و 80 و التبیین فی أنساب القریشیین ص 257 و تهذیب التهذیب ج 5 ص 213 و الإصابه ج 2 ص 309 و 310.
2- الجرح و التعدیل ج 5 ص 56 و خلاصه تذهیب تهذیب الکمال ص 197.
3- تاریخ الصحابه لابن حبان ص 150 و الإستیعاب (بهامش الإصابه) ج 3 ص 301 و السیره النبویه لابن کثیر ج 3 ص 231 و التاریخ الکبیر ج 5 ص 6 و حلیه الأولیاء ج 1 ص 333 و مختصر تاریخ دمشق ج 12 ص 171 و التبیین فی أنساب القریشیین 257 و السیره الحلبیه ج 2 ص 79 و الثقات ج 3 ص 212 و الجمع بین رجال الصحیحین ج 1 ص 240 و نسب قریش لمصعب ص 237.

يقرب من هذه العباره، و بعضهم ذكر ذلک بلفظ قيل (1).

3- و نجد الآخرين يقولون: إنه ولد فى شوال السنه الثانيه للهجره النبويه الشريفه (2).

و القائلون بهذا القول هم الأكثر (3).

لكن عباره عدد منهم هكذا: هاجرت به أمه و هى حامل، فولد بعد الهجره بعشرين شهرا (4).0.

1- راجع: البدايه و النهايه ج 3 ص 230 و وفيات الأعيان ج 3 ص 71 و مستدرک الحاكم و تلخيصه للذهبى ج 3 ص 548 و الإصابه ج 2 ص 309، و راجع: سيره أعلام النبلاء ج 3 ص 363 و أسد الغابه ج 3 ص 163 و تهذيب الكمال ج 14 ص 509 و تهذيب التهذيب ج 5 ص 213 و تهذيب الأسماء ج 1 ص 166 و أنساب الأشراف ج 5 ص 375.
2- الإستيعاب بهامش الإصابه ج 3 ص 551 و الإصابه ج 2 ص 309 عن الواقدى و من تبعه، و سير أعلام النبلاء ج 3 ص 363 و خلاصه تذهيب تهذيب الكمال ص 197 و تهذيب الأسماع ج 2 ص 266 و المحبر ص 275 و 276 و راجع: السيره النبويه لابن كثير ج 2 ص 231 و أسد الغابه ج 3 ص 161 و مختصر تاريخ دمشق ج 12 ص 171 عن الزبير بن بكار و السيره الحلبيه ج 2 ص 80 عن الواحدى و غيره.
3- تهذيب التهذيب ج 5 ص 214 و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج 3 ص 551.
4- راجع: الإستيعاب (بهامش الإصابه) ج 2 ص 301 و تهذيب التهذيب ج 5 ص 213 و راجع: أسد الغابه ج 3 ص 161 و تهذيب الكمال ج 14 ص 509 و البدايه و النهايه ج 3 ص 230 و المحبر ص 275 و 276 و الجمع بين رجال الصحيحين لابن العسقلانى ج 1 ص 240.

قال العسقلانى: (لا يتجه إلا بتقدير أن يكون قد أقام فى بطنها نحو سنتين، و لم أر من صرح بذلک) (1).

و لعل هذا هو السبب فى أنه قد استظهر أن يكون القول بولادته فى أول سنىّ الهجره أقرب إلى الصحه، و إن كان الأكثر على خلافه (2).

4- و يؤيد القول بأنه قد ولد بعد الهجره بعشرين شهرا، و أنه قد ولد فى السنه الثانيه قولهم: إنه قتل فى السنه الثلاث و سبعين، و له اثنتان و سبعون سنه (3).

5- إنهم يقولون: إن النعمان بن بشير ولد قبل ابن الزبير بسته أشهر، على رأس أربعه عشر شهرا من الهجره (4).

و قال الذهبى: ولد سنه اثنتين (5).

و قالوا أيضا: إن النعمان هذا قد ولد قبل وفاه النبى (صلى اللّه عليه8.

1- تهذيب التهذيب ج 5 ص 213 و 214 و راجع: السيره الحلبيه ج 2 ص 80.
2- تهذيب التهذيب ج 5 ص 214.
3- الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج 2 ص 303 و مختصر تاريخ دمشق ج 12 ص 198 و ج 24 ص 190 و وفيات الأعيان ج 3 ص 74 و الجمع بين رجال الصحيحين ج 1 ص 240 و الكامل فى التاريخ ج 2 ص 359 و طبقات ابن سعد (ط دار صادر) ج 5 ص 43.
4- البدايه و النهايه ج 3 ص 230 و الإصابه ج 3 ص 559 و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج 3 ص 151 و تهذيب التهذيب ج 10 ص 448 و 447 و المحبر ص 276 و تهذيب الأسماء ج 2 ص 129.
5- سير أعلام النبلاء ج 3 ص 411 و تهذيب التهذيب ج 10 ص 448.

و آله) بثمان سنين و سبعه أشهر.

و قيل: ست سنين. و الأول أصح.

و قال ابن الزبير: النعمان أكبر منى بسته أشهر. و هو أول مولود للأنصار بعد الهجره (1). و ذلک يعنى أن ابن الزبير قد ولد فى السنه الثالثه.

6- إنهم يقولون: إن ابن الزبير يكبر مروان بن الحكم بأربعه أشهر (2).

و مروان ولد فى الثالثه يوم أحد كما عن مالک، أو فى الرابعه، أو يوم الخندق- كما عن ابن عبد البر- أو فى الثانيه. فراجع ترجمه مروان فى كتب السير و التراجم (3)..

7- و يقولون أيضا: كان لابن الزبير حين موت النبى (صلى اللّه عليه و آله) ثمانيه سنين و أربعه أشهر (4).

و لعل قول ابن إسحاق: كان له تسع سنين (5)، لا ينافى ذلک؛ إذا كان قد4.

1- أسد الغابه ج 5 ص 22.
2- سير أعلام النبلاء ج 3 ص 476.
3- راجع على سبيل المثال: الإصابه ج 3 ص 477 و 478 و تهذيب الأسماء ج 2 ص 87 و أسد الغابه ج 4 ص 348 و تهذيب التهذيب ج 10 ص 91 و 92 و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج 3 ص 425 و البدايه و النهايه، و تاريخ الأمم و الملوک (ط دار المعارف) ج 5 ص 611 و طبقات ابن سعد (ط دار صادر) ج 5 ص 36 و فى مختصر تاريخ دمشق ج 24 ص 184 و 179: أن عمر مروان حين موت النبى كان ثمانيه سنين. و راجع: الكامل فى التاريخ ج 4 ص 192
4- راجع: تهذيب الكمال ج 14 ص 509 و سير أعلام النبلاء ج 3 ص 364 و مختصر تاريخ دمشق ج 12 ص 171.
5- الإصابه ج 2 ص 301 و تهذيب التهذيب ج 5 ص 514.

قال ذلک علی سبیل التقریب، لا التحدید ..

8- قال العسقلانی عن عمر بن أبی سلمه: (ولد بالحبشه فی السنه الثانیه. و قیل: قبل ذلک. و قبل الهجره إلی المدینه.

و یدل علیه قول عبد اللّه بن الزبیر: کان أکبر منی بسنتین الخ ..) (1).

و جزم ابن عبد البر بأنه ولد فی الثانیه، و عند الذهبی: ولد فی أواخرها (2).

9- و أخیرا: فقد روی البخاری عن عروه: أن الزبیر أرکب ولده عبد اللّه یوم الیرموک فرسا و هو ابن عشر، و وکل به رجلا (3).

و قد کانت وقعه الیرموک سنه 13 ه أو 15 ه. و علیه الجمهور (4). و یدل علیه کتاب الصلح الذی کتبه خالد للنصاری حینما أراد النهوض إلی الیرموک، و قد أرخه بسنه خمس عشره (5). فتکون ولاده ابن الزبیر فی السنه الثالثه أو الخامسه، و هو ما أیدته بعض الشواهد المتقدمه، خصوصا قولهم1.

1- الإصابه ج 2 ص 518 و تهذیب التهذیب ج 7 ص 456.
2- الإستیعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج 2 ص 475 و راجع: الثقات ج 3 ص 263 و الجمع بین رجال الصحیحین ج 1 ص 339 و المحبر ص 293 و راجع: تهذیب التهذیب ج 7 ص 456 و تهذیب الأسماء ج 2 ص 16
3- صحیح البخاری ج 3 کتاب المغازی، باب قتل أبی جهل، و سیر أعلام النبلاء ج 3 ص 365.
4- عمده القاری ج 17 ص 90 و ذکر هذا التاریخ فی مصادر کثیره، فراجع علی سبیل المثال: تاریخ ابن الوردی ج 1 ص 191 و إرشاد الساری ج 6 ص 252 و فتح الباری ج 7 ص 233.
5- فتوح البلدان ص 130 و البدایه و النهایه ج 7 ص 21.

فى ولاده مروان. و قد اعتذر العسقلانى و غيره عن قصه اليرموك هذه: بأنها قد جاءت على سبيل إلغاء الكسر (1).

و لكنه اعتذار واه، لأن إلغاء خمس أو ثلاث سنوات، من أصل خمس عشره سنه، بعيد و مستهجن، خصوصا إذا كان فى مقام التحديد، من أجل إظهار فضيله و خصوصيه خاصه للزبير، و لو سلمنا، فإنما يقبل هذا الاعتذار بعد ثبوت كون سن عبد اللّه هو عشر سنين، و هو لم يثبت.

بل الظاهر: خلافه كما قلنا.

من الذى شاتم بنى قريظه؟!

و قد ذكرت إحدى الروايات السابقه: أن ابن إسحاق و بعضا آخر يقولون:

إن سعد بن عباده هو الذى شاتم بنى قريظه، و كان رجلا فيه حده، و نقول:

1- قد روى عن ابن إسحاق ما يخالف ذلک، و أن الذى شاتمهم هو ابن معاذ.

2- إن قول أسيد بن حضير لكعب بن أسد: أتسب سيدک يا عدو اللّه، يشير إلى: أن الذى شاتمهم هو ابن معاذ، لأنه هو الذى كان بينه و بينهم حلف، و يحسن وصفه بأنه سيدهم. أما ابن عباده فحاله معهم حال سائر الناس.

إلا أن يقال: إن مراده بالسيد هو رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) نفسه.

أو أن يقال: إنه إنما قال ذلک لإظهار عظمه ابن عباده و امتيازه عليهم،3.

1- فتح البارى ج 7 ص 233 و عمده القارى ج 17 ص 91 و إرشاد السارى ج 6 ص 253.

بالإسلام، و بأنه رئيس قومه. و الذى نستقر به هو: أن المشاتمه قد حصلت لكلا الرجلين، فابن معاذ شتم من قبل كعب بن أسد، و ابن عباده شتم من قبل شاس (نباش) بن قيس حسبما تقدم، ثم قال أحدهما للآخر: دع عنک مشاتمتهم، فما بيننا و بينهم أربى من المشاتمه.

عمر عرف بأمر بنى قريظه:

و يذكر النص التاريخى: أنه لما نقض بنو قريظه العهد (بلغ عمر بن الخطاب نقض بنى قريظه العهد، فأعلم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بخبرهم) (1).

و نقول:

إن لم تكن هذه القضيه كاذبه، فإننا لا ندرى ما السبب فى أن ذلک بلغ خصوص عمر بن الخطاب دون النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و دون كل المسلمين الآخرين؟ فهل كان لعمر جواسيس لدى بنى قريظه يخبرونه بكل مواقفهم و تحركاتهم؟ أم أنه علم ذلک من جهه المشركين؟

إننا نعترف بالعجز عن إدراک الحقيقه، و ليس فى النصوص التى بين أيدينا ما يكشف لنا عن هذا الأمر..

و لا نريد أن نذكر القارئ بما ذكرناه فى غزوه أحد، و بما سيأتى فى هذه الغزوه من أن رموز الشرک، كخالد بن الوليد، و ضرار بن الخطاب كانوا يتحاشون إيصال الأذى إلى عمر بن الخطاب، و لا ندرى سر و سبب ذلک،ت.

1- راجع: سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 527 و بقيه المصادر تقدمت تحت عنوان: لا بد من التثبت.

لا سيما و أنهم يصرحون له بأنهم يتخذون ذلک يدا لهم عنده.

هذا بالإضافه: إلى قضايا أخرى لا مجال للتذكير بها الآن، رغم أن أهل الشرک إلى أن انقضت غزوه الخندق، كانوا يعتقدون أن بالإمكان اقتلاع الإسلام و استئصاله من جذوره، و كانوا يهتمون بقتل كل من تصل إليه أيديهم، و لا سيما من بنى هاشم، كحمزه و عبيده بن الحارث، و علىّ (عليه السلام) و غيرهم. فلماذا يريدون قتل هؤلاء، و لا يريدون قتل غيرهم من رجالات الإسلام؟

أحلاف عباده بن الصامت:

و يذكر البعض: (أنه لما خرج النبى (صلى اللّه عليه و آله) يوم الأحزاب قال عباده بن الصامت: يا رسول اللّه، إن معى خمس مئه رجل من اليهود، و قد رأيت أن يخرجوا معى، فأستظهر بهم على العدو..

فأنزل اللّه تعالى: لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْ ءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً وَ يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (1)) (2).

و نقول:

إن هذا الكلام لا يصح.

أولا: لأن ظاهر الآيه يأبى الانطباق على واقعه من هذا القبيل فإنها تزجر عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، و لم يكن عباده يريد أن7.

1- الآيه 28 من آل عمران.
2- الجامع لأحكام القرآن ج 4 ص 58 و تفسير الخازن ج 1 ص 227.

يتخذهم أولياء من دون المؤمنين، بل هو يريد أن يشركهم فى الدفاع عن أهل الإيمان، حبا منه بسلامه المؤمنين. فهذا التحذير القوى، و استثناء حاله مصانعتهم تقيه، و التنصيص على أنه يواليهم من دون أهل الإيمان يبعد القضيه عن أن تكون فى شأن عباده.

ثانيا: من أين يأتى عباده بخمس مئه يهودى ليقاتلوا معه؟ فقد أجلى بنو قينقاع و بنو النضير عن ديارهم، و لم يكونوا ليدافعوا عن الإسلام، بل كانوا هم المحرضين للأحزاب على حرب النبى (صلى اللّه عليه و آله) و المسلمين.

و بنو قريظه قد نقضوا العهد، و أصبحوا مع الأحزاب.

عريش جديد لأبى بكر:

و يستفاد من كلام الواقدى: أنه قد كان ثمه ما يشبه العريش- عريش بدر- لأبى بكر فيذكر: أن أبا بكر كان مع النبى (صلى اللّه عليه و آله) (فى قبه من أدم مضروبه فى أصل الجبل، عند المسجد الذى فى أسفل، معه أبو بكر، و المسلمون على خندقهم يتناوبون) (1).

فجاء عمر إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله) و أخبره بنقض بنى قريظه للعهد.

لكن قد تقدم: أن ذلک لا يصح، أو على الأقل يشک كثيرا فى صحته.

و قد تحدثنا في غزوه بدر عن عدم صحه قصه العريش المزعوم لأبى بكر و النبى (صلى اللّه عليه و آله) فراجع ما ذكرناه هناک..7.

1- المغازى للواقدى ج 2 ص 457.

ص: 338

و لسنا ندری لماذا ترک أبو بکر الناس یتناوبون علی خندقهم؟

ألیس هو خندقه أیضا؟

و لماذا استثناه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لیکون معه دون کل من عداه؟!

و کیف لم یعترض علی ذلک أی من الناس الذین کانوا یقومون بواجباتهم فی الحفظ و الحراسه و کان النبی (صلی اللّه علیه و آله) نفسه یفعل ذلک أیضا؟!

الفهارس

اشاره

1- الفهرس الإجمالى

ص: 343

2- الفهرس التفصيلى

رجوع النبی صلی اللّه علیه و آله قبل بلوغ دومه !! 109

ص: 347

ص: 351

الفهارس:

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: 9

المقدمة:
تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام 1426 الهجري في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:
نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.
وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوي تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:
نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازت العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:
مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات
الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:
طبع الكتب والملزمات والدوريات
إقامة المسابقات في مطالعة الكتب
إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية
إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية
افتتاح موقع القائمية الانترنتي بعنوان : www.ghaemiyeh.com
إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...
الإطلاق والدعم العلمي لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها
تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms
إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس
إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين
إنتاج آلاف برامج في البحث والدراسة وتطبيقها في أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على 8 أنظمة؛
JAVA.1
ANDROID.2
EPUB.3
CHM.4
PDF.5
HTML.6
CHM.7
GHB.8
إعداد 4 الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية
ANDROID.1
IOS.2
WINDOWS PHONE.3
WINDOWS.4

وتقدّم مجاناً في الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم 129، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزي 03134490125
هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021
قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.